

أَخْبَارُ السَّعَادَاتِ

رضي



تصنيف الشيخ الكبير

أبي الحسن علي بن الحسين بن علي السعدي

الطبعة سنة ١٢٦١ هـ

المسعودي

اخبار الزمان

المكتبة الحيدرية

المكتبة الحيدرية
العراق- النجف الاشرف

١٣٨٦ هـ . ١٩٦٦ م



أخبار السعدي

ومن أباداه الحثان ، وعجائب البلدان والعامر بالماء والعمران
تصنيف المرفع الكبير أبي الحسن علي بن الحسين بن علي السعدي
المتوفى ٣٤٦ هـ هجريّة

الطبعة الثانية

أُتِرف على الطبع والتصحيح

لجنة من الاساتذة

المكتبة الحيدريّة
العراق- النجف الاشرف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة الناس

انطلاقاً بالرسالة التي أخذنا على عاتقنا تحقيقها منذ أول تأسيس دار الأندلس ، وهي الاسهام في إحياء التراث العربي القديم ، والسعي في إنعاش الحركة الثقافية عن طريق نشر الكتب المفيدة ، وما لقيناه من تشجيع وتقدير ، في طبعتنا الجديدة لكتاب (مروج الذهب) للمسعودي ...

نتقدم اليوم بمجهود يضيف إلى تلك السلسلة الطويلة حلقة جديدة ، وهو كتاب (أخبار الزمان) للمسعودي .

وسرور « دار الأندلس » هو أنها إذ تضع لبنة جديدة في مسرح الثقافة العربية الخالصة من طريق إحياء التراث القديم ، وكل رجائها أن يكون التوفيق حليفها في المستقبل ،

والله من وراء القصد

مقدمة الطبعة الاولى

بقلم عبد الله الصاوي

للمسعودي كتابان جليلان في التاريخ ، ظهر أولهما مروج الذهب في عدة طبعات تداولها اكثر علماء هذا الجيل ، فعرفوا من المسعودي عالماً ، جليلاً ، فلكياً ، حاسباً ، منجماً ، جغرافياً ، أخبارياً ، فقيهاً ، محدثاً ، جديلاً ، نظاراً ، ديانياً ، مؤرخاً ، نسابة ، فيلسوفاً ، أديباً ، راوية .

وانه كان ملماً بعدة لغات ، وكان ذا حظ وافر من الثقافات التي انتهى إليها علم الانسان ، منذ بدأ الله الخلق إلى عصره .

وظهر ثانيهما ، وهو التنبيه والاشراف في طبعة واحدة قبيل نهاية القرن التاسع بسبع عشرة سنة في مطبعة بريل بمدينة ليدن بهولانده ، ضمن المكتبة الجغرافية ، التي عني بنشرها البروفسور « دي جوجي » .

ويندر أن يعرف علماء العصر الحاضر عن هذا الكتاب شيئاً ، إذ لم يصدر منه سوى هذه الطبعة الاربعة ، وطبعات أوروبا من الغلاء بحيث لا يستطيع الرجل المتوسط الثراء أن يقتنيها .

وقد قمت بنشر هذا الكتاب وسيداع بين يدي الجمهور بعد بضعة أيام ، ريثما أتم طبع فهرسه المطولة .

وسوف يرفع هذا الكتاب من منزلة مؤلفه العلامة المسعودي ، ويحمله الذروة بين الرجال النابهين ، ذوي الثقافات الواسعة والمعلومات الكثيرة ،

وسيرى العلماء قدرة المسعودي الفائقة وبراعته وعلمه الغزير الذي بدا لهم في ثنايا كتابه مروج الذهب ، سيرون أنه قد عاد فظهر فيه بأوضح وأجلى مما ظهر في صنوه المروج من قبل .

وكتاب « أخبار الزمان » هذا ، ثالث كتاب يبرزه عالم الطبع من مؤلفات ذلك الامام الكبير .

وقد يلاحظ من يقرأ كتاب مروج الذهب أو كتاب التنبيه والاشراف أن المسعودي أكثر من الثناء عليه ، وأحال عليه في مواضع كثيرة .

وأنه أوفى كتاب التاريخ ، وأوسع المراجع العلمية الاسلامية التي وضعت في أواسط العصر العباسي .

ويظهر أن المسعودي ضمنه كل ثروته العلمية ، إذ هو أول ما ألف من كتب ، ثم راعته ضخامة الكتاب ، فعمد إلى اختصاره عدة مرات ، ثم عمد إلى تلك الثروة العلمية الهائلة فبعثها في كتبه ، وفرقها بين مصنفاته ، تفرقة عادلة ، وقسمة مرضية ، راعى فيها أن يكون في كل مؤلف منها ما يحببه إلى القراء ، ويرفع قدره ويسني منزلته بين العلماء .

فكثيراً ما يرى الباحث في كتب المسعودي أنه يعرض إلى إجمال بعض الموضوعات الطريفة ، والأحاديث الغريبة ، في مختلف العلوم والفنون في هذين الكتابين ، يلم بالموضوع الإمامة سريعة ، ثم يذكر أنه بسطه مفصلاً ، وذكره بتمامه في كتاب « أخبار الزمان » فلا يزال الباحث يبحث عن ذلك الكتاب ضمن ما طبع أو ما لم يطبع ، وربما دعاه الشوق الى البحث في مكاتب أوروبا ، والمكاتب العامة والخاصة .

ثم لا تكون نتيجة هذا البحث إلا الحيبة والفشل ، والتحسر الدائم على ما فقد وضاع من تراث الآباء .

ذلك كان موقفني عند ما قرأت مروج الذهب للمسعودي لأول مرة ، ولطالما أمضيت الأيام في البحث ، وأضنيت النفس في التنقيب عن كتبه ، ولا سيما عن كتاب أخبار الزمان الذي هام به العلماء ، لافراط المسعودي في تقريره ، وإلماعه بما تضمنه من علوم وأبحاث مفيدة - اعتقدت أن في العثور عليه إشباعاً لرغباتي العلمية ، بل ظننت أن سعادة العالم رهينة بما قد ضمنه ذلك الكتاب من حلول لمسائل علمية معقدة ، ومشكلات لم يصل العلم إلى حلها ، ولا سيما مسائله الفلسفية ، وما وراء الطبيعة ، وأخباره الطريفة .

ولم أكن فريداً في الشعور بتلك الحالة ، بل ذلك شأن كل من يقرأ كتب المسعودي ، أو يلم بها بعض الالمام .

ولقد حدثت أن مستشرقاً استهواه علم المسعودي ، وأسلوبه الجذاب ، وفتنته إحالاته العجيبة ، فبحث أولاً بنفسه ، ثم لجأ إلى حكومته فأمدته بالمال ، فظل يبحث ويتابع البحث ، حتى عثر على نسخة من كتاب « أخبار الزمان » في مدينة شنقيط بصحراء افريقية ، فرام شراءها ، وبذل فيها ثمناً عالياً ، فما سمحت أنفس الشناقطة ببيعها ، ولا رضوا أن يستبدلوها بالذهب الوفير .

فلما أعياه شراؤها عرض عليهم أن يصورها بالفتوغرافيا نظير مبلغ من المال جسيم ، فما اعاروا عرضه ذلك التفاتاً ، بل منعهو النظر إليها والاستمتاع بها .

فرحل عنهم حقبة من الدهر ، ولما استيقن أن القوم قد أسوا شخصه ، وما كان قد جاء لأجله ، عاد اليهم خائفاً يترقب ، وقد عزم على استنساخها ، فاكثرى رجلاً منهم عهد اليه باستنساخها .

لكنهم إذ فطنوا الى الأمر ، لم يجدوا جزاء لهذا المستشرق - الذي أحب العلم ، وضحي بوقته وراحته ولذاته في سبيله ، واستمات في تحصيل فكرة قد يصل نفعها الى جميع المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها - إلا القتل ، فذهب ضحية إحالات المسعودي ، والبحث عن كتبه !

وهذا الذي فعله المستشرق بعض ما يجب نحو كتاب « أخبار الزمان » لأن المسعودي أفرط في تقيظه والثناء عليه ، وقال إنه أوعى كتاب وأجمعه في التاريخ .

ولندع المسعودي يحدثنا عنه قال « أما بعد فانا صنفنا كتابنا في أخبار الزمان وقد قطعنا القول فيه على هيئة الأرض ومدنها ، وعجائبها وبحارها وأغوارها ، وجبالها وأنهارها وبدائع معادنها ، وأصناف مناهلها وأخبار غياضها وجزائر البحار والبحيرات الصفار ، وأخبار الأبنية المعظمة والمساكن المشرفة ، وذكر شأن المبدأ وأصل النسل وتباين الأوطان ، وما كان نهراً فصار بحراً ، وما كان بحراً فصار نهراً ، وما كان برأ فصار بحراً على مرور الأيام وكرور الدهور ، وعلة ذلك وسببه الفلكي ، وانقسام الأقاليم بخواص الكواكب ومعاطف الأوتاد ومقادير النواحي والآفاق ، وتباين الناس في التاريخ القديم ، واختلافهم في بدئه وأوليته من الهند وأصناف الملحين ، وما ورد في ذلك عن الشرعيين وما نطقت به الكتب وورد على الديانين .

ثم أتبعنا ذلك بأخبار الملوك الغابرة والأمم الدائرة والقرون الخالية والطوائف البائدة على ممر سيرهم وأوقاتهم ، وتضيف أعصارهم من الملوك والفراعنة العادية والأكاسرة واليونانية ، وما ظهر من حكمهم ومقائل فلاسفتهم وأخبار ملوكهم وأخبار العناصر إلى ما في تضاعيف ذلك من أخبار الأنبياء الى أن أفضى الله بكرامته وشرف برسالته محمداً نبياً ﷺ .

فذكرنا مولده ومنشأه وبعثته وهجرته ومغازيه وسراياه الى أوان وفاته واتصال الخلافة واتساق المملكة بزمان زمن ، ومقاتل من ظهر من الطالبين الى الوقت الذي شرعنا فيه في تصنيف كتابنا هذا من خلافة المتقي لله أمير المؤمنين وهي سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة .

ثم أتبعناه بكتابنا الأوسط في الأخبار على التاريخ، وما اندرج في السنين الماضية ، ومن لدن البدء الى الوقت الذي عنده انتهى كتابنا الأعظم وما تلاه من الكتاب الأوسط، رأينا إيجاز ما بسطناه واختصار ما وسطناه، في كتاب لطيف نودعه لمع ما في ذينك للكتابين ، ضمناهما ، وغير ذلك من أنواع العلوم وأخبار الأمم الماضية والأعصار الحالية مما لم يتقدم ذكره فيها .
من هذه الأمانة الموجزة التي يذكرها المسعودي في صدر كتاب مروج الذهب يمكننا أن نلم بشيء عن كتاب أخبار الزمان للمسعودي .

ولو قارناه بكتابنا هذا الذي يزعم أنه للمسعودي وجدنا مفارقة كبيرة بين الكتابين، فالذي يصفه المسعودي ، تاريخ عام مطول وهذا تاريخ خاص عن أصل الخلق وغرائب الأرض والبحار والأنهار وعجائبها ، ثم أخبار آدم وبعض الأنبياء من بعده ، وملوك مصر وفتوحاتهم ، وفراعنتها وكهانها وسحرتها وآثارها ، فهذه مقارنة أولية تدلنا على أن كتاب أخبار الزمان غير هذا .

وأيضاً نحن نعلم ان صفحات مروج الذهب تبلغ خمسمائة وألف صفحة فلو فرضنا أنه على النصف من أصله الكتاب الأوسط لكان أصله ثلاثة آلاف صفحة، وسيكون كتاب أخبار الزمان إذاً في ستة آلاف صفحة لأن الكتاب الأوسط مختصر منه .

فما مبلغ هذا الذي بين أيدينا ، وعدد صفحاته مائتان وخمسون صفحة لا غير ، من هذا الذي تبلغ صفحاته ثلاثة آلاف على أقل تقدير .

وسأورد أيضاً بعض عبارات من مروج الذهب وإحالات فيه على كتاب أخبار الزمان نتبين منها صحة ما نذهب إليه .

(١) قال المسعودي « ولمن سمينا من ملوك الحيرة أخبار وسيرة وحروب قد أثينا على ذكرها والفرر من مبسوطها في كتابنا أخبار الزمان ... فأغنى ذلك عن إعادته » ولو عدنا إلى كتابنا لنبحث عن ملوك الحيرة هؤلاء لم نر شيئاً عنهم في كتابنا هذا .

(٢) قال المسعودي : والفرق بينه (أي الفيل) وبين سائر أنواع الدواب ما يظهر من الفيل من الجزع عند ورود المياه من الغدران والأنهار للشرب إذا كان الماء صافياً ، فانه يثيره ويكدره ويمنع من شربه حين صفائه ، وان ذلك يوجد في أكثر الخيل إذا وردت الماء وكان صافياً ضربته بأيديها فكدرته ، فتشرب حينئذ .

وتوافق الخيل الفيلة في هذا المعنى ، دون سائر الحيوانات ، وإن ذلك لمشاهدة صورها في الماء لصقالته وصفائه ، ولعلمها بذلك عند زوال كدره . وإن الابل الأغلب منها يفعل ذلك ، ولعمان غير ذلك مما وصفنا من أن ما عظم من الحيوانات إذا رأى صورته منعكسة على صفاء الماء أعجبه لعظمها وحسنها ، وما بان له من حسن الهيئة عما دونه من أنواع الحيوان ، وليس يفعل ذلك من الحيوان غير ما ذكرنا من الخيل والإبل .

وإن الفيل مع عظم جسمه ولطفة نفسه وخفة روحه وحسن تمييزه والمعرفة بوليّه وعدوه من الناطقين وغيرهم ، وقبوله الرياضة تمتنع أنشاه ، كما تمتنع النوق إذا لقحت .

وليس شيء من الدواب يمتنع من السفاد من الاناث عند حملها إلا الفيلة والابل ، وهذا باب إن نحن تقصيناه وذكرنا ما فيه طال به الكتاب ، وخرج

عن حد الاختصار والايجاز ، وقد أتينا على وصف جميع ذلك في كتابنا « أخبار الزمان » .

فاذا نحن نقبنا في صفحات هذا الكتاب لم نجد عن ذلك شيئاً .

(٣) قال المسعودي : ثم اختلفت الكلمة بين اجناسهم (اي الصقالبة) فزال نظامهم وتحزبت اجناسهم وملك كل جنس منهم ملكا على حسب ما ذكرنا من ملوكهم لأمر يطول ذكرها وقد أتينا على جمل من شرحها ، وكثير من مبسوطها في كتابنا (أخبار الزمان) .

ونحن لا نجد فيه ذكر أمور يطول ذكرها أو يقصر ، عن زوال ملك الصقالبة وتدهوره وانقراض أمر ملوكهم وتبدد جماعتهم وتحزب عصبتهم في هذا الكتاب الذي بين أيدينا .

(٤) قال المسعودي : وأما الدلائل [على] أن السماء تدل على مثال الكرة وتدويرها بجميع ما فيها من الكواكب ، وأن الأرض بجميع أجزائها من البر والبحر على قدر مثال الكرة ، وأن كرة الأرض مثبتة في وسط السماء كالكرة وقدرها عند قدر السماء قدر النقطة في الدائرة صفراً ، ووصف الربع المسكون من الأرض ، وما يعرض من دور الفلك ، واختلاف الليل والنهار ، ووصف المواضع التي تطلع الشمس فيها شهوراً لا تغرب ، وتغرب شهوراً لا تطلع .

فقد أتينا على وصف جميع ذلك وما اتضح عليه وما انتصب من البراهين وما قاله الناس في ذلك في كتابنا المترجم بكتاب « أخبار الزمان » .

وهذا أيضاً أنموذج رابع يوضح لنا بعض ما يتضمنه كتاب أخبار الزمان ، وحجتنا فيه اننا لا نجد من ذلك شيئاً ابداً في هذا الكتاب الذي بين أيدينا .

ولو أننا تتبعنا عبارات المسعودي في كتابه المروج والتنبيه لتبين بها

بعض ما كان يحويه كتاب أخبار الزمان لوجدنا أمامنا من العبارات ما يضيق به هذا المكان ، لكن في هذا ما يكفي لذي اللب .

(٥) وثمة دليل آخر وفرق يسير وهو إن لم يكن دقيقاً إلا أننا نذكره من قبيل العرض والتدليل على أنه ليس كتاب أخبار الزمان الذي يذكره المسعودي ذلك أن اسمه جاء هكذا :

(كتاب أخبار الزمان ، ومن أباده الحدثان ، وعجائب البلدان ، والغامر بالماء والعمران) .

وجاء اسم ذلك في مروج الذهب هكذا :

كتاب أخبار الزمان ، ومن أباده الحدثان من الأمم الماضية والأجيال والممالك الدائرة .

وإذن فما نسب هذا الكتاب من كتاب أخبار الزمان ، وما صلت به بالمسعودي ؟

ذلك سؤال يخطر بعد ما أسلفناه من قول ، والواقع أن نسبة هذا الكتاب للمسعودي في غاية من القوة ، ذلك أننا لو ذهبنا نقيس ما جاء فيه من أخبار على ما جاء في كتب المسعودي المعتمد نسبتها إليه لوجدناه مطابقاً لها في الجملة ولا نكاد نرى فيه اختلافاً ، وبذلك نجزم بأنها آراء المسعودي ونقوله .

ولا يصح أن نذهب إلى أن الكتاب مختصر من كتابي المسعودي اللذين عرفندما ، لأن ما يورده فيه من أخبار يضعف بكثير جداً ما يذكره في المروج أو التنبيه ويربي على ما فيها .

وأنا بعد ذلك أذهب إلى أن هذا الكتاب إما أن يكون اختصاراً لجانب يسير من كتاب أخبار الزمان ، ولولا أن الكتاب تام ، وقد عملت له خاتمة لقلت إنه قسم منه ، وكذلك قال الذين رأوه وفهرسوا الكتب العربية الخطية أمثال بروكلمان وجولدزير .

كما لا يمكنني أن أجزم بأن الذي اختصره غير المسعودي ، وعلى أية حال فقد وجدنا التسمية على صدر النسخة الخطية المحفوظة بباريس ، والتي صورت عنها النسخة التي في المكتبة الملكية .

كما وجدت التسمية على صدر النسخة الخطية المحفوظة بمكتبة تيمور باشا ، وفي كلتا النسختين يضاف الكتاب الى المسعودي .

وأيا ما كان الكتاب للمسعودي او غيره ، فالكتاب فيه أشياء غريبة وأخبار طريفة تفيدنا كثيراً في معرفة التاريخ القديم بوجه عام والمصريين بوجه خاص ، ولو أن العلم الحديث يقفنا منها موقف الريبة والشك .

وسيجد القارئ فيه لذة لا تعدلها لذة ، وسيمضي في قراءته دون كد ولا ملل ، وسيعاود قراءته بعد ذلك مرات ، وهو بلا ريب منته إلى إحدى ثمنتين :

الأولى - أن الانسان فيما مضى وتصرف من الأجيال كان أقدر منه في هذه الحياة العصرية ، وأن السحر والكهانة لعبا دوراً كبيراً في غابر الأحقاب ، وأن القدماء وصلوا في العلم بها الى غاية تتقاصر دونها أقصى الغايات .

الثمرة الثانية - أن قدماء المؤرخين كانوا ذوي خيال واسع ، قصاصين بارعين قادرين على أن يحسموا الخيال ، ويلبسوه ثوباً من الحقيقة بحكم النسج .

وسيقف القراء منه على أن ما بلغه المصريون من الصناعة وعمارة الأرض والفنون والعلوم والحكمة والبصر بالكيمياء لم تبلغه أمة من الأمم ، وسيجدون فيه من المعجائب التي أقامها المصريون بالهندسة أو السحر أعاجيب أدهاها الاهرام هذه التي أفنت العصور ، ولم تبليها العصور .

وسيعلمون ان ليست هذه الاهرام وحدها التي أقامها القدماء آيات شاهدة لهم بالقوة والأيد واتساق الملك الجبوت .

بل إن لقدماء المصريين آثاراً أخرى جلية أقاموها في مصر والاسكندرية ومنف وأطرافها وفي غيرها من الممالك والبلدان .

ذلك ما سيقف عليه القارئ الكريم في هذا الكتاب ، وفي هذا الكتاب سيستطيع من يعنيه البحث عن الآثار أن يعلم بوجه التقريب مدافن ونحابيء كثيراً مملأها القدماء بالذهب والتحف وغرائب الجواهر والحلى ، ففي هذا الكتاب إشارات لتلك المواضع ، وهذه الاشارات وإن لم تحدها تلك المواضع بالدقة فهي تفيد عالم الآثار ، ولا سيما اذا استعان عليها بالعلم .

ونحن بعد أن ننشر هذا الكتاب سنرغب عن كُتب ما يظهره لنا علامة مصر الأثري الفاضل الدكتور سليم حسن ، ونود أن نسمعنا رأيه فيما جاء بهذا الكتاب من آثار .

وفي الحق أن ما ذكر في هذا الكتاب يكاد لا يصدقه العقل ، بل يكاد ينفيه ، ولكن معول الدكتور الفاضل وما كشفه في السنين الماضية من آثار ، وما يكشفه الآن ، يجعلنا لا نرتاب أبداً في تقبل ما يحدثنا به المسعودي في هذا الكتاب .

على أن المؤلف نفسه يروي ما جاء فيه بتحفظ شديد ، بل يروي على أنه خبر يرتاب فيه العقل ، ولكننا الآن أشد إيماناً بتصديق ما جاء فيه من المسعودي نفسه ، وذلك بفضل العلم الحديث ، وما وصل اليه علماء الآثار ، ومعهد الآثار في الجامعة المصرية .

ولن يضير هذا الكتاب شيئاً ما ورد فيه من ذكر السحر والكهانة ، وأن مصر كانت عامرة بالسحرة ، فالقرآن الكريم يؤيد ذلك في كثير من سوره وهو يذكر السحرة في غير موضع ، فيذكرهم مع موسى وفرعون في مواضع كثيرة ، ويذكر هاروت وماروت وأنها كانا يعلمان الناس السحر ، ويذكر

السحرة مع ملك سليمان ويذكر للرسول ﷺ كيف يتعوذ من النفاثات في العقد ، وفي سيرة الرسول ما يفهمنا أن الرسول ﷺ قد سحر ، وقد وضع الفقهاء عقوبة للساحر في الشريعة الاسلامية ، ويروى عن الرسول ﷺ أنه قال : تعلموا السحر ولا تعملوا به ، فهذه كلها دلائل ناطقة بحقيقة السحر والكهانة وأنها أشياء كانت معروفة مشتهرة بين القدماء .

ونحن وإن كنا الآن لا نشاهد شيئاً من آثار السحر ، ولا من قوته ، فليس لنا أن ننكره ، وبين يدينا كتب مؤلفة في السحر تعد بالمئين ، فمحال أن تكون هذه الكتب ألفت على غير أساس ، وفي الحياة غرائب وأشياء معقدة هي كالسحر ، بل ان الحياة ومن فيها جميعاً أشبه شيء بالسحر . ومن الجائز أن يكون السحر علماً ذهب بذهاب أهله ، لأنهم كانوا به جد ضنين . وقد أحصيت كتب المسمودي التي ذكرها في كتاب مروج الذهب وكتاب التنبيه والاشراف وأحال عليها أثبتها فيما يلي :

(١) كتاب أخبار الزمان ، ومن أباداه الحدثان من الأمم الماضية ، والأجيال الحالية ، والممالك الدائرة وهذا قسم منه .

(٢) الكتاب الأوسط .

(٣) كتاب مروج الذهب ، ومعادن الجواهر ، في تحف الاشراف من الملوك وأهل الدرايات .

(٤) كتاب فنون المعارف ، وما جرى في الدهور السوالف .

(٥) كتاب ذخائر العلوم ، وما كان في سالف الدهور .

(٦) كتاب نظم الجواهر ، في تدبير الممالك والعساكر .

أخبار الزمان م (٢)

- (٧) كتاب الاستذكار ، لما جرى في سالف الأعصار .
- (٨) كتاب التنبيه والاشراف .
- (٩) كتاب نظم الاعلام ، في أصول الاحكام .
- (١٠) كتاب نظم الأدلة ، في أصول الملة .
- (١١) كتاب المسائل والعلل ، في المذاهب والملل .
- (١٢) كتاب خزائن الدين ، وسر العالمين .
- (١٣) كتاب المقالات ، في أصول الديانات .
- (١٤) كتاب سر الحياة .
- (١٥) رسالة البيان في أسماء الأئمة .
- (١٦) الأخبار المسعوديات .
- (١٧) كتاب وصل المجالس .
- (١٨) كتاب تقلب الدول ، وتغيير الآراء والملل .
- (١٩) كتاب الابانة ، في أصول الديانة .
- (٢٠) كتاب مقاتل فرسان العجم .
- (٢١) كتاب الصفوة في الامامة .
- (٢٢) كتاب الاستبصار في الامامة .
- (٢٣) كتاب المبادئ والتراكيب .
- (٢٤) كتاب الرؤوس السبعة .
- (٢٥) الزاهي .
- (٢٦) كتاب الدعاوى .
- (٢٧) كتاب الاسترجاع .
- (٢٨) كتاب مزاخر الاخبار ، وطرائف الآثار .
- (٢٩) كتاب الرؤيا والكمال .

- (٣٠) كتاب طب النفوس .
 - (٣١) كتاب حدائق الأذهان ، في أخبار الرسول .
 - (٣٢) كتاب القضايا والتجارب .
 - (٣٣) كتاب الواجب في الفروض اللوازم .
 - (٣٤) كتاب الزلف .
- ويظهر أن كتبه هذه كلها قد ضاعت ولم يقف العلماء على شيء منها سوى :
- (١) مروج الذهب ، وهو أوسع ما طبع من مؤلفاته .
 - (٢) هذا القسم من كتاب أخبار الزمان ومن أباداه الحدثان .
 - (٣) كتاب التنبيه والاشراف ، وقد قمت بطبعه على النسخة المطبوعة في لندن .
 - (٤) الكتاب الأزسط ، وفي مكتبة أكسفورد نسخة يظن أنها هو .

المسعودي

٣٤٥ أو ٣٤٦ - ٩٥٧

من هو ؟

هو أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي المعتزلي الشافعي ،
من ذرية عبد الله بن مسعود الصحابي الجليل .
فأما منشؤه فان الثقات من المؤرخين يروون انه نشأ في بغداد ، على أن
ابن النديم يروي أنه من أهل المغرب ؛ فلعله شخص آخر ، أو لعل بعض
أجداده نزحوا إلى المغرب .

وعلى أية حال فقد قضى زهرة شبابه في بغداد ، ولكنه غادر اقليم
العراق وإرضاء لميوله واذواقه ، ورغبة منه في التجول ، فخرج عن بغداد
سنة ٣٠١ ليقوم برحلة قيل انها استمرت أعواماً ثلاثة ، وقد قضاها متنقلاً
بين ربوع فارس وكرمان .

ثم بعد ذلك جاب بلاد الهند وصيمور ، قطن أخيراً في مدينة بومباي
حتى سنة ٣٠٤ ، ومن المحتمل أن يكون قد أقام حينذاك في جزيرة
سيلان .

ومن ثم وصل إلى مدينة عمان ، ويمكن أن نستنتج أنه ذهب الى قناطر
ماليسية العجيبة العظيمة ، وشارف الصين .

ومع أنه خاطر بتلك الرحلة وخصص لها نفسه ووقته ، فانه تعمق في
دراسات الحدود الاسلامية ، واستعان على ذلك بالآلات العلمية التي كانت
معروفة في حياته .

وهو يحدثنا انه كان في سنة ٣١٤ في فلسطين وفي انطاكية ، وظل بعد ذلك متنقلاً بين العراق وسوريا ومصر على أن جل ما ورد عن إقامته كان في مصر .

فهو يحدثنا بعد انه كان في سنة ٣٣٦ قد أتم تأليف كتابه مروج الذهب في فسطاط مصر ، وكان قد بدأ تأليفه سنة ٣٣٢ .

ويذكر كذلك انه في سنة ٣٤٤ كان يشتغل بوضع النسخة الاولى من كتاب التنبيه والاشراف في الفسطاط نفسه ، ثم في سنة ٣٤٥ زاد فيها وأصلحها . ويظهر مما ذكره من الكتب التاريخية في صدر كتابه ، مروج الذهب ، والتنبيه والاشراف ، ان المكتبة العربية التاريخية في عصره كانت غنية جداً ، عامرة بالمؤلفات ، فقد أورد فيها عدداً وفيراً من اسماء الكتب ، وأسماء المؤلفين .

والمؤرخون ، يذكرون انه توفي سنة ٣٤٥ وبعض يقول في ٣٤٦ ، والخطب يسير ، لكنه يحل حين نذكر ان ذلك العالم المؤرخ الكبير الذي عاش معنياً بالعلم وبالعالم ، والعلماء وبالتاريخ والمؤرخين أهمله التاريخ ، ولم يذكر المؤرخون شيئاً من نوعه ، ولا من تاريخ طفولته او حياته .

ولكن يكفيننا عزاء بقاء اسمه حياً في بطون ما بقي من كتبه ، تعمّر به قلوب العلماء وصدور الأجلاء ، فرحمه الله رحمة واسعة .

وقد اعتمدت في طبع هذا الكتاب على النسخة المأخوذة من الأصل الباريسي بالتصوير الشمسي والمحافظة بدار الكتب الملكية تحت رقم ٨٧٩ تاريخ وقد رمزت اليها بإشارة (ب) اول كلمة باريس ، وهي نسخة معتبرة وخطها يقرأ بعسر ويذهب القاريء فيه مذاهب شتى لتشابه حروفه ، وقد حدث في اثناء التصوير ارتجاج احدث فساداً في طبع بعض الصفحات وقد لقينا مجهوداً كبيراً في مراجعتها ، والتهدي الى صوابها .

هناك اصل آخر في المكتبة التيمورية كثر فيه الحذف والبتر وكانت الورقة الاولى منه قد ضاعت فأكملها احد الناسخين فدل على سوء علمه ورأيه وعدم امانته

وهذه النسخة محفوظة تحت رقم ٦١٤ تاريخ وهي كثيرة الخطأ ولم أعتمد عليها الا قليلا بل لقد تركت الاعتماد عليها عندما قاربت منتصف الكتاب لكثرة ما فيها من الخلل والتحريف والنقص وقد رمزت على ما انتفعت به منها بإشارة (ت) أول كلمة من تيمور .

وقد اعتمدت فيما جاء فيه من اخبار مصر وملوكها على تاريخ القرماني المسمى بأخبار الدول وآثار الأول لأبي العباس احمد بن يوسف بن احمد الدمشقي الشهير بالقرماني وقد طبع في مدينة بغداد سنة ١٢٨٢ .

وقد لاحظت انه اطلع على نسخة من اخبار الزمان ، لأنه يذكر حوادث وأخبارا بنصوصها وعبارتها وألفاظها الا انه مختصر .

وقد أفاد هذا الكتاب كثيرا في تصحيح بعض الاسماء وكشف بعض ما عمت قراءته ولا سيما تلك الصفحات التي حدث بها الارتجاج اثناء التصوير الشمسي في باريس .

وقد رمزت الى تاريخ القرماني بالاشارة (ق) اول حرف من كلمة قرماني ، هذا وان ألفت نظر حضرات الأدباء والعلماء الى ان الفضل في اختيار هذا الكتاب ، والانفاق على طبعه لحضرة الفاضل السيد عبد الحميد افندي حنفي عامله الله بلطفه الحفي ، وشكر له مسعاه وأبلغه احسن ما يتمناه ، وأنا ارجو ان اكون قد قمت ببعض ما يجب عليّ من تصحيح هذا الكتاب ، وأسأل الله ان يتداركني بلطفه ، وان يوفقني الى ما فيه الخير في الدنيا والأخرى ، وأن يلهمني السداد ، انه على ما يشاء قدير .

عبدالله الصاوي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وهو حسبنا ونعم الوكيل

« قال الشيخ أبو الحسن ، علي بن الحسين بن علي بن عبد الله الهذلي
المسعودي رحمه الله ورضي عنه » .

نبتدي بحمد الله وذكره وشكره ، والثناء عليه والشكر له ، والصلاة
على أنبيائه ورسله وملائكته ، ونخص سيدنا ونبينا محمداً ﷺ ، وعلى آله
وأزواجه وأصحابه ، بأفضل صلواته ، وأكمل تحياته ، وأزكى بركاته .

ثم نذكر ما وقع الينا من أسرار الطبائع ، وأصناف الخلق ، مما يكون
ذلك^(١) مشاكلنا لقصدنا ، ونصل ذلك بذكر ما يجب ذكره من ملوك

(١) أول الكتاب في ت : مفقود ، وقد انتحل الناسخ ديباجة أولها : الحمد لله الذي اختص
نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم بكتاب آخرس الفصحاء ، وأعجز البلغاء عن مثل أقصر سورة
من سورة ، بل آية آياته . ويجوامع الكلم ، وبدائع الحكم . وأيد أقواله ، وأشهر أفعاله ،
وقصرت الألسن عن مدح نعمت كاله ، وقد سطع بدر وجوده ، وفاض على الثقلين سرح جوده ،
وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلاة وسلاماً
دائمين ما دام النيرين * وسلم تسليماً ، وبعد ، لما رأيت فن التاريخ شريف ** ، وطج به كل ظريف ،
قصدت تأليف هذا الكتاب جهدي ، ليكون تذكرة من بعدي ، فأقول كان ابتداءنا به ابتداء
الموجودات والمخسوسات مشاكلنا الهم...

(*) الصواب التبرين . (**) الصواب شريفاً ، وهذا يدل على فرط جهل الناسخ المفتحل .

الأرض ، وما عملوه من عجائب الأعمال ؛ وشيدوه من عجائب البلدان^(١) ووصفوه من الآلات المستطرفة والطلاسمات^(٢) المستعملة ، وما بنوا من هياكلهم ، وأودعوه نواويسهم ، وزبروه على أحجارهم . على حسب ما نقل إلينا من ذلك .

ونبدأ بما جاء من الآثار الشرعية ، والمسئلة الحنيفية ، ثم نذكر ما روي عن الحكماء الأول المتقدمين ، وبالله أستعين ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

وقد سميت كتابي هذا بكتاب [تاريخ] (أخبار الزمان ومن^(٣) أباده الحدائن وعجائب البلدان والفامر^(٤) بالماء والعمران) فأنا أقول :

« أما بعد » فإن الله جل جلاله ، وتقديست أسماؤه ، خلق خلقه من غير ضرورة كانت منه إلى خلقهم ، وأنشأهم من غير حاجة كانت منه إلى إنشائهم . بل خلقهم ليعبدوه ، فيجود عليهم بنعمه ويحمدوه ، فيزيدهم من فضله فيشكروه ويمجدوه . كما قال عز وجل (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون ، ما أريد منهم من رزق وما أريد ان يطعمون ، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين) فلم يزد خلقه إياهم وإيجادهم مثقال ذرة ، ولم ينقصه إفنائهم وإعدامهم وزن شعرة ، لأنه سبحانه لا تغيره الأحوال ، ولا يدخله الملل ، ولا تتقاضى سلطانه الأيام والليال . بل خصهم بأسماع وأبصار ، وعقول وافكار . يصلون بها إلى الحق والباطل ، فيعرفون بذلك المنافع والمضار . وجعل لهم الأرض بساطاً ، ليسلكوا منها سبلاً فجاجاً ، والسماء سقفاً محفوظاً . أنزل منها الغيث المدرار ، والأرزاق بمقدار ، وأجرى لهم فيها قمر الليل وشمس النهار . يتأقبان لمصالحهم دائبين . وجعل لهم الليل سكناً ،

(١) في ت : البيان . (٣) في ب : وما أباده وهو خطأ عربية وغير موافق لما ينقله

(٢) ت : الطلاسمات . في كتبه ، وفي ت : وما أباده .

(٤) ت : والناس .

والنهار معاشاً . ومحا آية الليل ، وجعل آية النهار مبصرة . ليصلوا^(١) بذلك الى العلم بأوقات فروضهم التي فرضها عليهم . من الصلاة والزكاة والصيام والحج ، وليعلموا عدد السنين والحساب ، وحين تحل ديونهم ، وتجب حقوقهم . قال الله عز وجل وعلا : (يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج) وقال (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نوراً وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ، ما خلق الله ذلك إلا بالحق) إنعاماً منه وطولاً ، وإحساناً منه وفضلاً .

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال : « الدنيا جمعة من جمع الآخرة سبعة آلاف سنة فقد مضت ستة آلاف ومثون من السنين ، وليأتين عليها مثون ليس عليها موحد لله تعالى » .

وعن نافع عن ابن عمر ، قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « إنما أجلكم في آجال من خلا من الأمم ، كما بين صلاة العصر الى غروب الشمس » .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ « بعثت أنا والساعة كهاتين » وأشار بالسبابة والوسطى .

وفي حديث سهل بن سعد الساعدي قال : قال النبي ﷺ « ما مثلي ومثل الساعة إلا كفرسي رهان » .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ « أول ما خلق الله القلم خلقه من نور طوله خمسمائة عام ، وخلق اللوح المحفوظ من درة بيضاء ، حافاته من ياقوت أحمر ، عرضه ما بين السماء والأرض ، خلقها قبل أن يخلق الخلق والسموات والأرض . فقال للقلم اكتب ، قال وما أكتب ؟ قال اكتب علمي

في خلقي الى يوم القيامة ، فجرى القلم بما هو كائن الى يوم القيامة ، وما هو في علم الله ، ينظر الله تعالى في ذلك اللوح كل يوم ثلاثمائة نظرة وستين نظرة ، فيخلق ويرزق ويحيي ويميت ، ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد .

وسئل رسول الله ﷺ : أين كان ربنا قبل أن يخلق الخلق والسموات والأرض ؟ قال « كان في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء ، ثم خلق عرشه على الماء » .

وسئل ابن عباس « على أي شيء كان الماء ؟ قال : على متن الريح فلما أراد الباري جل جلاله أن يخلق الخلق سلط الريح العقيم على الماء فطفت أمواجه وارترع زبده ، وعلا دخانه ، وصعد فوق الماء وسما عليه ، فسماه الله سماء ، وجد الزبد فصار أرضاً فجعل الأرض على حوت ، والحوت هو الذي ذكره الله تعالى في كتابه فقال (ن والقلم وما يسطرون) والحوت في الماء والماء على ظهر صفاة ؛ والصفاء على متن الريح ، فتزلزلت الأرض فأمر الأمواج فأرست عليها جبالات جامدة ، فاستقرت وثبتت فذلك قوله عز وجل (وجعل فيها رواسي من فوقها) ، (وجعلنا في الأرض رواسي أن يمتد بهم) .

قال ابن عباس: أتت اليهود إلى النبي ﷺ فسألوه عن ابتداء الخلق فقال « خلق الله الأرض يوم الأحد ويوم الاثنين وخلق الجبال وما فيها من المنافع يوم الثلاثاء وخلق الماء والشجر والمدائن والعمران يوم الأربعاء فذلك قوله جل جلالته قدرته (قل أنتم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين إلى قوله سواء للسائلين) وخلق يوم الخميس السماء والكواكب والنجوم والملائكة .

وخلق يوم الجمعة الجنة والنار ، وآدم عليه السلام ، قالوا : ثم ماذا يا محمد ؟ قال : ثم استوى على النرش ، قالوا : قد أصبت ، لو أتممت وقلت ثم استراح .

فغضب رسول الله ﷺ غضباً شديداً فأنزل الله عليه (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ، وما مسنا من لغوب ، فاصبر على ما يقولون) .

وفي رواية أسد بن موسى قال « أمر الله تبارك وتعالى السماء أن ترتفع وتسمو ، وأمر الأرض أن تنبسط وتنخفض فانبسطت ، فدحاها من موضع بيت الله الحرام » .

وقال رسول الله ﷺ « الدنيا موج مكفوف ، ولولا ذلك لأحرقت الشمس والقمر الأرض ومن عليها » وبين كل سماء والتي تليها خمسمائة عام ، وبين السماء السابعة والعرش مسيرة ألف عام . ثم قال رسول الله ﷺ « هو الأول فلا شيء قبله ، والآخر فلا شيء بعده » .

وعن زرارة بن أبي أوفى أن النبي ﷺ قال « قلت لجبريل هل رأيت ربك قط ؟ فانتفض ، ثم قال يا محمد إن بيني وبينه سبعين^(١) ألف حجاب من نور ، لو دنوت الى واحد منها لاحتقرت » .

ولما أراد الله عز وجل أن يخلق آدم أمر جبريل أن ينزل الى الأرض ويقبض^(٢) القبضة التي خلقه منها ، فقالت له الأرض أعوذ بالله منك أن تأخذ مني شيئاً ، فرجع الى ربه ، وقال يا رب تعوذت بك مني . فأرسل إسرافيل ، فقال مثل ذلك ، فأرسل ملك الموت فتعوذت بالله منه ، فقال ملك الموت إن ربي أمرني وأنا أعوذ به أن أرجع اليه بغير ما أمرني به .

وروى بعض أهل الأثر أن أول ما أجرى الله الروح في آدم أجراه في رأسه وعينه قبل سائر جسده ، فلما رأى ثمار الجنة أراد النهوض اليها قبل أن تبلغ الروح الى رجله فلم يستطع ، فذلك قوله عز وجل (وكان الانسان

(١) في ب وث : سبعون ، والصواب ما ذكرناه . (٢) ت : فيقبض .

عجولاً) فلما خلق الله آدم عجبت الملائكة منه فأمرهم بالسجود له كلهم ، فسجدوا طاعة لله تعالى إلا إبليس فإنه تكبر وامتنأ حسداً ومعصية ، فغضب الله عليه ولعنه ، وكان ذلك سبباً هبوطه الى الأرض .

وأما الحكماء المتقدمون ^(١) فإنهم يقولون : إن الله تعالى جمع الدراري في الحمل فجعل الشمس ملكاً ، وصير عطارداً كالكتاب ، والمشتري كالقاضي ، والمريخ كالشرطي وكمن يحمل السلاح ، والقمر كالحازن ، والزهرة كالصاحبة ، وزحل كالشيخ المشاور ، والجوزهر ^(٢) كاللقوم لأمر الفلك .

وذكرت الأوائل أنه كان في الأرض ثمان وعشرون أمة مخلوقة روحانية ذوات قوة وبطش ، وصور مختلفات بجذاء الثمان ^(٣) والعشرين منزلة ، لكل منزلة ، أمة مفردة .

ويزعمون أن الأمم الماضية ، تعالى الله عن قولهم ، إنما كان تدبيرها للكواكب الثابتة وهي ألف كوكب وعشرون كوكباً ، يقطع كل كوكب منها البرج في ثلاثة آلاف سنة ، وهي التي تعمل الأعمال كلها ، وبها يكون جميع الأمور .

وقال بعض أهل الأثر : إن الله خلق الأفلاك من بخار وإنه لما صعد انعقد وهي سبعة أفلاك ، وفوقها البيت المعمور ، وله ثلاثمائة وستون باباً ، جعلت درجاً للفلك ، وإن كل رحمة وبركة إنما تنزل من تلك الأبواب ، مقسومة على البروج والكواكب حتى تصير إلى الأرض .

وقالوا إن الله خلق خلقاً هو ملء ^(٤) ملكه يسمى الروح ، ومن فوقه الحجب وذلك كله داخل في الكرسي . وهو قوله عز وجل (وسع كرسيه السموات

(١) في الأصلين : المتقدمين ، والصواب عربية ما ذكرناه . (٢) في الأصلين : الثانية .
(٣) كذا في ب ، ت : وهذه التسمية يذكرها المسمودي في كتبه (٤) في ب ، ت : مليئ وهو كالتيبيه والاشراف .
خطاً املائي .

والأرض) والكرسي وما حوى داخل في العرش ، والعرش وما حوى داخل في علم الله ، جلّت عظمته .

وأعلا الداراري السبعة زحل ثم المشتري ثم المريخ ثم الشمس ثم الزهرة ثم عطارد ثم القمر .

وزعم قوم من الحكماء الأوائل ان الكواكب ملائكة ، وانه جعل لها من تدبير العالم ما لم يجعل لغيرها ، فلذلك عظموها وعبدوها .

وزعم قوم منهم ان الخلق العالية الذين هم الملائكة^(١) اثنا عشر صنفاً بجذاء البروج الاثني عشر ، وأنهم يتوارثون ، جعل الله فيمن شاء منهم حولاً وقوة يقدر أحدهم أن يكون في صورة تلاء الأرض عظمياً ، ويقدر أحدهم ان يكون في صورة تدخل من خرق الابرة لطفاً ، ويفوص في تحنوم الأرض والبحار والجبال ، لا يمنعه من ذلك مانع ، ومنهم من له من الأجنحة مثني وثلاث ورباع ، كما قال الله عز وجل ، يلتحقون اقطار الأرض كلمحة البصر ، ومنهم مخلوق من النور ، ومنهم زرق من نور النار ، ومنهم شعاعيون ، ومنهم ملائكة الرحمة ، ومنهم الحفظة والخزنة .

وهؤلاء مخلوقون من رطوبة الماء وهم حسان الوجوه سمر الالوان ، ومنهم مشغولون بعبادة الله لا يعرفون غيرها ، وهم في صور لا تحصى .

وقال اصحاب الطبيعة : ان الافلاك لما تم خلقها كانت كالأجسام^(٢) الكواكبها وكانت الكواكب كالأرواح لها .

وقال هرمس لما خلق الله عز وجل البروج قسم لها دوامها في سلطانه ، فجعل للحمل اثني عشر ألف سنة ، وللثور أحد عشر ألف سنة ، وللجوزاء عشرة آلاف سنة ، وللأسد ثمانية آلاف سنة ، وللسنبله سبعة آلاف سنة ، وللميزان ستة آلاف سنة ، وللعقرب خمسة آلاف سنة ، وللقوس اربعة آلاف سنة .

(١) في هامش ت : عنوان (ذكر الملائكة) . (٢) في ب : الاجسام والتصحيح عن ت .

سنة ، وللجدي ثلاثة آلاف سنة ، وللدلو ألفي سنة ، وللحوت ألف سنة ،
فصار للدور ثمانية وسبعون ألف سنة ، والباقي لسائر الكواكب .

ولم يكن في عدد الحمل والثور والجوزاء حيوان ، وذلك ثلاثة وثلاثون
ألف سنة ، ولا في الارض عالم روحاني^(١) .

فلما كان عالم السرطان تكونت دواب الماء وهوام الارض ، ولما استقام
الاسد في سلطانه تكونت ذوات الأربع من الدواب والبهائم .

فلما دخل سلطان السنبلة تكون الانسانان آدمانوس وحيوانوس ، وكانت
الطيور في سلطان الميزان .

وأما مقادير الكواكب عندهم . فقالوا ان الشمس اكبر من الارض بمائة
مرة وثلاث وستين^(٢) مرة ، وزحل اكبر من الارض باحدى وتسعين مرة
ونصف مرة ، والمشتري باحدى وثمانين مرة ، والمريخ بثلاث^(٣) وسبعين مرة
والزهرة بنيف وستين مرة ، وعطارد بثلاث^(٤) وثلاثين مرة وثلاث مرة ،
والقمر بسبع عشرة مرة^(٥) وربيع مرة . وكانت الشمس كالملك والدراري
كما ذكرنا .

ومن الفلاسفة من يقول ان الكواكب حية ناطقة حساسة . ومنهم من قال
ان لها حاسة السمع والبصر واللمس ، وليس لها حاسة الذوق والشم . لانها^(٦)
مشتغلة عن ذلك . ومنهم من زعم ان الفلك حي يميز لجميع ما فيه ، ذو
صورة فكذلك جميع ما فيه بهذه المنزلة .

(١) في ب وت : روحانيا . (٢) فيها : بسبعة عشر .

(٣) فيها : ثلاثة وستون ، والصحيح ما أثبتناه . (٤) ت : كأنها .

(٥) فيها : بثلاثة . في الموضعين .

وقالوا إن ضياء القمر مأخوذ من ضوء الشمس ، لأنها إذا اجتمعا لم يكن للقمر نور .

وقال قوم منهم العالم يحدث إلا أنه لا يبيد لأنه حكمة وصنعة حكيم ، والحكيم لا يفسد صنعته .

ذكر عمر الدنيا

فأما ما ذكروه من توقيت الزمان ومدته الى انقضائه ، فانهم قالوا فيه أقوالاً لا تسلم لهم ، إنما تسمع وتذكر على ما يتعجب منه لا على جهة التصديق به ، نعوذ بالله . ففي كتاب السند هند الذي عمل منه المجسطي وغيره من الزيجات أن دوران الشمس من أول سيرها من الحمل انما سيرها ينقضي على ما حسبه من الآلاف ألف ألف وأربعمائة ألف ألف وعشرون ألف دورة لكل دورة سنة ، والسنة ثلاثمائة وخمسة وستون يوماً وربع يوم .

وقالوا إن أصل الدور أربعة آلاف ألف وثلاثمائة ألف ألف وعشرون ألف ألف عند كل بدء ألف سنة .

وأما أهل الأثر ، فزعم قوم أن عمر الزمان الى آدم عليه السلام سبعة آلاف منه ، ورواية محمد بن جرير الطبري على ما قدمنا ذكره أن من آدم الى انقضاء الخلق سبعة آلاف .

وذكر طلوع الشمس من مغربها قبل انقضاء العالم .

وقال قوم : إذا بلغ القلب خمس عشرة درجة ^(١) من الأسد كان طوفان نار يحرق العالم بأسره فلا يبقى على وجه الأرض حيوان ولا في البحار ،

(١) في ب و ت : خمسة عشر .

وتبقى الارض خراباً من العالم ، ثم يستأنف الله عز وجل ما أراد في الخلق .
وكان أرسطاطاليس يرى أن الزمان لا يبيد ، ولا ينفد . وأن الطبيعة
قديمة ، وأنه لا أول لها ولا آخر ، تعالى الله جل جلاله .

ذكر الأمم المخلوقات قبل آدم عليه السلام

يقال إنه كانت الجملة ثمانياً وعشرين أمة بأزاء المنازل العالية التي يحلها
لقمر ، لأنه المستولي عندهم لتدبير العالم الأرضي باذن الله تعالى جل ذكره ،
خلقت من أمزجة مختلفة أصلها الماء والهواء والنار والارض ، فهي متباينة
الخلق .

ومنها أمة طوال خفاف زرق ذات أجنحة كلامهم فرقة ، ومنها أمة
أبدانهم كأبدان الأسد ورءوسهم رءوس الطير لها شعور وأذنان طوال
كلامهم دوي ، ومنها أمة لها وجهان قدامها وخلفها وأرجل كثيرة وكلامهم
كلام الطير . ومنها الجن . ومنها صفة الجن ، وهي أمة في صور الكلاب لها
أذنان وكلامها مهمة لا يفهم . ومنها أمة تشبه بني آدم أفواههم في صدورهم
يصفرون تصفيراً . ومنها أمة في خلق الحيات الطوال لها أجنحة وأرجل
وأذنان . ومنها أمة يشبهون نصف شق الانسان لهم عين واحدة ويد واحدة
ورجل واحدة يقفزون تقفيزاً ، وكلامهم مثل كلام الغرائق . ومنها أمة لها
وجوه كوجوه الناس وأصلاّب كأصلاّب السلاحف ، وفي أيديهم مخالب ،
وفي رءوسهم قرون طوال ، كلامهم كعوي الذئب . ومنها أمة لكل
واحد منهم رأسان ووجهان كوجوه الاسد طوال لا يفهم كلامهم ، ومنها
أمة مدورة الوجوه لها شعور بيض وأذنان كأذنان البقر يزرقون الناس من
أفواههم . ومنها أمة في خلق النساء لهم شعور وثدي ليس فيهم ذكر ،

تلقيح من الريح وتلد أمثالها ، ولها أصوات مطربة يجتمع اليها كثير من هذه الأمم لحسن أصواتها . ومنها أمة في خلق الهوام والحشرات إلا أنها عظيمة الأجسام تأكل وتشرب مثل الأنعام . ومنها أمة تشبه دواب البحر لها انياب كالخنزير بارزة وآذان طوال .

وبقية الثمان والعشرين^(١) أمة على خلق لا يشبه بعضها بعضاً إلا إنها وحشية المنظر ، ويقال ان هذه الأمم تناجحت فصارت مائة وعشرين أمة .

ذكر الجن وأجناسهم وقبائلهم

وسئل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، هل كان في الأرض خلق من خلق الله تعالى قبل آدم يعبدون الله تعالى ؟ فقال : نعم خلق الله تعالى الأرض ، وخلق فيها أمماً من الجن يسبحونه ويقدسونه لا يفترون ، وكانوا يطيطرون إلى السماء ، ويلقون الملائكة ، ويسلمون عليهم ويتعلمون منهم الخير ، ويعلمون منهم بخبر ما يجري في السماء ، ثم إن طائفة من الجن تمردوا وعتوا عن أمر الله عز وجل ، وبغوا في الأرض بغير الحق ، وعلا بعضهم على بعض ، حتى سفكوا الدماء ؛ وأظهروا الفساد ، وجحدوا الربوبية . وأقام الآخرون المطيعون على دينهم وعبادتهم وباينوا الذين عتوا عن أمر الله ، وكان يصعد إلى السموات عنها للطاعة ، وخلق الملائكة كما قدمنا ذكره روحانيين ذوي^(٢) أجنحة يطيطرون بها حيث صيرهم الله تعالى ، وأسكنهم ما بين أطباق السموات يسبحونه ويقدسونه لا يفترون ، حتى اصطفى الله تعالى منهم الملائكة فكان أقربهم منه اسرافيل ، ثم ميكائيل ثم جبرائيل صلوات الله تعالى وسلامه عليهم أجمعين .

(١) في ب ، وت : الثانية وعشرين . (٢) فيها ذو .

فصل

وأما الجن فذكرت الهند والفرس واليونان ولادات الجن وقبائلهم وأسماء ملوكهم ، وزعموا أنهم مفترقون على احدى^(١) وعشرين قبيلة ، وبعد خمسة آلاف سنة ملكوا عليهم ملكا منهم ، يقال له الملك شمائل بن أرس جن ، ثم افترقوا ، فملكوا عليهم خمسة^(٢) ملوك فأقاموا بذلك دهرأ طويلا ، ثم أغار بعض الجن على بعض ، وكانت بينهم وقائع كثيرة وحروب شديدة ، وكان إبليس منهم ، وله أسماء كثيرة باختلاف اللغات غير أن اسمه بالعربية الحارث . ويكنى أبا مرة . عظيم الخلق مطيقا^(٣) وكان يصعد إلى السماء ويقف في صفوف الملائكة ، ويحتهد في العبادة ، فلما بغى بعض على بعض ، وكانت تلك الحروب بينهم اهبط الى الأرض في جند من الملائكة فهزمهم وقتلهم ، وجعل ملكا على الأرض فتجبر وطغا ، وكان امتناعه من السجود لآدم عليه السلام . كما أنبأنا الله عز وجل في كتابه ، فاهبط في أقبح صورة وأشدّها^(٤) تشويها فأنكره جميع قبائل الجن واستوحشوا منه . فلما رأى ذلك سكن البحر ، وجعل له عرشا على الماء . ثم جعل له ولادة كما جعلت لآدم عليه السلام . فألقيت عليه شهوة السفاد^(٥) وجعل لقاحه كلقاح الطير ، وببيضه كبيضه .

وذكر بعض العلماء صنوف الجن فزعم * أن الشياطين خمس^(٦) وثلاثون قبيلة وأن الذين يطيطرون في الجو خمس عشرة قبيلة^(٧) وان الذين مع لهب النار عشر

-
- | | |
|-----------------------|--|
| (١) في الأصلين احدى . | (٥) ت : الفساد . |
| (٢) فيها : خمس ملوك . | (٦) ما بين هاتين العلامتين في هذه الصفحة والتي تليها |
| (٣) في ت : مطيقا . | مبتور في ت . |
| (٤) فيها : وأشرها . | (٦) فيها : خمسة وثلاثون . |
| | (٧) في ب : خمسة عشر ، وهو خطأ عربية . |

قبائل وأن مسترقي السمع ثلاثون قبيلة ، ولهذه القبائل كلها ملوك من كل قبيلة لدفع شرهم .

وحكي أن صنفاً من السعالي يتصورن^(١) في صور النساء الحسان ويتزوجن برجال الانس كما حكي عن رجل يقال سعد بن جبير ، أنه تزوج امرأة منهن وهو لا يعلم ما هي ؛ فأقامت عنده وولدت عنده أولاداً وكانت معه ليلة على سطح يشرف على الجبابة ، إذا بصوت في أقصى الجبابة نساء يتألمن فطربت وقالت لبعلهما أما ترى نيران السعالي شأنك وببنيك استوص بهم خيراً فطارت فلم تعد اليه .

ومنهم من تظفر^(٢) بالرجل الخالي في الصحراء أو الخراب ، فتأخذه بيده فترقصه حتى يتحير ويسقط فتمص دمه .

ومنهم صنف لا تفارق صور الحياة وربما قتلها الرجل فهلك . يحكى ان فتى من الانصار قريب عهد بعرس استأذن رسول الله ﷺ في تقدمه يوم الخندق وأن يلم بأهله فأذن له فلما انتهى إلى منزله وجد امرأته قائمة بالباب فأدركته غيرة وأهوى إليها برمحه ، فقالت له لا تمعجل وادخل حتى تنظر ما على فراشك ، فدخل فرأى على فراشه حية عظيمة ، فطعنها برمحه فقتلها ، فمات هو من ساعته

وتذكر العرب عن عبيد بن^(٣) الابرص الاسدي أنه خرج في سفر له يريد الشام مع نفر ، فلما صار ببعض الطريق إذ هو بشجاع يلهث عطشاً وخلفه حية سوداء تطرده ، فنزل^(٤) . فقتل الحية السوداء وحل أدواته ونضح على

(٣) ب ، ت : عبيد الابرص .

(١) ب : يتصورون .

(٤) ت : ثم نزل .

(٢) ب : يظفر .

الشجاع من الماء فشرب وانساب حتى دخل جحره ، ومضى عبيد حتى قضى حوائجه بالشام .

فلما انصرف أغفى وهو في مفازة فلما انتبه وجد قلوصله قد ضل ، وهو على غير الطريق فأقام مكانه فلما جنه الليل إذا بهاتف يقول :

يا صاحب البكر البعيد مذهبه ما عنده من ذي رشاد يصحبه
دونك هذا البكر منا تركبه حتى إذا الليل تولى غيبه
واقبل الصبح ولاح كوكبه فبعد حظ رحله تستلبه ^(١)

فلما سمع عبيد ذلك من الهاتف التفت ، فاذا عنده بكر كأحسن ما يكون فركبه فسار به بقية ليلته فأصبح في منزله ، وكان بينه وبين منزله إحدى وعشرون مرحلة فنزل عنها وأنشأ يقول :

يا صاحب البكر قد أنجيت من عطب ومن حمام يضل المدلج الهادي
ارجع حميداً فقد أوليتنا منناً جوزيت من رائح بالخير أو غادي
فأجابه البكر :

أنا الشجاع الذي ألفتني رمضاً ^(٢) في مهمته نازح عن أهله صادي ^(٣)
فجئت بالماء لما ضن حامله ^(٤) رويت منه ولم تلمم بأنكاد ^(٥)
الخير يبقى وإن طال الزمان به والشر أخبت ما أوعيت من زاد
ثم قال إن الاسود الذي رأيته يطردني عبد من عبيدي أراد قتلي فكفيتني شره ، وأرويتني من ظمئي ولن يضيع الخير واستخلف الله عليك .

وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: أكثر الحيوان الداجن صفة الجن، وإن الكلاب من الجن ، فاذا رأوكم تأكلون فآلقوا إليهم من طعامكم ، فان

(١) ت : فحط عنه رحله وسيبه . (٤) ب : ظن جاهله .

(٢) ب : رمضا . (٥) ب : أرويت هامي ولم تهتم بأنكاد . وفي ب أوتيت منه .

(٣) ب : ماد .

لهم أنفُساً — يعني يأخذون بالعين .

والعرب تذكر راكباً على جبل ^(١) في قدر الشاة وقد عليهم بسوق عكاظ [نادى] ألا من يهيني ثمانين بكرة هجاناً وأدماً ، فلم يجبه أحد . فلما رأى ذلك ضرب جملة ^(٢) وطار به بين السماء والأرض كالبرق ، فعجبوا منه .

فحدثهم رجل قال : لقيت رجلاً في بعض المفاوز راكباً على نعامة وعيناه مشقوقتان بطول وجهه ، فأخذتني منه روعة ثم استوقفته فقلت له : اتروي شيئاً من الشعر ؟ قال : نعم وأقرضه ، وأنشدني :

أنا ركة تحيتها ^(٣) قطام وضنا ^(٤) بالتحية والسلام

حتى أتى على آخرها فقلت له : هيات سبقك إليها أخو بني ذبيان ، فقال : أنا والله يا أخي ، نطق بها على لسانه بسوق عكاظ ، وكنت قلتها قبل ذلك بأربعمائة عام .

ويقال إن الله تعالى خلق ألفاً وعشرين أمة حذاء الكواكب الثابتة ^(٥) منها في البحر ستائة أمة ، ومنها في البر أربعمائة أمة وعشرين أمة ، أحسنها الانسان وأتمها وأحبها إلى الباري سبحانه وتعالى وأفضلها ، فانه خلق على صورة إسرافيل عليه السلام وهو أقرب الملائكة الى الله تعالى .

وفي التوراة خلق الله تعالى آدم على صورته ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ؛ وفي الحديث « لا تضربوا الوجوه فإنها على صورة إسرافيل عليه السلام » وفي الحديث « لا تلجوا بالنظر إلى وجوه المردفان فيها لمحات من الحور العين » .
ويقال أن في الإنسان من كل الخلق ، فلذلك سخر له جميع الحيوان وسلط عليها فاقتنصها وذللها ، وسخر أكثرها ، وجمع له المأكول من النبات

(٤) ت : وظننا .

(٥) ت : اليابانية .

(١) ب : حل .

(٢) في ب و ت : جملة .

(٣) في ت : تدلها .

والحيوان [البهيمة والوحشي وغيره]^(١) ، وله خلقت اللذات جميعاً ، وعمل بهذه جميع الأعمال .

وله المنطق والضحك ، والفكر والفطنة ، واختراعات الأشياء ، وله خاطب الباري عز وجل ، وعليه وقع الأمر والنهي .

والإنسان هو الذي استنبط الأشياء وجمع العلوم ، وعمل الآلات ، وأثار المعادن ، وأخرج ما في قعور البحار ، وسخر له كل شيء .

ومن المعجائب خلق النسناس وهو كمثل نصف الانسان بيد واحدة ورجل واحدة ، ويثب وثباً ويعدو عدواً شديداً ، وكان ببلاد اليمن ، وربما كان ببلاد العجم ، والعرب تصيده وتأكله . وفي بعض أخبارهم أن سيارة وقعوا في أرض كثيرة النسناس ، فصادوا واحداً وذبحوه وطبخوه وكان سمياً ، فلما جلسوا يأكلونه قال أحدهم : لقد كان هذا النسناس سمياً ، فقال نسناس آخر ، قد اختفى في شجرة بالقرب منهم : إنه كان يأكل السرو فلذلك سمن ، فنبههم على نفسه فأخذوه وذبحوه . فقال آخر من شجرة أخرى ، قد اختفى فيها عنهم : لو كان عاقلاً صمت ولم ينطق ، فأخذوه وذبحوه . فناداهم نسناس آخر تخبأ في بعض خروق الأرض : اني قد احسنت فلم أتكلم فأخذوه وذبحوه ، وكان لهم فيها قوت . وقيل إنه يفتدي بالثمار والنبات ، ويصبر على العطش .

وقيل إن في شرقي القلزم مما يلي في البحر أمة متولدة من صنف من السباع وبني آدم ، وجوهها عراض كثيرة الشعر مثل وجوه السباع ، وعيونها مدورة بصاصة ، وأنيابها بارزة طوال ، وآذانها طوال ، وأبدانها كأبدان الناس إلا

أن لهم أظفاراً كباراً ، معقفة محدودة ، وليس وراءهم غيرهم . وطعامهم دواب البحر .

ومما يشبه خلق الانسان أمة يقال لها الواق واق ، وهي حمل شجر عظام لشعورها ، ولها أيدي وفروج مثل فروج النساء وألوان ، ولا يزلن يصحن واق واق ، فان قطعت إحداهن سقطت ميتة لا تنطق .

وفي كتاب الخزانة انه من جاوز اولئك وقع الى ما هو اعظم منهم وأحسن أعجازاً وفروجاً ووجوهاً ، فإن قطعت أقامت يوماً وبعض آخر ، وربما جامعها من يقطعها ، وهي تشبه النساء ، وأطيب رائحة ، وألذ مباضعة ، وهذه الأرض أطيب رائحة من الكافور وليس بها إنس .

وإنما يحكي ذلك عنها أهل المراكب إذا سقطوا اليها ، ومنها خلق بحرية على شبه النساء يقال لها بنات الماء ، في صورة النساء الحسان ، ذوات الشعور السبط ، لها فروج عظام وندي ، كلامهم لا يكاد يفهم ، ولهم قهقهة . وحكى بعض البحريين ان الريح ألقتهم الى جزيرة فيها شجر ، وأنهار عذبة ، وانهم كانوا يسمعون ضوضاء وضحكا ، فكمنوا لهن وأخذوا منهن امرأتين فأوثقوهما .

وأقامتا مع اللذين أخذاهما يقعان عليها في كل وقت ويجدان لها لذة عجيبة ، وأن احدهما وثق بصاحبه فأرسلها من وثاقها فهربت الى البحر ولم يرها بعد ذلك ، وبقيت الاخرى ، فلما حصلت في المركب رحها صاحبها فحل وثاقها فحملت منه وولدت له ولداً ذكراً ، وانهم ركبوا في البحر فلما حصلت في المركب وقدر انها لا تزول عن ابنها ، فتغفلته ووثبت في البحر ، فلما كان بعد ذلك بيوم ، ظهرت له وألقت اليه صدفاً فيها در نفيس .

قال المسعودي رحمه الله : وقد ذكرنا طرفاً من أخبار الروحانية ، على ما

نقل إلينا والله أعلم بخلقهِ ، ومن أشياء كثيرة على طريق التعجب لا من طريق التصديق ، فمن قرأ كتابنا هذا فليعلم العذر فيما أوردناه ، وبالله التوفيق والتسديد والمعونة والتأييد .

ذكر

الأرض وما فيها

روى ابن عبد الحكم قال: خلقت الأرض على صورة الطائر رأسه وصدرة وجناحاه ورجلاه وذنبه .

فالرأس مكة والمدينة واليمن ، والصدر الشام ومصر ، والجناح الأيمن العراق إلى الوراق والقوق وأمم السند والهند ، والجناح الأيسر ناسك ومنسك ويأجوج ومأجوج ، وأمم كثيرة والذنب من ذات الحمام^(١) إلى مغرب الشمس والبحر الأسود .

وفي الحديث « إن الله عز وجل خلق مدينتين واحدة في المشرق واسمها جابلقا ، وأخرى في المغرب واسمها جابرضا ، طول كل مدينة عشرة آلاف فرسخ ، لكل مدينة منها عشرة آلاف باب ، بين كل بابين فرسخ ، للباب كل ليلة عشرة آلاف رجل لا تلحقهم النوبة إلى يوم القيامة ، وأنهم يعمرون سبعة آلاف سنة إلا ما دونها يأكلون ويشربون ويتناكحون ، وفيهم حكم كثيرة ، ولهم خلق عظام تامة ، وإن هاتين المدينتين خارجتين من هذا العالم لا يرون شمساً ولا قرأ ، ولا يعرفون آدم ولا إبليس ، يعبدون الله تعالى ويوحّدونه وإن لهم نوراً يسعون^(٢) فيه من نور العرش من غير شمس ولا قمر » .

١ (هكذا في ب و ت ، غير أن الرسم يحتمل في ب أن تكون ذلك الحرام .

٢ (في الأصلين نور .

وروي ان رسول الله ﷺ قال « مر بي جبريل عليه السلام ليلة أسري بي عليهم فدعوتهم الى الله تعالى فأجابوني فحسنهم مع محسنكم ومسيئهم مع مسيئكم » .

روى وهب بن منبه باسناد له عن النبي ﷺ أنه قال « إن لله تعالى ثمانية عشر الف عالم الدنيا منها عالم واحد، وما العمران في الدنيا إلا كخردلة في كف أحدكم » .

وقال بعض أهل الأثر فيما رواه: إن لله عز وجل دابة في مرج من مروجيه، والمرج في غامض علمه رزقها في كل يوم، مثل رزق العالم بأسره . سبحان القادر على كل شيء .

ذكر

البحر المحيط

وما فيه من العجائب

ويقال ان فيه عرش إبليس لعنه الله فوق البحر المظلم يتشبه بالباري عز وجل (١) ، ويحمله نفر من الأبالسة والعفاريت العظام لعله، ويحيط به عفاريت من الجن الذين هم في طاعته فمنهم من في لججه لا يفارقه ، ومنهم من يتصرف عن أمره، وإنه لا يزول مرتبته إلا الى من يطمع في فتنه أو عبد صالح يريد كيده ، والباقون من أعوانه الذين يسعون إلى الناس ويضلونهم ، وسجنه في جزيرة منه يحبس فيه من خالفه من الجن والشياطين .

وفيه هيكल سليمان النبي عليه السلام ، وفيه جسده وهو قصر عجيب في

(١) العبارة : يتشبه بالباري عز وجل بحيث من ب ، وقد أثبتناها كما في ت .

جزيرة ، وفيه مواضع لا تزال على مر الزمان ترمي ناراً ترتفع على مائة ذراع وفيه أسماك طول الحوت مدة أيام ، وكل صورة عجيبة مختلفات الأشكال والصفات الملونة في كل لون من الألوان .

وفيه مدائن تطفو على الماء وتغيب عنهم .

وفيه الثلاثة أضنام^(١) التي عملها أبرهة أحدها أصفر يوميء بيده كأنه يخاطب من جاوزه ، ويأمره بالرجوع . والصنم الثاني أخضر رافع يديه باسط لهما كأنه يريد إلى أين تذهب ، والصنم الثالث اسود مفلس الشعر يوميء بأصبعه إلى البحر : من جاز هذا المكان غرق ، مكتوب على صدره « هذا ما صنع أبرهة ذو المنار الحميري لسيدته الشمس تقرباً إليه » .

وحكي أن فيه كالحصون ترتفع على الماء ، ويظهر منها الصور الكثيرة وتغيب في الماء .

ويقال إن عمق هذا البحر يختلف ، فمنه ما لا يلحق قعره ولا يدري ، ومنه ما يكون سبعة آلاف باع وأكثر وأقل ، ومنه ما يكون فيه شجر كالرجان .

وأما البحر الأسود الزفتي وهو متصل به وهو شديد النتن ، وليس فيه غير القلعة الفضية ، قيل إنها معمولة ، وقيل إنها خلقة .

ويخرج من هذا البحر بحر الصين أوله من بلاد الغرب ، بحر فارس إلى بلاد الصين ، وهو بحر ضيق فيه مغايص اللؤلؤ .

وقيل إن فيه إثني عشرة^(٢) ألف جزيرة ، وثمانمائة جزيرة .

وفيه الدردور موضع يدور فيه الماء فإذا سقط فيه مركب لم يزل يدور

(١) في ب : الثلاثة أضنام . (٢) في ب : اثني عشر ، وفي ت : اثنا عشر .

فيه حتى يتلف ، وفيه كسير وعوير وهما جبلان .

وفي هذا البحر عجائب كثيرة وصور شتى وحياتان ملونة ، منها ما يكون طوله مائة ذراع ومائتي باع وأقل وأكثر يا كل بعضها بعضاً .

وفيه جزائر تنبت الذهب وبها معادن الجواهر ، وفيه ثلاثمائة جزيرة عامرة مسكونة فيها ملوك عدة .

ويقال ان في هذا البحر قصرأ^(١) من البلور ، على قلعة تضيء طول الدهر بقناديل فيه لا تنطفئ .

وبعد هذا بحر لا يدرك عمقه ، ولا يضبط عرضه ، تقطعه المراكب بالريح الطيبة في شهرين وأكثر ، وليس في البحر المحيط أكبر منه ولا أشد هولاً ، وفيه من جميع المعادن من الزمرد ومنابت القنا والخيزران ، وفيه أيضاً كل سمكة يكون طولها أربعمائة ذراع وأقل وأكثر ، وسمكة صغيرة بقدر الذراع فاذا طغت هذه السمكة وبغت وآذت سمك البحر ومراكبه سلطت عليها هذه السمكة الصغيرة فصارت في أذن هذه الكبيرة فلا تفارقها حتى تقتلها ، وربما لم تقرب الكبيرة ذلك الموضع^(٢) خوفاً من الصغيرة .

وفيه سمكة يحكي وجهها وجه الانسان تظهر في الماء ، وفيه أسماك طيارة تطير ليلاً وترعى النداء ، فاذا كان قبل طلوع الشمس رجعت الى البحر . وفيه سمكة تكتب مرارتها الكتابة فتقرأ بالليل .

وفيه سمكة خضراء دسمة من أكل منها اعتصم عن الطعام أياماً^(٣) كثيرة لا يريد ذوقه .

وفيه سمكة لها قرنان كأنها قرنا السرطان ، يرميان بالليل ناراً .

(٣) في ب و ت : أيام .

(١) في ب : قصر .

(٢) في ت : المراكب .

وفيه سمكة مدورة يقال لها المصح فوق ظهرها كالعمود ، مستحد الرأس لا تقوم لها سمكة في البحر ، لأنها تلقاهن بهذا القرن فتقتلهن ، وربما نقت به المراكب ، وقرنها أصفر كالذهب مجزع ، يقال إنه ضرب من الحوت^(١) .

وفيه سمكة يقال لها هفس من صدرها الى رأسها مثل الترس يطيف به عيون تنظر بها ورأسها طويل مثل الحية في طول عشرين ذراعاً^(٢) بأرجل كثيرة مثل أسنان المنشار من صدرها الى آخر الذنب ، فليس تتصل بشيء إلا أتلفته ولا ينطوي ذنبها على أحد إلا أهلكته ، ويقال إن لحمها يشفي من كل الاوصاب ، وقليل ما يوجد وفيه عنبر .

وبجر آخر يقال هر كند فيه جزائر كثيرة وفيه سمك ربما ينبت على ظهره الحشيش والصدف ، وربما أرسا عليها أصحاب المراكب فيعتقدون أنه جزيرة فاذا فطنوا به أقلعوا عنها وربما نشر هذا السمك أحد جناحيه الذي في صلبه ، فيكون كالجلبل العظيم ، واذا رفع رأسه من الماء فيكون كالجلبل عظماً ، وربما اذا رفع أذنيه فيكون مثل المنارة العظيمة ، فاذا سكن البحر جر السمك بذنبه ثم فتح فمه فينزل السمك الى حلقة كأنه ينزل الى بشر ، ويقال له العنبر طوله ثلاثمائة ذراع .

واهل المراكب يخافون منه ، فهم يضربون بالليل بالنواقيس^(٣) مخافة ان يتكبيء على المركب فيغرقه .

وفيه حيات عظام تخرج الى البر فتبتلع الفيلة ، وتلتف على صخور في البر فتكسر في أجوافها ويسمع لها صوت هائل ، وفيه حية يقال لها الملكة لا تظهر إلا مرة واحدة ، وربما احتال فيها ملوك الزنج فأخذوها وتطبخ حتى

(٣) في باء : نواقيس .

(١) العبارة عن ت .

(٢) في باء و تاء : عشرون ذراع .

يخرج ودكها ويدهن به الملك فتزيد في قوته ونشاطه ويستعمل من جلود هذه الحية - وهي منمرة - فرش اذا جلس عليها صاحب السل ذهب عنه السل، ومن جلس عليه أمن السل أن يصيبه أبدا .

وريح هذا البحر من قعره، وربما ألقى عند اضطرابه ناراً لها ضوء شديد. والبحر الرابع يقال له دواخذ^(١) وبينه وبين بحر هر كند^(٢) جزائر كثيرة، يقال [إنها] ألف وتسعمائة جزيرة، ويقع بين هذه الجزائر عنبر كثير وهذا العنبر^(٣) ينبت في قعر البحر نباتاً، فاذا اشتد هيجان البحر قذفه من قعره، فيرتفع مثل الرمل والحماة، وهو عنبر دسم .

وقرأت في كتاب الطيب الذي ألفه ابراهيم بن المهدي، أن أحمد بن حفص العطار قال كنت في مجلس أبي اسحق وهو يصفى^(٤) عنبراً قد أذابه، وقد أخرج ما كان فيه من الحشيش الذي على خلقة مناقير الطير، فسألني فقلت هذه مناقير الطير الذي يأكل العنبر اذا رائته دوابه، فضحك أبو اسحق وقال هذا قول تقوله العامة . ما خلق الله دابة تروث العنبر، وما العنبر إلا شيء يكون في قعر البحر .

ولقد عني الرشيد بالمسألة عن العنبر، فأمر حماداً البدوي^(٥) في البحث بالمسألة، فكتب اليه أن جماعة من أهل عدن أعلموه أنه شيء يخرج من عيون في قعر البحر تقذفه الريح بالأمواج، كما تخرج أرض هتبة القار وهي أرض الروم الزفت الرومي .

وآخر جزائر هذا البحر بسرنديب في بحر هر كند وهي رأس هذه الجزائر كلها، وفي سرنديب أكثر مغايص اللؤلؤ ونبات الجوهر، وبحر

(١) في ت : دواخذ. (٣) ب : عنبر. (٥) ت : حماد، ونقطة الجيم في ب كالمحوة.
(٢) في ت : هر كند. (٤) ب : يصلي.

سرنديب طرق بين جبال ، وهي مسالك لمن أراد بلاد الصين ، وفي جبال هذا البحر معادن ذهب فيه أيضاً مغايص اللؤلؤ ، وفيها بقر وحشية وخلق مختلفة الصور ، ويسلك من هذا البحر الى بلاد المهرج وربما أظلت السحاب هذا البحر يوماً وليلة ، ولا ينقطع عنه المطر ولا تظهر حيتانه ودوابه ، وتخرج منه الى بحر الصنف ، وفيه يكون شجر العود وليس فيه أحداً يعرفه ورأسه تخرج من قرب الظلمة الشمالية وتمر أيضاً على بلاد الواق .

وفيه ملك الجزائر الذي يدعى المهرج ، وله من الجزائر والأعمال ما لا يحصى كثرة ، ولو أراد مركب من مراكب البحران أن يطوف بجزائره في ستين كثيرة لم يقدر أن يطوفها ، وللكه جميع أقارب الطيب والكافور والقرنفل والصندل والجوزة والبساسة والقاقلة والعود ، وليس للملك من الملوك ما للملك هذا البحر من أصناف الطيب ، ويقال إن فيه قصرأ أبيض يسير على الماء ويتراعى لأصحاب المراكب في السحر فيتباشرون به إذا هم أبصروه ويكون لهم دليل السلامة والربح والفائدة .

وفيه جزيرة برطایل ، فيها جبال مسكونة يسمع فيها بالليل والنهار العزف والطبول والأصوات المنكرة ووجوه أهلها مثل المجان المطرقة ، وهم غرقو الآذان وأكثر البحريين مجمعون على ان الدجال فيها ، ومنها يخرج إذا بلغ منتهاه .

وفيه يباع القرنفل ، ويشترونه التجار من قوم لا يبصرونهم وفيه البراقية^(١) وهي مدينة لطيفة من حجر أبيض براق يسمع فيها ضوضاء وأصوات ، ولا يرى بها ساكن وربما نزل اليها البحريون وأخذوا من ماءها فوجدوه أبيض^(٢) زلالا حلوا الطعم فيه روائح الكافور .

(١) في ب: البرابة . (٢) ب: أبيض . وت : بيضا .

ومنه جزيرة بها مساكن وقباب بيض تلوح وتتزايا ^(١) للناس فيطمعون ^(٢) فيها وكلما قربوا منها تباعدت منهم فلا يزالون كذلك حتى يأسوا منها فينصرفوا عنها .

ويتصل هذا البحر بالواق ، ويقول البحريون انهم لا يعرفون منتهاه غير أن اقصاه جبال تتوقد ناراً ليلاً ونهاراً يسمع لها قواصف مثل قواصف الرعود من شدة التهابه ، وربما سمعوا من تلك النار صوتاً عرفوه يدل على موت ملك من ملوكهم أو كبير من كبارهم ، وبحر هذا الموضع لا يدرك قعره .

وبعد بحر الصنف الذي ذكرناه بحر الصين ، وهو بحر خبيث بارد ليس في غيره من البحار مثل برده ، ويقال : إن ريحه من قعره ، ويقال إنه بحر مسكون له أهل في بطن الماء .

واخبر الثقة من أصحاب البحر انهم يرونهم إذا هاج البحر في جوف الليل كهيئة الريح ، ويطلعون إلى المراكب ، وليس يكون ذلك الا عند هيجان البحر .

وذكر البحريون أنهم لا يعرفون بعد بحر الصين بجزراً يسلك ، وهو بحر يغلي كما تغلي القماقم ، وليس صفة ما به كسائر البحار .

وفي بحر الصين سمكة مثل الحراقة ^(٣) يرمي بها الماء إلى الساحل ، فإذا انجذرت ^(٤) الماء بقيت على الطين ، فلا تزال تضطرب مقدار نصف نهار ، ثم تنسلخ في اضطرابها ذلك ، فيخرج لها جناح فتستقل به فتطير .

وزعموا أن عرض بلاد الصين الذي تمر عليه المراكب ألف وخمسمائة فرسخ وفي هذا البحر يرى وجه عظيم على صور الناس إلا أنه أعظم منه ، مستدير

(١) لعل الصواب وتترايا . (٢) في ب : فيطمعون .
(٣) في ت : الجزافة . (٤) جذر .

يشبه لون القمر ، يغطي ما بين جبلين وأبواب الصين في البحر بين كل جبلين فرجة .

وقيل ان بمدينة بقمولية^(١) وهي القسطنطينية الأولى كنيسة في جوف البحر وربما تنكشف يوماً في السنة فيحج أهل النواحي اليها ويستعدون لها قبل ذلك فيقيمون فيها يومهم ويتفرقون ويهدون اليها بدنهم^(٢) فاذا كان العصر بدا الماء في الزيادة فينصرفون ويبادرون الخروج عنها ولا يزال الماء يغطيها فتغيب الى رأس السنة أيضاً .

ويقال إن في بحر الهند حيواناً^(٣) يشبه السرطان ، فاذا خرج من الماء صار حجراً يتخذ منه كحل لبعض علل العين .

وأما بحر المرجان فهو في بحر الأندلس خاصة ، ينبت في قعره مثل الشجر فما بعد منه عن درك الغواصين يحتمل في قلعه ، بأن يربط بالشرائط في كتان القنب ، ويثقل بالرصاص ويدلى حتى يصل إلى الشجر ، ثم يحرك المركب بالجذب ، وتلك منوطة بها يمنة ويسرة حتى يعلم تشبكها في اغصان المرجان ، ثم تقلع الشرائط ، فيوجد المرجان قد اتخذ ، وله نفاق كثير بالحجاز والهند والصين ، وفيه عنبر كثير ، وفيه سمك من أكل منه رأى كأنه ينكح ، وفيه سمك في صور الناس .

خبر تنيس

أما خبر تنيس فكانت جنات وكرومات ومنتزهات وكانت مقسومة بين ملكين من ولد ابريت بن مصر ، وكان احدهما مؤمناً ، والآخر كافراً ،

(١) ت : نقمولية. (٣) ب ، ت : حيوان.

(٢) في ب ، ت : بدونهم ، والصواب بدنهم جمع بدنة .

فأنفق المؤمن ماله في وجوه البر حتى باع حصته منها من أخيه ، و فرق الذي أخذ بها في وجوه البر فأفلحها ، وزاد فيها عروشا كثيرة ، وأجرى فيها أنهاراً ، وبنى فيها بنيانا ، واحتاج أخوه إلى ما في يده فكان يمنعه ويفتخر عليه بما له ، من المال والجنة فخاطبه أخوه في بعض الأيام مبسطاً عليه ، فقال له : أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً ، فقال له أخوه : فما أراك شاكراً لله تعالى على ما أعطاك ، ويوشك أن ينزع ذلك منك ، ويقال إنه دعى عليه ففرق ماء البحر جميع ما كان له في ليلة واحدة حتى كان لم يكن قبل ذلك . وقيل إن هذين الرجلين اللذين ذكرهما الله تعالى في كتابه فقال (واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين إلى قوله أحداً) وكانت تنيس عظيمة ، لها مائة باب وبقي ذكرها عند ذكر مدائن مصر إن شاء الله تعالى .

وقيل إن بحيرة تنيس تعذب وقت مجيء النيل وتقيم ستة أشهر حلوة ثم تملح وبالقرب [منها] عين لا يخرج ماؤها إلا عند أوقات الصلوات فيتوضأ منها ثم تفيض لذلك عند وقت كل صلاة ، وهي معروفة تسمى عين الأوقات . ولأهل الهند نهر عظيم معهم ^(١) عليه شجرة باسقة من حديد أو نحاس ، وتحتها عمود من نحاس أو حديد مثبت في الأرض مسائل إلى الماء طوله على الأرض عشرة أذرع وعرضه نحو الذراع ، ويزيد قليلاً ، في رأسه ثلاث شعب غلاظ مستوية محدودة كالمنار ، وعنده رجل يقرأ كتاباً ويقول للنهر : يا عظيم البركة ، وسيل الجنة ، أنت الذي خرجت من عين الجنة ، ودلت الناس عليها ، فطوبى لمن صعد هذه الشجرة وألقى نفسه على هذا العمود ، فينتدب الواحد لذلك والعدة ممن حوله ويصعدون على تلك الشجرة ، ويلقون أنفسهم

(١) لعل الصواب مهم .

على العمود فيقطعون * قطعاً ويقعون على الماء فيدعون لهم أصحابهم بالطوبى والمصير الى الجنة واللذة .

ولهم نهر مكران الذي مد النيل ^(١) فيما ذكروا منه ، وقالوا إنه يخرج من الجنة ، وإنه لو لم ينجس بالذنوب لما كان [يموت] ^(٢) من شرب منه . ولهم نهر آخر من سنتهم أن يحضره رجال بأيديهم سيوف قاطعة ، فإذا أراد الرجل من عبادهم أن يتطهر ويتقرب الى الباري سبحانه ، أتى في جماعة يأخذون ما عليه من الحلى واللباس وأطواق الذهب والأسورة والقراطق لأن أبناء الملوك كثيراً ^(٣) ما يخرجون إلى هذا النهر ثم يطرحونه على لوح عظيم ويأخذون بأطواقه ويضربونه بسيوفهم ويقطونه نصفين فيلقون أحد النصفين في هذا النهر والنصف الآخر في بحر كند ^(٤) ويزعمون أن هذين النهرين يخرجان من الجنة .

وفي جبال سرنديب وادي الماس وهو بعيد القعر وبه حيات عظام مؤذية فإذا أرادوا إخراج الماس طرحوا فيه ما أمكنهم لحماً حاراً طري السليخ ، فترى نسور تلك الجهة وهي به كثيرة ، ذلك اللحم فتتنقض عليه وتأخذه وترفعه إلى حيث تأكله خوفاً من حيات الوادي ، فيقصد طالب ذلك إلى موضع المأكول فيجدون بها ما تعلق باللحم من الماس على قدر العدسة والفولة والحصى ، وأكبر ما يجدونه قدر الباقلا ، ويتخذ منه الملوك فصوصاً لخواتم يلبسونها .

وذكر صاحب المنطق أن من الماس حجارة كبار إلا أنه لا يوصل اليها لأجل الحيات التي في ذلك الوادي .

(١) ب : مكرم ان الذي يد منه فيما ذكروا . (٣) في ب : كثير .

(٢) لمن ت ما بينها سقط في ت . (٤) في ت : الكند .

وبالهند وادي القرنفل ولم يدخل اليه من التجار ولا ممن سلك البحار ولا ذكروا أنهم رأوا شجرة ، وإنما تبينه الجن فيما يقولون الناس يرسون بالمراكب في جزيرتهم ، ويعملون بضاعتهم على الساحل ويعودون الى مراكبهم فيكونون بها ، فإذا أصبحوا جاءوا فوجدوا الى جانب كل بضاعة جزءاً من القرنفل وربما ترك البضاعة والقرنفل إذا طلب الزيادة فربما يزداد فيه .

وذكر عن بعض الناس أنه طلع الى الجزيرة وأمعن فيها فرأى قوماً صفرأ بغير لحى ، في زي النساء ، ولهم الشعور فغابوا عنه ، وأن التجار أقاموا بعد ذلك مدة يترددون إلى ساحل تلك الجزيرة ، فلا يخرج اليهم بشيء من القرنفل ، فعملوا أن ذلك من اجل من كان نظر اليهم ، ثم عادوا بعد سنين إلى ما كانوا عليه .

ويقال إنه إذا كان رطباً كان حلو المطعم يأكلون منه فلا يمرضون ولا يهربون ، وذكر أن لباسهم من ورق شجر عندهم فهم يلتحفونها ولا يعرفها الناس . وأما الجزائر فذكر بطليموس أن في البحر الاخضر سبعاً وعشرين الف جزيرة عامرة وغير عامرة ، منها جزيرة فيها أمة من بقايا النسناس ، ولهم شجر يقال له اللوب يأكلون ثمره ويلتحفون بورقه ويأكلون لحوم الدواب البحرية .

وجزيرة المرجان فيها شجر المرجان في ضحضاح بين الملوحة والعدوية ، وقد اطلعت رؤوساً مشعبة ، فإذا سقطت اليها مراكب أخذوا من ذلك المرجان ما قدروا عليه .

وجزيرة في وسطها كالصنم العظيم من حجر أسود براق لا يدري ما داخله وحوله أموات وعظام كثيرة .

وقد كان بعض الملوك سار اليها فلما نزل عليها وقع على أصحابه النعاس ،
وخدر الاجسام ، وضعفت أنفسهم ؛ ولم يقدرُوا على الحركة ، فبادر من حضر
منهم الى المراكب ، وهلك من أخذ منهم الى المقام والتخلف .

ويقال ان ذا ^(١) القرنين لما صار الى الظامة مر بجزيرة فيها أمم رؤوسهم
رؤوس الكلاب العظام ، بادية أنيابهم ، يخرج من أفواههم لهب النار ،
يخرجون الى المراكب فتعاربوه وحاربهم وتخلص منهم ، وسار فرأى نوراً
ساطعاً فقصدته فاذا هو [قد] بلغ جزيرة القصر وهذه الجزيرة في وسطها
قصر مبني من البللور الصافي على شاطئ البحر ، فأراد النزول بها فمنعه من
ذلك بهرام فيلسوف ^(٢) الهند ، وعرفه ان من نزل اليها وقع عليه النوم
وغرب ^(٣) عنه عقله ، ولم يستطع الخروج عنها حتى يهلك .

ويقال انه ظهر بها قوم قد صار لباسهم ورق الشجر ، فسأل بهراماً عن
مقامهم فيها كيف امكنهم على ما ذكره ، فأخبره بهرام ان بها ثمرأ اذا
أكلوه زال ذلك عنهم .

وذكروا أنه إذا كان الليل ظهر بشرافات ذلك القصر مثل المصابيح
تسرج الى الصبح ثم تخمد نهارها الى الليل ثم تسرج ايضاً .
وفي هذا البحر جزيرة بيضاء واسعة وبها ماء وشجر ^(٤) وفيها قوم شقر
وجوههم فيما وراءهم ^(٥) وهم عراة ، وللواحد منهم ذكر وفرج ^(٦) امرأة

(١) ب : ذي ، ت : ذو . (٤) ب : ماء وأشجراً .

(٢) في ب : بهرام فيلوس . (٥) ت : وجوههم في صدورهم .

(٣) ب : أخذه وعزم عنه عقله . (٦) ت : فرجان فرج ، وفرج امرأة .

يتكلمون بمثل كلام الطير وطعامهم من نبات يشبه القطور ^(١) والكمأة ويشربون من غدران هناك .

وجزيرة التنين فيها جبال وأنهار وزروع وهي عامرة وعلى مدينتهم حصن عالي ، وكان بها تنين عظيم قد سام ^(٢) أهلها [أقبح] سوم فيقال إن الاسكندر وصلها ، وإن أهلها استغاثوا به ، وذكروا عنه أنه أتلّف مواشيم حتى جعلوا له ضريبة في كل يوم ثورين ينصبوهما قرصاً من موضعه ، فيخرج فيبتلع الثورين ويعود الى موضعه ، ثم يعود من غد ، فقال لهم أروني مكانه ، فلما أصبح أوقفوا الاسكندر في موضع يشرف عليه ونصبوا له الثورين ، فأقبل كأنه سحابة سوداء وعيناه كالبرق ، والنار تخرج من جوفه فابتلع الثورين ، وعاد الى موضعه ، فأمر الاسكندر بثورين عظيمين فسلخهما ، ثم أمر فلئت جلودهما زفتاً وكهريتاً وجبساً وزرنيخاً ، ومزج تلك الاخلاط كلاليب حديد واجساداً ، ثم نصبها في ذلك الموضع ، فأقبل التنين على عادته فابتلعها ومضى لوجهه ، فلم يلبث الا قليلاً فاضطربت تلك الاخلاط في حلقة فخر مستلقياً لا يملك من نفسه ، وفتح فاه ليستروح ، فأمر الاسكندر بقطع الحديد فأحميت وجعلت على ألواح من حديد فقذفت في حلقة فمات في الوقت ، واستراح اهل ذلك البلد منه وفرحوا لموته وانكفأوا ^(٣) للاسكندر وحملوا اليه من طريف ^(٤) ما عندهم .

وكان فيما حملوه اليه دابة في خلق الارنب وبرها ^(٥) 'صفر يبرق كما يبرق الذهب يسمونه بتراح' ^(٦) وفي رأسها قرن واحد أسود ، فاذا الاسود والسباع

(١) ت : القطن . (٤) ت : ظرائف .

(٢) ب : سام : أهلها سوم ، ت : شام : (٥) في ب : شعرها .

أهلها أقبح شوم . (٦) في ت : نفواخ .

(٣) ت : وأظافوا - أهلها : وأضافوا . (*) ما بينها وبين ** سقط في ت .

والطيور والوحش هربوا منها ، وكذلك كل دابة تراها تهرب منها ، وتفر بين يديها .

وفي هذا البحر جزيرة تظهر ستة اشهر وتغيب ستة أشهر بكل من فيها وتعود إلى هيئتها ، وقيل إنها جزيرة مدبرة .
وجزيرة ملكان، وملكان دابة عظيمة بحرية ، قد استوطنت تلك الجزيرة ،
ولهذه الدابة رؤوس كثيرة ، ووجوه مختلفة ، وأنياب معقفة ، وليس لها طعام إلا ما تصيده من دواب البحر .

وقيل انها مركب لبعض ملوك الجن من اهل البحر ، لأن لها جناحين إذا أقامتهما ، وجعت بين رأسيهما صارا كأنهما رف يلتبس بظل من الشمس * *
وذكرتها الأوائل ، وزعموا أنها بقدر الجبل ، وجزيرة ملكان فيها أمة مثل خلق الإنسان إلا أن رؤوسهم مثل رؤوس الدواب يغوصون في البحر ويخرجون^(١) بما قدروا على إخراجه من دواب البحر فيأكلونه .

وجزيرة صيدون، وصيدون هذا ملك وهذه الجزيرة مسيرة شهر في مثله، وكان بها عجائب كثيرة وأشجار وأنهار ، وكان في وسطها مجلس على عمد مرمر ملون ، وكان المجلس من ذهب مفصل بأنواع الجوهر يشرف على هذه الجزيرة وقيل إن هذا الملك كان ساحراً : وكانت الجن تطوف به وتعمل له العجائب فدل بعض الجن سليمان عليه السلام عليه فغراه سليمان وخرب الجزيرة وقتل أكثر أهلها ، لأنهم كانوا يعبدونه ، وأسر منهم خلقاً كثيراً وآمن به أكثرهم ، وأسر ابنة لصيدون لم يكن على وجه الأرض في زمانها أجمل منها ولا اكمل كلاً وظرفاً وحلاوة ، فاصطفاها سليمان عليه السلام لنفسه وتزوجها وكانت تديم البكاء والحزن لمفارقتها للملك أبيها وغضارة نعيمها وأنس حشمها وخدمها وأهلها ، فقال لها سليمان عليه السلام : ما لي أراك

بهذه المنزلة من الحزن وأنا خير لك من أبيك ملكي أجل من ملكه . قالت :
 أجل ، ولكني إذا ذكرت كوني مع أبي وأنسي به هاج لي ذلك وجدأ فلو
 أمرت الشياطين ان يصوروا لي صورته ، فلعلي إذا رأيته سلوت فأمر سليمان
 فصوروا لها صورة ابياها في مجلس يشبه المجلس الذي كان فيه ، ويقال ان
 الذي صورته شيطان كان يصحب أباه ، وقيل انه هو كان أشار عليها بذلك
 حتى سألت سليمان عليه السلام ذلك ، فأمر الشياطين بعملها فكان في مقاصرها
 التي اسكنها سليمان عليه السلام في قصر بناه لها ، وقد غرس فيه بدائع
 الشجر وفجر الأنهار في قنوات ذهب وفضة مطوقة بأصناف الجواهر على
 النعت الذي كان رآه لأبيها في مساكنه ، فعمدت الى تلك [الصورة] فألبستها
 أصناف الثياب الفاخرة المنسوجة بالذهب المزينة بأنواع الجواهر ، وجعلت على
 رأسه اكليلاً من الجواهر النفيس ، وتوجته بتاج من ذهب منظوم بالجواهر
 الملون وأجلسته في صدر المجلس وجعلت حوله مخاد الديباج ووقدت بين
 يديه مجامراً من العود والعنبر ، ونثرت عليه سحيق المسك ، وفرشت بالبعد
 منه بحيث تحاذيه اصناف الأفاويه والريحان والزعفران ، وكانت تدخل عليه
 بكرة وعشية ، فتسجد له مع جميع وصائفها وخدمها ، لما كانت تصنع
 لابياها ، وخرج الخبز واتصل بأصف بن برخيا ، وكان من قراء سليمان عليه
 السلام وكاتبه وهو الذي كان عنده علم من الكتاب ، وهو الذي احضر
 عرش بلقيس وكان عنده علم موضع المرأة من قلب سليمان وجبه لها فلم يدر
 كيف يدخل الى تعريفه بذلك الى أن اتجه له الأمر [في ذلك] ^(١) فقال
 لسليمان يا نبي الله : اني سائلك شيئاً . قال : سل . قال اني قد كبرت
 ولست آمن ان يفجأني الموت ، وقد أردت ان اقوم مقاماً اذكر فيه الأنبياء
 واثني عليهم واصف فضائلهم ، فلتأمر باحضار الناس وتجمع وجوه بني

اسرائيل ، فيجلسون في مراتبهم ، وتنصب لي منبراً أرقى عليه واتكلم بما يمكن ان يحضرني من الكلام في النحو الذي اريد الكلام فيه ففعل سليمان عليه السلام ذلك .

فقام على المنبر خطيباً فحمد الله وأثنى عليه وأقبل يذكر الأنبياء واحداً بعد واحد ، فيثني على من ذكره منهم في صغره وكبره ومدة أيامه إلى أن ذكر داود ، فأثنى عليه واستغفر له حتى مات ، ثم ذكر سليمان فأثنى عليه في صغره خاصة ولم يذكره بشيء في كبره ، ولا ذكر شيئاً من أيامه بخير ولا بشر . فأحفظ ذلك سليمان ودعاه ^(١) لما فرغ فقال له سليمان أخبرني عنك يا آصف سمعتك ذكرت جميع الانبياء فأثنت عليهم في أيامهم وفي جميع احوالهم ، فلما بلغت ذكرني أثنت عليّ صغيراً وتركتني كبيراً فلم فعلت هذا ؟ فقال له ذكرت ما علمت ، فلما ألح عليه قال وبما استحققت ^(٢) أني أثني عليك في أيامك هذه ؟ فقال له وما الذي صنعت فيها ؟ قال لأن غير الله يعبد في دارك منذ اربعين يوماً ، وما هذا جزاء نعمته عليك ولا شكر تملكه لك ما ملكك وأباك من قبلك ، فاستغفر سليمان وقال صدقت ودخل فعاقب المرأة وكسر الصنم وهرب شيطانه فظفر به بعد ذلك وحجسه .

ويقال إن ذلك الصنم كان يخاطب المرأة بلسان ابنيها ، ويقول لها قد أحسنت فيما فعلت ، وكان يغويها ذلك بالسجود فعنف الله سليمان لذلك ، وأخذت الجن خاتمه وخرج من ملكه ، وكان يطوف في بني إسرائيل فيذكرونه ، ثم سأل الله فرد ملكه وخاتمه بعد اربعين يوماً ، وهي عدد الأيام التي سجدت المرأة فيها للصنم وقيل إن المرأة ماتت وكان ولد سليمان عليه السلام منها .

ومنها جزيرة الرود وهم خلق لهم أجنحة وشعور وخراطيم ضيقة ، يشون

(١) في ب ، وت : ودعا . (٢) في ب : استحققت ، وت : استحققت .

على رجلين وعلى أربعة ، ويطيرون ويمودون إلى الجزيرة ، وقيل إنهم من الشياطين الأول .

ومنها جزيرة القاس وهو ^(١) دابة مالملة كالكرة تصبح صياحاً شديداً ، ولا يدري من أين يخرج صياحه ، ويقال إنها تقيم ستة أشهر في البحر وستة أشهر يكون ظاهراً في تلك الجزيرة ، ولا يعرف ما هو ولا أي شيء يأكل ، ولا من أي موضع يأكل .

ومنها جزيرة مر بها قوم ، وقد هاج عليهم البحر وعظم ، فنظروا فإذا شيخ أبيض الرأس واللحية ، وعليه ثياب خضر مستلق على وجه الماء ، وهو يقول سبحان مدبر الامور ، وعالم ما في الصدور ، وألجم البحر بقدرته على أن لا يفور ، سيروا بين الشمال والشرق حتى تنتهوا الى جبال الطوق ، فاسلكوا وسطها تسلموا من الفرق .

ففعّلوا ذلك فإذا هم إلى مدينة بها أمة طوال الوجوه ، معهم قضبان الذهب يعتمدون عليها ، ويحاربون بها وطعامهم الموز والقسط ، فأقاموا عندهم شهراً وأخذوا القضبان الذهب التي ^(٢) عندهم ، فلم يمنعهم ، ثم ساروا على ذلك السمت فخلصوا .

ويقال إن الرجل الذي أرشدهم الخضر عليه السلام وإن هذه الجزيرة مكانه وهي وسط البحر الأعظم .

وذكر بطليموس أن في بحر الشرق والصين ثلاث عشرة ألف وسبعمائة جزيرة ، وذكر بعضها .

منها جزيرة سرنديب ، يقال إنها ثمانون فرسخاً في مثلها ، ونقول أهل الهند إن بها الجبل الذي اهبط الله تعالى عليه آدم عليه السلام تراه أهل المراكب على أيام .

(١) في ب ، ت : وهي . (٢) في ب : الذي .

وتذكر البراهمة^(١) أن عليه قدم آدم عليه السلام مغموسة وهي سبعون^(٢) ذراعاً وأن على هذا الجبل مثل البرق ليلاً ونهاراً فلا يمكن احد من النظر إليه ، وأن آدم عليه السلام خطا فيه إلى البحر خطوة واحدة ، وهي على مسيرة يومين ، وحوله ألوان الياقوت والأشياء^(٣) كلها وعليه اصناف العطر والأفاويه ، ودواب المسك . وارضه السنبادج ، وفي أوديته الماس ، وفي أنهاره البلور ، وحوله في البحر غوص اللؤلؤ .

ويتصل بها جزيرة الرامي ، والرامي مدينة بالهند ، وبها الكركند ، وفيها البقم ؛ وعروقه دواء من السم لساعته ، وقد جربه البحريون من سم الافاعي والحيات .

وبها جواميس لا أذئاب لها ، وناس عراة في غياض لا يفهم كلامهم ، وهم متوحشون من الناس ، وطول الواحد منهم اربعة اشبار ، وللرجل منهم فرج صغير ، وكذلك المرأة . وشعورهم زغب احمر ، يتسلقون على الشجر من غير أن يستعينوا بأيديهم ، وهم يلحقون المراكب سباحة وهم في سرعة الريح يبيعون العنبر بالحديد ، ويحملونه في أفواههم ، ويقرب من هؤلاء قوم سود ، وشعورهم مفلقة ؛ يأكلون الناس أحياء إذا ظفروا بهم يشرحونهم تشريحا ، ولهم فيها جبل طينه فضة ، إذا أصابته النار ذاب .

ويتصل بها ارض الكافور ، وهو شجر نبت بها تظل الشجرة منها مائة إنسان وأكثر ، تثقب الشجرة فيسيل منها ماء يملأ عدة جرار ، ثم يكون ذلك ماء الكافور ، والكافور صمغ يخرج على اغصانها قطعاً ، وخشبها ابيض خفيف .

وفي هذه الجزيرة عجائب كثيرة بحريات ، وأطياف عجيبة ، وغير ذلك من العجائب .

وجزيرة كله وهي جزيرة كبيرة يسكنها الهند ، وفيها معدن الرصاص

(١) ب : في البراهمة . (٢) في ب : سبعين . (٣) الذي في ب : وللأشياء .

القلعي ومنابت الخيزران وهو عن يمينها على يمين منها .
وجزيرة مالو عن ، وأهلها يأكلون الناس ، وبها موز كثير وكافور
ونارجيل وقصب سكر وأرز .

وجزيرة خاقه وبها مدينة سلاهيظ وبها ملك يسير أحسن سيرة ، لباسه
الثياب المذهبة ، وعلى رأسه قلنسوة من ذهب ، مكلمة بغرائب الجواهر ،
وبها نارجيل وموز وسكر وصندل وسنبل وقرنفل .
وبجذائها جبل في ذروته نار تتقد مقدار سمكها علو مائة ذراع في مثلها
فهي بالليل نار ، وبالنهار دخان .

وجزيرة الطيب من هذه خمسة عشر يوما ، من البحر ، فيها من كل الأفاويه
وفي مملكة المهرج جزيرة ، يقال لها فرطائيل يسمع منها الطبول والعزف
والزمر وأصناف الغناء ، والبحريون يقولون إن الدجال فيها ، وبالقرب منها
موضع في البحر يخرج منه خيل لها أعراف تجرها في الأرض .
وجزيرة ميمونة في طريق الصين ، فيها العود والكافور ، ومنها إلى قماري
إلى الساحل أيام سيرة وبقماري العود القماري والصندل .

وجزيرة الصندل على الساحل ، وبها العود الصنفي ، وهو عندهم أفضل من
العود القماري ، لأنه يفرق في الماء لجودته وثقله ، وبها بقر وجواميس .
وبلاد الواق وجزائرها في مشارق الصين وهي كثيرة الذهب ، حتى إن
مقاود دوابهم وسلاحهم وسلاسل كلابهم ذهب ، ويعملون القصب المنسوجة
بالذهب ذات التماثيل العجيبة .

ومن هذه النواحي يجنى العود والمسك والآبنوس والدراسيني ، وأصناف
التجارات والمعائب .

وجزيرة الزنج وفيها أمم مختلفو^(١) الأشكال والاخلاط ، وملوك مختلفة

(١) في ب : مختلفي .

المعاني والمذاهب ، وفيها أصناف من الدواب .
وفي بحر الزنج جزائر كثيرة يستخرجون منها الودع والحزونات الملوونة ،
وهم يلبسونها مثل الحلى . ويدفنون انياب الفيلة ، فاذا عفنت أتى تجارها من
الهند والسند فاشتروها منهم .

وفي بحر هر كند على ما ذكره بطليموس وجماعة من البحريين ألف وسبعمائة
جزيرة عامرة سوى الخراب ، ويملك هذه الجزائر كلها امرأة ، ويقع إليها
عنبر كثير ، وربما وقع إليها القطعة بقدر البيت أو نحوه ، وإنما يخرج هذا
العنبر إذا هاجت الرياح من قعر البحر رمت من تحته فقفزت به إلى السواحل .
وهذه عامرة بالناس وتجارتهم الودع ، ويدخره ملوكهم في خزائهم ، وهو
أكبر عددهم ويقال إن هذا الودع يأتيهم على وجه الماء وفيه روح ، فيأخذون
شقف النارجيل فيطرحونها على وجه البحر ، فيتعلق هذا الودع بها فيأخذونه
منه ويجمعونه .

وملك المهرج عظيم مملكته ليس في البحر بالشرق أكثر من جزائره ، ولو
شاء إنسان أن يركب مركبا ، ويطوف بها لم يدرها في سنين كثيرة .
وهو بحر لا تحصى عجائبه ، وعند ملوكه جميع الأقاويه من الكافور
والقرنفل والجوزة والبسباسة والقاقلة والكبابة والعود ، وليس لغيره من الملوك
ما له من العطاء ، ولا يشاركه في ذلك احد منهم ببلاد الصين ، يقال إن بلاد
الصين ثلاثمائة مدينة ونيف ، عامرة كلها سوى القرى والأطراف والجزائر ،
وأبواب الصين اثنا عشر ^(١) بابا ، وهو جبل في البحر بين كل جبلين منها فرجة
وبحر يصار منه إلى موضع مدينة من مدائن الصين المعروفة الكبار .

وهذه الجبال التي تمر بينها المراكب مسيرة سبعة أيام فاذا جاوزت السفينة
هذه الابواب صارت في بحر فسيح وماء عذب ، وصارت كذلك حتى تسير الى

(١) في ب : اثني عشر .

الموضع الذي تريده من بلاد الصين .

وأول مرسا تنزله خائفوا وماؤها عذب من أنهار عذبة وفي كلها أمن ومصالح
وشجر وعمارة وزرع ، وفي تلك الميناء ^(١) أودية كلها تدور [بين] جزيرتين
في اليوم والليلة ، وفي هذا المرسا اسواق وتجار وخروج ودخول ، وتجارات
تخط ، ومراكب تذهب وتجيء .

وجزيرة خلنجان فيما بين سر نديب وفلتنن ببلاد الهند فيها قوم سود عراة
إذا وقع إليهم إنسان عربي ^(٢) من غير بلادهم ، علقوه من كسائه وقطعوه
قطعا ، وليس لهم ملك .

وغذاؤهم السمك والموز والنارجيل وقصب السكر ، وبها أجسام تنبت
الخيزران ، وهم عراة لا يستترون بشيء ، ويقرب الصين موضع من البحر
يقال له منجي وهو أخبت البحار وأكثرها رياحا وموجا ومضايقا وجبالا ،
تنطير منه إلى المراكب صبيان مثل صبيان الزنج ، طول أحدهم نحو خمسة
أشبار يخرجون من الماء ويتواثبون إلى المراكب ويدورون فيها ، ولا يؤذون
أحدًا ثم يعودون إلى البحر ، فاذ كان ذلك منهم وظهروا كان ذلك علامة لأخبت
الرياح عندهم ، فيستعدون ويأخذون أهبتهم ، ويخففون المراكب ، ويلقون
بعض ما فيها ويقطعون من الذقل ذراعا أو ذراعين إن خافوا كسرها .

ويقولون أيضا إنهم إذا رأوا على دور المكان سمكة يقال لها البليقة يكون
منها ما طوله مائة ذراع في عرض عشرين ذراعا وينبت على ظهرها الحجارة ،
وربما تعرضت للمراكب فكسرتها .

وزعموا أنها ربما قربت من الساحل وهي لا تعلم ، فتندفع بقوتها تتبع لبعض

(١) في ب : الماء ودية ولعل الصواب ما ذكرناه .

(٢) كذا في ب ، ت ولعل الصواب غريب والرسم لا ياباه .

السماك الهارب منها فلا تشعر الا وقد حصلت في البر يجملتها فلا يمكنها الرجوع فتهلك .

فاذا كان كذلك قطع لحمها وذوب في القدور فيذوب لحمها كله ، ويصير دهنا ينتفع به في المراكب وغيرها .

وجزيرة بقرب الزنج فيها جبل يقال لها جبل النار يظهر منه بالنهار دخان وبالليل لهب نار ، فلا يقدر أحد على الدنو منه .

وجزيرة المدر وهم سودان ولهم مدينة لها بارند ، وأهل هذا البلد يقطعون الطريق ويسبون ويقتلون .

فالمرائب الصينية يعد فيها التجار السلاح والنفط ، وربما كان في المراكب أربعمائة نفس من التجار وخمسمائة مقاتل ، فلا يطمع فيهم ، ويطمع في سواهم ، وتقتال سفينتهم .

وجزيرة الرانج وهي جزيرة عظيمة كثيرة الأهل والزرع والتجارات ، ويقال إنها لما فسد من بالصين بالحوارج والهرج صارت المراكب الصينية تقصد جزيرة الرانج هذه ويقاثلون أهلها وكذلك جزائرها كلها ومدائنها .

وأصبح أبواب الصين في التجارات الباب الذي يدخل منه الى خانقوا وهو أقرب ، ومن دخل من غيره بعد الطريق عليه .

وجزائر الرانج كثيرة منها جزيرة تعرف بسديدة ، تكسيها أربعمائة فرسخ وبها متاجر وطيب .

وجزيرة الرامي أيضاً عامرة يقال إن تكسيها ثمانية فراسخ فيها منابت البقم وفيها الكافور والأفاويه وتكسيها ثمانون فرسخا .

وجزيرة كله ، يقال إنها النصف بين أرض الصين وأرض العرب وتكسيها ثمانون فرسخا .

وبكله مجتمع الأمتعة من العود والكافور والصندل والعاج والرصاص القلعي والآبنوس والبقم ، والجهاز إليها في هذا الوقت من عمان .

وجزيرة المهراج الذي هو ملك هذه الجزيرة ، وهي جزيرة كبيرة في غاية العمارة والخصب .

حكى عن بعض التجار الذين يوثق بقولهم أن الديكة إذا غردت بها في الأسعار تجاوبت من نحو مائة فرسخ لاتصال عمارتها ، وانتظام قراها لامفاوز فيها ولا خراب ، وأن المسافر يسافر فيها بلا زاد ، وينزل حيث أراد .

وفي جزيرة سرنديب موضع يجتمع إليه أهلها يتدارسون فيه سرانياتهم ، وقصص ملوكهم في الزمن السالف .

وبها صنم عظيم من ذهب مبلغ وزنه وقدر الجوهر الذي عليه مائة رطل وهو في هيكل لهم .

وفيه مواضع أخرى يجتمع فيها اليهود وأهل الملك يتدارسون فيها علومهم ويتكلمون في أديانهم ، والملك يبيع لهم ذلك .

وفي هذه الجزيرة أعناب يقال لها أعناب سرنديب ، والعنب واد عظيم يحوز الجمتاز في هذا العنب شهرين وأكثر في رياض وغياض وهواء معتدل ، والشاة عندهم بنصف درهم ، وأكثر عملهم القمار بالنرد والشطرنج ، ويستزير^(١) الرجل المرأة بعلم أهلها .

وجزيرة الرانج جزيرة كبيرة واسعة ، وكلما يزرع فيها من ذرة وقصب وسائر النبات فهو أسود ، ولهم في جزائرهم قوم يعرفون بالمخرمين قد خرمت أنوفهم ، وقد أتموا أسلحتهم ويأخذ بطرف كل سلسلة يحمره ويمنعه من التقدم حتى يسفر الصفراء^(٢) بينهم فان وقع الصلح وإلا شدت تلك السلاسل في أعناقهم

(١) في ب ويستريد . (٢) في ب : يصفر الصفراء والصواب ما ذكرناه .

وتركوا للحرب ، فلم تقم لهم قائمة ، وبأكلون من وقعت عليه نهشا ، ولا يزول أحدهم من مركزه دون أن يقتل .

وللعرب في قلوب الزنج هيبة عظيمة ، فاذا عاينوا رجلا منهم سجدوا له وقالوا هذا ابن مملكة تنبت في بلادهم شجر التمر ، لجلالة التمر في صدورهم ، ولأن العرب إنما يصرفون صبيانهم بالتمر .

وفيهم خطباء بلغاء بالسنتهم ، ومن يتعبد منهم يستتر بجلد غر ، وبأخذ بيده عصا ، ويحتمع إليه الناس ويقف على رجله من أول النهار الى الليل يخطب ويذكرهم الله تعالى ، ويذكر لهم أمور من ملك منهم ، ومن مضى من الملوك .
وجزيرة سقطرى وبها منابت الصبر السقطري ، وموضعها بين بلاد الزنج وبين بلاد العرب ، وأكثر أهلها نصارى .

والسبب في ذلك ان الاسكندر لما غلب على ملوك فارس وقتل فور (١) الهندي ، وكان ي كاتب ارسطاطاليس بما يجري من امره ، ويعرفه بما وقف عليه وغلبه عليه من الممالك ، وكان ارسطاطاليس يكتب اليه ويؤكد عليه في طلب جزيرة في البحر تعرف بسقطرى لان بها منابت الصبر السقطري ، وبها الدواء العظيم الذي لا تتم الأيارجات إلا به ، وأن الجزيرة إن وجدها لا ينتقل عنها حتى يصلح عمارتها ويسكنها قوما من اليونانيين ويطوف (٢) لهم بملكها والحفظ لها (٣) ففعل الاسكندر ذلك ، وتقدم الى ملوك الطوائف بالاحتفاظ بها ، وكان ذلك حتى بعث السيد عيسى بن مريم عليه السلام وتنصرت الروم ودخل هؤلاء في الجملة وتنصروا مع الناس فبقاياهم بها الى هذا الوقت مع سائر من يسكنها من عندهم ؛ وفي البحر الكبير الذي عن يمين الخارج من عمان جزائر

(١) في ب : قوز . والصواب ما ذكرناه كما هو معروف في كتب التاريخ .

(٢) لعل الصواب ويصدق . (٣) في ب : بها .

كثيرة ، وهي تحاذي بلاد الشجر فيها منابت اللبان ، وما يتصل بذلك من ارض عاد وجرمم والتبابعة .

وفيهما قوم من العرب وهم في هذه الجزيرة في قشعة وضيق عيش الى أن تتصل بعمان وسواحل اليمن فيلتسع امرهم قليلا ، وعيش هؤلاء من السعك ومن نبات عندهم ، وربما وقع اليهم العنبر فباعوه من أصحاب المراكب .

وبحر اليمن متصل ببحر البحار والقلازم ، وينقطع هناك ، ومن عجائب الجزائر التي في هذا البحر جزيرة يقال لها سلطا منها قوم يسمعون كلامهم وضجيجهم وتصرفهم في معاشهم ، ومن وصل اليهم يخاطبهم ويخاطبونه ولا يراهم ، وسئلوا عن أمرهم فذكروا أنهم من الانس ، وأنهم كانوا بعث اليهم نبي يقال له سافر بن جردول (١) فأمنوا به وهم على دينه .

وإذا نزل الغريب اليهم جعلوا له من الزاد في ليلة ما يكفيه ثلاث ليلال تمرا في نهاية الخلاوة والطيب ونارجيلا وطيورا مشوية على قدر اليام ، أطيب مضفة من اليام ، وإذا أراد من وقع عندهم الرجوع الى أهله سيق له مركب ، واكثرهم لا يتجه له المسير عنهم حتى يحمل وإن لم يحملوه أقام على حاله ولم يسر إلى بلاد غيرها لطيب الموضع وكثرة الخير ، وقد عرف ذلك البحرليون . وجزيرة فرش ، وهو شجر عرفت به الجزيرة يحمل ثرا في خلق اللوز إلا أنه اكبر منه ، يؤكل بقشرة فيقوم مقام كل دواء ، ومن أكل منه لم يمرض الى موته ولم يهرم ، وإن كان شعره أبيض عاد أسود ، ولهذه الجزيرة ملك يمنع منها ، وذكر أن بعض ملوك أهل الهند جلبه وزرعه فأورق ولم يثمر .

وجزيرة الدهان وهو شيطان في صورة الانسان راكب على ظهر طائر يشبه النعامة وعلى قدرها ، يأكل لحوم الناس وإذا طرحهم البحر رفعهم الى

(١) الرسم يحتمل أن يقرأ : ساور بن جردول .

موضع لا خلاص لهم منه وأكلهم واحداً بعد واحد عند إرادته ، ويأكلهم أحياء .

وحكي أن البحر حمل مركباً الى تلك الجزيرة وقد كانوا سمعوا به ، فلما أتاهم وقفوا على مركبهم ورموه وحاربوه وصبروا على قتاله ، فصاح بهم صيحة سقطوا منها مغشيين على وجوههم ، وجعل عبرهم الى موضع عادته .

وكان فيهم رجل صالح فدعا الله عليه فهلك من حينه ، وصار موضعه ذلك مطلباً لما معه من أموال الناس وأمتعتهم .

وجزيرة الضريف ، وهي جزيرة تلوح لأصحاب المراكب فيطلبونها حتى إذا ظنوا أنهم قد قربوا منها تباعدت عنهم ، وربما أقاموا كذلك أياماً لا يقدرّون على الوصول اليها ولا يقول أحد من أهل البحر إنه وصل اليها ولا دخلها ، وهم يرون فيها شخوصاً ودواباً وعمارة وشجراً .

وجزيرة البيدج فيها صنم من زجاج أخضر يجري من عينيه دمع على مر الأيام يقول البحريون إنه يبكي على قومه لأنهم كانوا يعبدونه فغزاهم بعض الملوك فاستباهم وقتلهم وأراد كسر الصنم ، فكانوا إذا ضربوه بشيء لم يعمل فيه وعاد الضرب الى وجوههم فتركوه ، واذا دخلت الريح الى أذنيه صفر تصفيراً عجيباً .

وجزيرة سرهانة، بها عمارة وشجر وأكثر أهلها أوانيسهم ذهب ، وثيابهم منسوجة بالذهب ، وسلاحهم أعمدة ذهب ، ولهم ملك متى وقع لهم من يريد الخروج بشيء منه دفعه عنه .

ومن الجزائر ببلاد الغرب صقلية وهي جزيرة كبيرة دورها أكثر من خمسة عشر يوماً ، ومملكتها واسعة ولها جبال وأشجار وأنهار ومزارع ، وهي بازاء افريقية ، وبها جبل البركان لا يزال يظهر دخانه بالنهار وناره

بالليل ويطير منه في البحر شرارات ، وهي حجارة سود مثقبة مثل الاسفنج ^(١) تطفو على الماء فتحملها الناس الى البلاد يحكون بها في الحمامات أقدامهم .

وربما خرج من هذا البركان فيدخل في البحر فيحرق كلما صادف من داو به وحيثانه ، فتلقيه الأمواج الى الساحل ، فلا يقدر أحد على الدنو من هذا الموضع .
وجزيرة سردانية ، وهي جزيرة كبيرة مسيرة عشرين يوماً وفيها شجر وعيون وزروع وجبال وتجارات .

وجزيرة أقریطش ، وهي في بحر الروم ، وبها جبال ومعدن ذهب وأنهار وثمار ، وهي اثنا عشر يوماً في ستة أيام ، وفي البحر الكبير جزيرة ترى على بعد في البحر فاذا قرب منها القاصد بعدت عنه وغابت ، فاذا رجع الى الموضع الذي كان فيه رآها كما كان يراها قبل .

وقيل إن بها شجراً يطلع بطولع الشمس ولا يزال طالماً الى نصف النهار ثم يعود الى الانحطاط حتى تغيب الشمس ، ويقول البحريون إن في ذلك البحر سمكة صغيرة يقال لها السائل إذا حملها الانسان مع نفسه أبصر الجزيرة ولم تغيب عنه ودخلها ، وهذا شيء عجيب ظريف .

وجزيرة طاوراق ، وهو ملك له أربعة آلاف امرأة ، ومن لم يكن له ذلك فليس بملك ويتفاخرون بكثرة الأولاد ، وعندهم اشجار إذا أكلوا منها قووا على الباء قوة عجيبة .

وجزيرة السيارة ، والبحريون يجمعون ^(٢) عليها ، منهم من يذكر أنه رآها مراراً كثيرة وليس بمسكون فيها . وهي جزيرة فيها جبال وعارة ، فاذا هبت الريح من الغرب صارت الى الشرق ، وإذا هبت من الشرق صارت الى الغرب ، هذا دأبها .

(٢) في ب : مجموعون .

(١) في ب : الاسفنجة .

ويقال إن حجارته خفيفة يكون الحجر العظيم الذي وزنه عندنا قناطر
 وزن عدة أرتال وقل من ذلك ويحمل الانسان القطعة العظيمة من الجبل .
 وذكر بعض اليهود لعنهم الله من أصحاب التجارات أن مركبهم انكسر
 بهم في بعض السنين ، وإن البحر طرحهم الى جزيرة ترابها وحجارته وكل ما
 فيها ذهب ، فأقاموا فيها أياماً لا يجدون غذاء غير السمك وهو مع كل ذلك
 قليل ، فلما خافوا على أنفسهم التلف وكانوا مع ذلك سلم لهم زورق للمركب
 فجروه عندهم فأرسلوه من ذلك الذهب وثقلوه بالطمع فوق ما يحمل ، ثم
 دخلوا به البحر واجتهدوا في طلب النجاة فلم يسيروا به إلا يسيراً حتى عطب
 بهم الزورق وتلف الذهب ولم ينج منهم إلا بعضهم من أهل السباحة نحو مهب
 الريح من إلى الساحل .

وذكروا أن في جزائر الكافور قوماً يأكلون الناس ، ويأخذون رؤوسهم
 فيجعلون فيها الكافور والطيب ويعلقونها في بيوتهم ويعبدونها ، فإذا عزموا
 على أمر من الأمور أخذوا رأساً من تلك الرؤوس ، فكبروا له وسجدوا
 بين يديه ، وسألوه عما يريدونه ، فيخبرهم بكل ما سألوه عنه من خير وشر .
 وجزيرة النساء ، وهذه الجزيرة في تخوم من الصين ، وحكوا عنها أنه لم
 يسكنها إلا النساء ، وأنهن يلقحن الريح ويلدون نساء ، وقيل إنهن يلقحن
 من الريح^(١) .

وزعموا أن الذهب عروق عندهم مثل الخزان ، وترتبتها ذهب ، وأنه وقع
 إليهن مرة رجل فهمن بقتله ، فرحمته امرأة منهن وحملته على خشبة
 وسلمته^(٢) في البحر فحملته الأمواج والرياح ، حتى أتت به بلاد الصين فدخل
 الى ملك الصين وعرفه حال الجزيرة ، فوجه المراكب في طلبها ، فطافت
 طلبها ثلاثة أشهر فما وقعوا لها على خبر ولا أثر .

(١) هكذا وقع التكرار في الأصول . (٢) لعل الصواب سييته .

وجزيرة ابن أسعلاق، فيها شخص مشوه لا يدري ما هو ، ذكر قوم أنه شيطان تجسد بين الجن والانس ، وزعم قوم أنه خلق بحري مشوه مقارب لصورة الانسان ، وانه يأكل من وقع اليه من الناس .

وفي خبر ذي القرنين: ان مراكبه وقعت الى جزيرة بيضاء نقية ذات أنهار وأشجار وثمار ، وفيهم خلق على خلق الانسان في الانتصاب ، رؤوسهم مثل رؤوس السباع والكلاب ، فلما دنوا منهم غابوا عن ابصارهم ، وبوسط الجزيرة نهر شديد البياض بشاطئه شجرة عظيمة فيها من كل ثمرة طيبة لذينة الطعم مشرقة بأنواع الألوان ورقها كالخلال^(١) كبراً وليناً وحسناً ، والشجرة تسير بسير الشمس من الغد والى الزوال ، فاذا زالت الشمس تقلصت وانحطت بانحطاط الشمس ، وغابت بعد نبتها ، وثمرها احلى من العسل والين من الزبد ، وورقها اطيب رائحة من المسك ، فجمعوا من ورقها كثيراً ليحملوه الى الاسكندر، فضربوا وظهرت عليهم اثار الضرب ولم يروا من يضرهم وصيح بهم «ردوا ما قد اخذتم من هذه الشجرة ولا تتعرضوا لها فتهلكوا» فردوا ما كان اخذوه من ذلك وركبوا مركبهم وساروا .

ودخل الاسكندر جزيرة العباد فوجدها قفاراً^(٢) غير حشيش فيها وغدران ووجد فيها قوماً قد نهكتهم العبادة وصاروا كالحم من سواد الألوان ، فوقف بهم وسلم عليهم فردوا عليه ، فقال لهم ما عيشكم في بلادكم هذه ؟ فقالوا ما يأتينا من رزق من اسماك البحر وضروب الحشيش ، وما نشربه من ماء هذه الغدران ، قال أفلا انقلكم الى موضع اخصب لكم من هذا المكان ، فقالوا وما نصنع به إن عندنا في جزيرتنا هذه ما نفنى به عن جميع العالم ، ويكفيهم لو انهم وصلوا اليه ، قال : وما هو ؟ قال : فانطلقوا به الى واد لهم يسرج من الوان الدر والياقوت فوق ما تتوهم

(١) كالخلك . (٢) في ب : غفاراً .

النفس ، وأخرجوه من هناك إلى أرض واسعة كثيرة الفواكه فيها من أصناف الثمرات ما لا يوجد مثله ببلد من البلدان ، فقالوا له أتصل بنا إلى أكثر من هذا ؟ قال والله ولا إلى بعضه ، فقالوا فهذا بين أيدينا فما نلتفت إلى شيء منه ، وإنا لنؤثر الحشيش عن هذه الفواكه ، فذهب أصحابه ليأخذوا من ذلك الجوهر شيئا ففنعهم ، وودع القوم وانصرف إلى مركبه متعجبا منهم .

وحكي أنه ذكرت له جزيرة في البحر الأخضر فيها قوم حكماء فصار إليهم فرأى قوما سرايلهم ورق الشجر وبيوتهم الكهوف ، وعليهم السكينة فسألهم عن مسائل من الحكمة فأجابوه فقال لهم سلوني ما أحببتكم ، فقالوا له إنا نسألك الخلد فقال أنى لي به ، ولا أقدر على زيادة نفس واحد في أنفاسي ! فقالوا فمرفنا بقية آجالنا ، فقال أنا لا أعرف بقية أجلي ، فكيف لي بمعرفة أجل غيري ! قالوا فامنحنا منحة تبقى لنا ما بقينا ، فقال وهذا ما لا أبلغه لنفسي فكيف لغيري ! قالوا فدعنا نطلب ذلك ممن يقدر عليه !

وجعل الناس منهم يتناولون بالنظر الى عساكر الاسكندر ، وكان على شاطئ البحر رجل حداد لا يرفع بصره اليه ، ولا الى شيء من عساكره ، فعجب الاسكندر من ذلك فأقبل عليه وقال له مامنك من النهوض الى والنظر الى عسكري ؟ فقال له لا يعجبني ملكك فأنظر اليه ! قال ولم ؟ قال اني عاينت قبلك ملكا لا يبلغ ملكك ملكه ، وكان في جوارى رجل مسكين لا يملك شيئا ، فمات الملك والمسكين في يوم واحد ، ودفنا في ناحية واحدة فكنت أنعامهما حتى بليت أكفانها وبقيت رمهما ، ثم اختلطا فجهدت أن اعرف الملك والمسكين فلم أقدر على ذلك ، فهان عليّ كل ملك بعد ذلك .

قال فصناعتك تكفيك ؟ قال انا اكسب بها ثلاثة دراهم كل يوم أنفق درهما واقضي درهما وأسلف درهما ، فالدرهم الذي انفق هو مؤنتي ومؤنة عيالي ،

والدرهم الذي أقضيه عما يلزمي في كراء بيتي وموضع عملي، والدرهم الذي أسلفه هو الذي أنفقته على ولدي لينفقه علي إذا كبرت .

قال أفلا تنفق ذلك على أصحابك ؟ قال هم لا يحتاجون الى ذلك ، وأنا لا أحتاج اليه ، وانما يحتاج الى ذلك من لا ينصف عن نفسه ، فأما من انصف منها فلا يحتاج الى شيء !

فعجب ذو القرنين من حكمهم وانصرف عنهم .

ذكر آدم عليه السلام وولده

أجمع أهل الأثر أن آدم عليه السلام خلق يوم الجمعة ، لست خلوت من نسيان وكساه الله لباساً من ظفره ، وأسجد له ملائكته فسجدوا إلا إبليس ، وكان ملكاً على الأرض يصعد الى السماء متى شاء فأبى من السجود لآدم ، وقال أنا كنت خليفتك على الأرض وهو من تراب كنت أطؤه ، وأنا من نار وهو من طين ، فلي عليه الفضل من كل جانب ، وأفضله بالاجنحة التي أغشى بها اقطار الارض في اقل من لمح البصر ، فلما امتنع من السجود أبلسه الله ولعنه .

وخلق حواء وألبسها لباسه واسكنها الجنة لثلاث ساعات مضت من ذلك اليوم وباحها جميع ما في الجنة الا الشجرة التي نهاها عنها ، وهي على قول اكثر اهل العلم البر ، وكانت الحبة بقدر الأترجة فألقتهما الحية ، وكانت من أحسن دواب الجنة ، وكانت ذات قوائم .

ولما رأى آدم ما أعطيه من الكرامة اشتاق الى الخلود فطمع فيه إبليس ، فاحتال حتى ادخله الجنة .

فخطب حواء فيها وقال (مانها كما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا

[ملكين أو تكونا] من الخالدين ، وقاسمها اني لكما لمن الناصحين) ولم يزل بجواء حتى اكلت من الشجرة واطعمت منها لآدم فأكل ، فلما اكلا منها انكشف لباسها عنهما الى اطراف اصابعها وبدت لهما سواتهما ، وهرب آدم في الجنة يميناً وشمالاً لا يدري ما يصنع ، فتعلقت به شجرة الاترج وحبسته بناصيته ومعه حواء ، فطفقا يأخذان من ورق الجنة ويستتران بها فقال الله عز وجل قد جعلت هذه الشجرة عذاء لكما ولذريتكما ، يعني الشجرة التي اكلا منها عاصيين فاهبطوا جميعاً انتم وابليس والحية فان بمضكم لبعض عدو . ونزع الله من الحية قوائها فهبطوا ، فكان مقام آدم في الجنة مع حواء ثلاث ساعات ، مقدار مائتين وخمسين سنة من ايام الدنيا ، وهو ربع يوم من ايام الآخرة الذي هو ألف سنة .

فأهبط آدم على جبل سرنديب وعليه الورق المخصوف من الجنة ، فلما جف الورق وذهبت رطوبته تقطع وسقط فنسفته الريح وطرحته الى كل جهة فنبت منه بأرض الهند أنواع الطيب والأفاويه ، والتمر الذي لا يوجد إلا هناك ، وفيه العود ودواب المسك ، وحوله أصناف البواقيت والماس ، وفي بحره مغايص اللؤلؤ .

وسمى الله آدم عبد الله وكناه أبا محمد وكان طويلاً جمعد الشعر أحسن من خلق الله تعالى ، فلما نزل الى الأرض نقص من لونه وحسنه وطوله . وكان يتكلم بالعربية فحول الله عز وجل لسانه الى السريانية ، وانتزع منه ما علمه ثم رده الله سبحانه وتعالى بمد تويته إليه .

وأهبط حواء على جدة وبيدها قبضة من جوهر الجنة فتناثر منه من يدها شيء فكانت الجواهر منه ، ونقص أيضاً من حسننها وبهائها . وأهبط إبليس ومعه قبضة من النار وعصا من بعض شجر الجنة يقال إنه

العوسج ، ويقال إنها كانت من آس الجنة ، وهي التي صارت الى موسى عليه السلام .

وأُنزل معه ثلاثين قضيماً من ثمار الجنة وجعلها إكليلاً على رأسه ، منها عشرة ظاهرة القشور وهي : الجوز واللوز والبندق والفسق والخشخاش والبلوط والقسطل وجوز الهند والرمان والموز .

وعشرة لها نوى وهي الخوخ والمشمش والأجاص والتمر والزعرور والغبيراء والقراصيا والشاه بلوط والنبق والمقل .

وعشرة لا قشور لها ولا نوى وهي : التفاح والسفرجل والكمثرى والعنب والتوت والأترج والخرنوب والخيار والبطيخ والبر^(١) وكان أول ما خلق الله تعالى في الارض الكمثرى .

وتاب الله سبحانه وتعالى على آدم عليه السلام بعد مائة سنة؛ أتاه جبريل عليه السلام وعلمه الكلمات، وهي لا إله إلا أنت عملت سوءاً فاعفُ لي وأنت خير الفافرين .

وقيل في طوله إنه كان يبلغ السماء فلما أهبط الى الأرض . جعل طوله مائتين وسبعين ذراعاً ، وعلم استخراج الحديد وسبكه وعمل الزبدة والمطرفة والكلاليب والمدية وآلات الأرض وما يحتاج اليه من جميع الآلات .

وعلم ما يأكله من دواب الأرض ، وما يحتنبه وأمر بالمسير الى مكة ، وكان موضع قدمه عمراً وما بينهما مفاوز ، وأتى جدة فوجد بها حواء تبكي فقال لها هذا عليك^(٢) .

وقيل له إيتِ الكعبة فطف بها، فشئ إليها فتلقته الملائكة بالأبطح فقالوا له حياك الله يا آدم ، لقد طفنا قبلك هذا البيت بألفي عام ولسنا بأول من حججه ، وعلمه جبريل عليه السلام المناسك ، وأنزلت عليه إحدى وعشرون

(١) في الأصول : والتبر . (٢) في الأصول : علمكي .

صحيفة ، وفرض عليه الصلاة والزكاة والاعتسال من الجنابة والوضوء ، وزرع ، وحصد ، وطحن ، وخبز ، ثم قيل هذا دأبك أنت وذريتك ، فقال يا رب ما بلغت هذا إلا بشق النفس فقل له هذا بخطيئتك .

وعوقبت حواء بمشر خصال : وجع العذرة ، ووجع الولادة ، وطول الحمل والحيض ، وحزن الموت ، وقناع الرأس ، وملكة الرجال للنساء ، وأن تكن تحت الرجل عند الجماع ، والولولة عند المصيبة ، ورقة القلب عند الحزن - وجمع بين آدم وحواء يجمع وتعارفا .

وعوقب آدم بنقصان طوله ، وتغير حسنه ، وخوفه من السباع ، وكانت تخافه ، وحتم عليه وعلى ذريته بالموت ، وحفظت عليه أعماله ، وكلف النظر في رزقه والتمب فيه .

وعوقبت الحية بقص جناحيها وعدم يديها ورجليها ومشيتها على بطنها وشق لسانها ، وخوفها من الناس وعداوتهم لها ، وجعل من التراب غذاؤها ، وإن طلبت أن تقتل أخرجت للناس لسانها .

وإن آدم غشي حواء فولدت له قابيل وتوأمته قليا ، وكان كذلك يولد له توأمين في كل بطن .

ثم ولدت له هابيل وتوأمته لبوذا فشغل قابيل بالحرث ، وشغل هابيل برعي الغنم ، ثم أمره أن يزوج هابيل من أخت قابيل فضرها وقال أنا أحق بأختي منه ، فأمرها أبوها أن يقربا قربانا فأيهما تقبل قربانه كان أحق بأخت قابيل ، فرضيا بذلك . وقرب هابيل أسمن كبش كان عنده ، وقرب قابيل من أرذل ما كان عنده من الغنم وكان ذلك بينها يوم الجمعة ، وجاءت النار الى القربان ، وأخذت الكبش الذي كان لهابيل ، وحملته ولم تتقبل قربان قابيل ، فأغضبه ذلك وعزم على قتل أخيه بعد منصرفها من منى ، فلم يدر

كيف يقتله فتصور له إبليس لعنه الله في صورة إنسان ، وأخذ طائراً ففشخ رأسه بحجر فقتله ، وحمله معه حتى غاب عن عينه فاغتفل قابيل هابيل حتى نام عند غنمه ، وهي ترعى فحمل حجراً فطرحه على رأسه فقتله فأصبح من النادمين ، وطال تحسر آدم عليه السلام على ابنه هابيل وعلى الجنة فأنزل الله تعالى له خيمة من خيام الجنة من ياقوتة حمراء وضعت مكان الكعبة .

ولما تئى ثلاثين سنة من مهبط آدم ولد له شيث وهو هبة الله وتوأمته ، فتقول أصحاب التواريخ : إنه ولد له مائة وعشرون بطلاً ، وأمر آدم عليه السلام بكتب الصحف ، وعلم اللغات كلها ، وعلم الأسماء التي قهر بها الجان والشياطين وعلم حساب الأزمنة وسير الكواكب .

وسأل ربه أن يريه الدنيا وما يكون فيها من خير وشر ، فثلث له برأ وبحراً فنظر إليها وإلى ملوكها وسكانها من ولده ، وصور الأنبياء وما يكون في العالم ويدور فيه من خير وشر إلى انقضائه .

ولما كثر ولده وولد ولده بعته الله اليهم وأمره أن يأمرهم بما أمره الله به وينهاهم عما نهاه عنه ، ويقال إنه أرسل وهو ابن تسعمائة سنة وسبعين سنة . ولما أراد الله سبحانه وتعالى أن يتوفاه أمره أن يسند وصيته إلى ابنه شيث ويعلمه جميع العلوم التي علم بها ففعل ، وكان سبب وفاته عليه السلام أنه انصرف من الفلاحة موعوكاً^(١) فحم ومرض إحدى وعشرين يوماً والملائكة تختلف إليه .

ويقال إنه اشتهى قطفاً من عنب الجنة فوجه بعض ولده يسأل له ذلك ممن لقيه من الملائكة ، فلقبه جبريل عليه السلام فعزاه في أبيه وقال ارجع فان أباك قد مات . وكان سنه يومئذ تسعمائة وثلاثين سنة ، وقالوا تسعمائة

(١) في ب : مدعوكا وهو خطأ .

وخمسين سنة بعد ما وهب لداود منها خمسين سنة وأثاه جبريل عليه السلام بكفن وحنوط من الجنة .

وعلم شيث كيف يغسله ويكفنه ، وقيل هذه سنة لكم في موتكم بعده ، وحمل الى غار الكنز في جبل أبي قبيس فدفن فيه ، وكانت وفاته عليه السلام يوم الجمعة ، ومات وولده وولد ولده أربعون ألف بيت ورفعت مع موته الخيمة الياقوت التي كانت بموضع الكعبة .

وحزنت عليه حواء حزناً شديداً وبقيت بعده سنة ثم ماتت ، عليه السلام والرحمة ، وصلى عليها شيث ودفنها الى جانب آدم عليه السلام وعلى جميع النبيين والمرسلين .

ذكر شيء من أخبار ولده

كان قابيل ولد آدم عليه السلام ، وأول من عصا وقتل وكفر ولما قتل أخاه هرب عن ذلك الجبل بأخته وبني قرية يقال لها خلوا وسكنها ، وقابيل أول من عبد النار ، وقيل إنه أشقى البرية وإن عليه نصف عذاب الخلق ، وقيل إنه متى سفك دم بغير وجه حق كان شريكاً لصاحبه فيه .

شيث بن آدم بعثه الله الى ولد أبيه وأنزل عليه سبعاً وعشرين صحيفة عليه وعلى أبيه ، وأمره ببناء البيت هو وولده بالحجاز ، وأمره بالحج والعمرة ، وكان أول من اعتمر ، وأمر بجهاد ولد قابيل إلا أنه لا يبرح بين تهامة ومكة .

وولد الأنوش بن شيث عليها السلام وهو بكره ووصيه ، ومن ولد أتركين ^(١) ابن شيث يفعوث ويعوق ونسر وسواع وود ، فكان هؤلاء النفر

(١) لعل الصواب انوش .

قوماً صالحين ، فلما ماتوا حزن عليهم أبناؤهم حزناً شديداً فتمثل لهم إبليس
وصور لهم صورهم من المرمر ، وجعلها في بيوتهم ليتذكروا ^(١) بها ويتأنسوا
ويخف حزنهم عليهم ، فلما ملكوا ونشأ غيرهم صور عندهم إبليس أنها آلهة
وأن آباءهم كان يعبدونها واستهواهم فعبدوها ، وكان عمر شيث سبعمائة سنة
وإنثا ^(٢) عشرة سنة ، وولد له وهو ابن مائة وخمسين سنة .

وأوصى الى ابنه قينان وقد كان علمه الصحف وبين له قسمة الأرض ،
وما يكون فيها ، وأمره باقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والحج ، ويجهاد ولد
قابيل ففعل ما أمره به أبوه ، ومات قينان وله سبعمائة سنة وعشرون سنة .
وأوصى الى ابنه مهلايل ووصاه بما أوصاه به ، وكان عمر مهلايل ثمانمائة
سنة وخمسة وسبعين سنة .

وأوصى الى ابنه بوارد وعلمه الصحف وعلمه قسمة الارض ، وما يحدث
في العالم ودفع إليه كتاب سر الملكوت الذي علمه مهلايل ^(٣) الملك لآدم
عليها السلام وكانوا يتوارثونه مخطوماً لا ينظرون فيه .

وولد لبوارد وهو ابن مائة سنة ابنه خنوخ ، ويقول بعض اهل التاريخ
إنه تم للعالم في وقته ألفان وستمائة سنة واربع سنين .

وخنوخ هو ادريس النبي عليه السلام ونبأه الله تعالى وسمي إدريس لكثرة
درسه لكتاب الله عز وجل ، وسنن الدين وأنزل الله سبحانه وتعالى عليه
ثلاثين صحيفة فكملت الصحف المنزلة يومئذ ثلاثين صحيفة ، وعهد بوارد الى
خنوخ ورفع إليه وصية أبيه وعلمه العلوم التي كانت عنده ودفع اليه مصحف
السر فلم يدفعه بعد شيث غير ادريس عليها السلام .

وفي بعض الأخبار انه أول من كتب [من ولد] آدم عليه السلام .
وقال آخرون إنه لم يخل قط جيل ولا امة من الكتابة لان ادريس بدت

(١) ليتذكروا (٢) ب : واثني . (٣) في ب : رابيل .

فيه النبوة وعلم عدة خطوط وامر يجمع المصاحف وتركها في الهيكل وامر بني آدم وغيرهم بدرسها ، وفي بعض الأخبار انهم كانوا يلبسون القمص من فاخر الحرير والخز وغيرهما من الملونات والمنسوجات بالذهب والمنظومات بالجوهر ويلبسون التيجان .

وقد كانت حواء أمرت بالنسج والمغزل ، فغزلت القطن والكتان والوبر ونسجت وكست أولادها ، وقد لبس آدم عليه السلام من غزل حواء . ويقال إنه لما ولد إدريس عليه السلام ضعف أمر عبادة الأصنام من أولاد قابيل ، وسقط عظيم من أصنامهم الذين كانوا يعبدونه ويعتكفون عليه ويذبحون ، وكان ملكهم يومئذ يحويل ، فاجتمعوا اليه ليتداولوا فيما ظهر لهم ، فجاءهم إبليس في صورة شيخ قد كثر شيبه ، وكان الشيب عندهم عجيباً لأنهم لم يكونوا رأوه ، إذ لم يكن قبل ذلك شيب ولا ظهر لهم إلا بعد نوح عليه السلام بعد الطوفان .

وقيل أول من شاب إبراهيم عليه السلام ، فقال يا رب ما هذا؟ قال وقار ، قال اللهم زدني وقاراً .

ويقال إنه أتاهم إبليس في صورة روحاني له جناحان ، فقال للملكهم يحويل إنه قد ولد الآن لمهلايل ولد يكون عدواً للالهة وعدواً للملك ، وسبب فساده ولذلك أصابكم ما أنتم به مشغولون ، فقال يحويل فهل تقدر على هلاكه ؟ قال سأحرص على ذلك . فوكل الله بادريس ملائكة يحفظونه ، فاذا أتاهم إبليس ومن معه من جنوده منعهم منه .

وظهر في وقته كوكب من كواكب الذوائب أقام ظاهراً نيفاً وثلاثين يوماً ، فجعله أبوه سالماً الهيكل ، وعلمه الصحف ، وكان حريصاً على دراستها وعلى الصوم والصلاة حتى شب فنبأه الله عز وجل على رأس أربعين سنة ، فأتاه وراييل الملك يعلمه علم الفلك والكواكب وسعودها ونحوها وصور الدرج والبروج .

وقيل انه أول من نظر في النجوم بعد آدم عليه السلام .
وفي التوراة ان أدريس عليه السلام احسن خدمة الله فرفعه الله
تعالى اليه .

ولما رأى ادريس بني قابيل في المعاصي وعبادة الأصنام سأل الله ان يرفعه
اليه ، وان يطهره من خطاياہ فأجابہ إلى ذلك ، وأوحى الله اليه ان يلزم
الهيكل هو وشيعته اربعين يوماً وأوصى ادريس الى ابنه متوشلخ لأن الله
أوحى اليه ان اجعل الوصية في ابنك متوشلخ فاني سأخرج من ظهره نبياً
يرتضي فعله .

ف قيل انه رفع الى السماء السابعة ، وقيل إنه كانت له قصة مع ملك
الموت ، وقد سأل الله ان يذيقه طعم الموت ، ثم سأل الله ان يريہ رضواناً
ويدخله الجنة ، ففعل . ولم يخرج من الجنة ، ورفعه الله وهو ابن مائة
وخمسين سنة .

وأما متوشلخ فأقام مع أخوته وبني أخيه ، أمام الهيكل يعبدون الله
تعالى والنقباء السبعون معهم .

ولما رفع الله تعالى ادريس عليه السلام كثر الاختلاف بعده والتنازع وأشاع
عليه ابليس أنه هلك ، وأنه كان كاهناً أراد الصعود إلى الفلك فأحرق ،
وحزن عليه ولد آدم المتمسكون بدينه حزناً شديداً ، وأظهر ان صنمهم
الأكبر أهلكه فزاد في عبادة الأصنام وتحليتها والذبايح لها ، وعملوا عيداً لم
يبقى احد إلا حضره وكانت لهم يومئذ سبعة أصنام يفتو ويعوق ونسراً^(١)
وود وسواع ومزية وضمير ، وسنذكرها عند ذكر المتعبدات .

وانقطع الوحي بعد إدريس عليه السلام ، ومات اولئك النقباء ، فكلما
مات واحد منهم صور بنوه وأهله صورته في بيت لهم ليذكروه ويستغفروا

(١) في ب : ونسراً ووداً وسواعاً .

له ، وكان متوشلخ أراد فساد تلك الصور فامتنعوا عليه ، فلما حضرته الوفاة أوصى الى ابنه ملك ومعنى ملك الجامع ، وعهد اليه أبوه ودفع اليه الصحف والكتب المختومة التي كانت لادريس عليه السلام ، وكان عمر متوشلخ تسعمائة سنة .

وانتقلت الوصية الى الملك وهو ابو نوح عليها السلام ، وقد كان رأى أن فاراً أخرجت من فيه ، فأحرقت العالم ورأى وقتاً آخر كأنه على شجرة في وسط بحر لا غير .

ولما ولد له نوح عليه السلام ذكر العلماء والكهان ذلك ليمحويل الملك وعرفوه أن العالم يهلك في زمانه وأنه يكون طويل العمر .

وقد كانوا رأوا أنه طوفان يغرق الأرض ، فأمر يحويل أن يبنيها له المعقل على رؤس الجبال ، بنيانا عالياً ليتحصنوا بها ، فعملوا منها سبعة معقل بعدة الاضنام التي كانت لهم وعلى أسمائها ، وزبروا عليها شيئاً من علوصهم ويقال إن الملك عملها لنفسه خاصة .

وكبر نوح عليه السلام فنبأه الله عز وجل وهو ابن خمسين سنة وارسله الى قومه ، وكان من نعتة أنه آدم رقيق البشرة ، في رأسه طول ، عظيم العينين رقيق الساعدين والساقين ، كثير لحم الفخذين طويل اللحية عريضها ، طويل ، جسيم وكان حياً بعد ادريس عليها السلام ، وهو من أهل العزم من الرسل .

وفي بعض الاخبار أن عمره ألف ومائتين وخمسين سنة ، وأنه لبث في قومه يدعوهم الى الايمان ألف سنة إلا خمسين عاماً كما قال الله تعالى ، وقال من ينكر طول الاعمار على مذهب الفلاسفة ان حياته لبنية ، وكانت شريعته التوحيد والصلاة والصيام والحج ومجاهدة اعداء الله من ولد قابيل ، وأمر بالحلل ونهى عن الحرام ، ولم يكن فرضت عليه احكام ولا مواريث ولا حدود ، وأمر أن يدعو الناس الى الله تعالى ، ويحذرهم عذابه ، ويذكرهم آلاؤه .

وعلى رأس مائتي^(١) سنة من عمره هلك يحويل ملك الكفرة وملك بعده ابنه الدرمشيل ، فشد في عبادة الأصنام ، وأعلى أمرها ، وجمع الناس اليها ، وأخذهم بالتعبد لها ، فأظهر نوح عليه السلام دين الله عز وجل ، وكان يدور [في] محالهم وأسواقهم وهياكلهم يدعوهم الى الله تعالى وكانوا^(٢) يطوون ذلك عن مليكهم ، ويزجرون مع ذلك نوحاً ويهدونه ، ويولون عليه ، إلى أن جلت قصته ، وعظم أمره ، وتحاماه الناس ، وتخطبوا في أمره ، الى ان اتصل ذلك بملكهم^(٣) فأحضره وانتهره ، وتقدم اليه أن لا يعاود .

ويقال إن الذي فعل هذا يحويل ، وإنه حبسه ، وبعد ثلاث سنين من حبسه هلك يحويل .

وولي الدرمشيل ، فأخرجه من الحبس ، وتقدم اليه أن ينتهي عن إفساد الدين وسب الآلهة ، فكان لكل صنم من أصنامهم الكبار عيد في وقت من أوقات السنة يحضرون وينحرون له ويطوفون به ، فحضر عيد يغوث ، فاجتمع الناس اليه من كل مكان ، فأتاهم نوح عليه السلام ، فقام في وسطهم وناداهم أن قولوا لا إله إلا الله ، فوضعوا أصابعهم في آذانهم ، وأدخلوا رؤوسهم تحت ثيابهم وسقطت الأصنام عند ندائه عن كراسيها ، فوثبوا عليه فضربوه وشجوه ، حتى سقط على وجهه وسحبوه الى قصر الملك حتى ادخلوه عليه ، وكان في مجلس مزخرف بأنواع الألوان ، وبدائع التصاوير والأصباغ ، مفروش برفيع الحرير ، على سرير مصفح بالذهب ، منظوم بالجواهر .

فلما مثل بين يديه قال له : ألم اعهد اليك وانك عن التعرض لشيء من امور الآلهة ، و [ان] تدعوهم الى ما لا يعرفونه ، وزاد امرك حتى سجدت

(١) في ب : مائتين (٢) في ب : وكان . (٣) في ب : لمليكهم .

الآلهة ، والقيتها عن كراسيها ، ومواضع شرفها وعزها ؟ من علمك ذلك ؟ ومن ابن وصل اليك ؟

فقال له نوح عليه السلام وهو مخضوب بدمائه : لو كانت آلهة لما سقطت ، فاتق الله يادرمشيل ، ولا تشرك بالله فإنه يراك ! فقال له الملك ، فكيف قدرت أن تخاطبني بهذا الخطاب ! فأمر بحبسه الى أن يحضر عيد الصنم الآخر ، فيذبحه له تقربا به اليه ، وأمر برد الأصنام على كراسيها .

وأن الدرمشيل رأى رؤيا هالته في أمر نوح عليه السلام ، فأمر باخراجه وتخلية سبيله ، وأخبرهم أنه مجنون لا حرج عليه . وكان في زمانه سويدين الكاهن فعرهم بأمر الطوفان ، وقرب زمانه ، وكان يأمر بقتل نوح عليه السلام والله يعصمه منهم .

فولد لنوح بعد خمسمائة سنة من عمره سام وبعده حام وبعده يافث . ويطال أمر نوح معهم فلم يؤمن به إلا نفر يسير من العالم ، وقيل له أنؤمن بك ، واتبعك الأرذلون (١) .

وقيل كانوا من أهل صنعته ، وكان عليه السلام نجارا ، ومضت لهم ثلاثة قرون ، قرن بعد قرن ، ونوح عليه السلام يذكرهم ويدعوهم إلى الله تعالى فلا يزدادون إلا طغيانا وعتوا وتجبرا واستكبارا ، وقتل من كان اتبعه فكان يدعوهم إلى الله سبحانه فأوحى الله اليه (إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن) فحينئذ يشئ منهم ودعا عليهم ، فقال (رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا) .

وأمر نوح عليه السلام بعمل السفينة وقد قطع الله عن قومه النسل ، وأكثر عليهم القحط ، وقلت عمارتهم وكانوا يستعينون على عبادتهم بأصنامهم ولا تنفعهم .

(١) في الأصل : الأزلون ، وقد رسمناها كما وردت في القرآت الكريم .

وابتداً نوح بعمل السفينة ، أقام في قطع خشبها من الساج وفي عملها ثلاث سنين ، ثم صنع المسامير وأعد كل ما يحتاج اليه ونصبها في رجب ، وأمر أن يجعل طولها ثلاثمائة ذراع ، وعرضها خمسين ذراعاً ، وعمقها سبعين ذراعاً . ويقال إنه لم يدر كيف يعملها فأثاه جبريل عليه السلام ، وأمره أن يعملها على صورة الدجاجة وكانوا يهزءون منه وهو يصنعها فيضحكون منه ، ويرمون بالحجارة وجعل بابها في جنبها ، فأقامت بعد أن فرغ منها في البر سبعة أشهر الى أن أخذ من أصحاب نوح الذين كانوا معه ثلاثة رجال فذبجوا الأصنام تقرباً ليندفع عنهم القحط فiaz زعموا ، فحق عليهم العذاب . وأمر نوح عليه السلام أن يحمل فيها من كل زوجين اثنين من جميع الحيوان ، وكانت الطبقة السفلى للدواب والأنعام والوحوش ، والثانية للطعام والشراب ، والثالثة لهم وكانوا ثمانين نفساً نوح وبنوه عليه السلام سام وحام ويافت ، وأهله وناسه ، وحملت الملائكة تابوت آدم عليه السلام من خشب فيه جسده ، وكان معهم في السفينة ، وكان التابوت بتهامة ، وكان معه في السفينة ^(١) .

وركب معه المؤمنون من ولد أبيه وجده إدريس عليه السلام ، فلما نزلوا من السفينة بنوا قرية وسموها سوق ثمانين ، فهي اليوم تعرف بذلك هناك . ويقال أنه لما اتصل الخبز بدرمشيل ، أن نوحاً قد ركب السفينة وحمل زاده قال وأين الماء الذي يحملهم ؟ فركب في عدة من أصحابه وسار إلى السفينة ، وقد أجمع ^(٢) على إحراقها ، فنادى نوحاً عليه السلام فاستجاب له ، فقال وأين الماء الذي يحمل سفينتك ؟ قال هو يأتيك في مقامك هذا ، فقال وهذا أعجب ، إنك تقول إنه يكون في أرض يبس ماء غمر يحمل مثل هذه السفينة ، انزل منها أنت ومن معك وإلا أحرقتكم أجمعين ، فقال له نوح عليه

(١) هكذا وقع التكرار بالمعنى في الأصول . (٢) في ب : جمع ، والأصح ما ذكرناه .

السلام ما أكثر اغترارك بالله عز وجل ، فمعجل الايمان ، واخلع أنداد الله تعالى تسلم وترشد ، وإلا فالعذاب بين يديك .

فهو في محاورته إذ أتاه من أخبره أن امرأة كانت تحبز في تنور لها ، فنبع الماء منه ، فقال وما عسى أن يكون من ماء نبع من تنور .

فقال له نوح عليه السلام ويحك إنه علامة السخط ، وكذلك أوحى إلي ربي ، وآية ذلك ان الارض تتخلخل من جميعها فأزل فرسك من موضعه ، فإن الماء ينبع من تحت قوائمه ، فأزال الملك فرسه من موضعه ، فاذا الماء ينبع من تحت قوائمه ، فسار إلى موضع آخر فكان كذلك ، وعادت رسله تحبزه أن الماء كثر وفار ، فرجع الى داره ليأخذ أهله وولده ويمضي الى المعاقل التي كان عملها لنفسه .

وقيل إن علم الطوفان كان عندهم إلا أنه لم يأت وقته . لما أراد الله تعالى وكان قد جعل في تلك المعاقل طعاما ، فاراد الصعود الى الجبال ، فاذا الصخور تنحط على رؤسهم من أعلى الجبل ، وانفتحت أبواب السماء بما لا يعلم قدره إلا الله تعالى من الماء ، فساروا لا يدرون أين يتوجهون ويقال انه كان الماء حاراً منتناً .

ويقال إن يام بن نوح من سار الى السفينة مع الدرمشيل ، فناداه أبوه (يا بني اركب معنا ، ولا تكن مع الكافرين ، قال سأوي إلى جبل يعصمني من الماء) مع الملك وأصحابه (قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) وقد كان رأى التنور يفور .

وقيل إن السفينة أقامت في الماء خمسين ومائة يوم ، وقال قوم من أهل الاثر إنها أقامت أحد عشر شهرا ، وقال آخرون كان الطوفان في رجب ووقفت على الجودي في الحرم .

وفي التوراة أن الله تعالى آلى على نفسه أن لا يعذب أمة بعدها بالفرق ،

وكان بين مهبط آدم عليه السلام وبين الطوفان وفور الماء أربعون يوماً ، فأمر نوح أن تفتح أبواب السفينة ، ثم أرسل الغراب لينظر له فضى ولم يعد إليه ، فدعا عليه أن يكون مباعداً ، وأن يكون رزقه في الخوف . ثم أرسل الحمامة فرجعت وقد انصبت رجلاها بالطين ، فدعا لها أن تكون إلها لبني آدم ومنقارها ورجلاها مصبوغة من يومئذ ، ولم تكن كذلك قبل ثم أرسلها بعد أيام فرجعت وفي منقارها ورقة خضراء من الزيتون ، وقيل كانت من عشب الأرض .

وفي التوراة أن الأرض جفت في سبعة وعشرين من الشهر الحادي عشر ، ولما تغيب الماء ووقفت السفينة على الجودي أوحى الله تعالى إلى نوح عليه السلام أن يخرج من السفينة هو ومن معه ، فأخرج البهائم والحوام . وقالوا هم الأسد أن يعث في السفينة فصاح به نوح عليه السلام ، فألقى الله الحمى في جسده ، وأن النجوى آذاهم فلطم الفيل فعمس خنزيراً ، فالتقط ذلك النجوى [فهو] يعيش منه ، وأن الفأر آذاهم فلطم الأسد فعمس هراً . ونزل نوح عليه السلام من السفينة وبنوه سام وحام ويافت ويحطوت ، وهو الذي ولد له في السفينة ، ولما خرجوا ليستقروا على الأرض بنوا قرية سموها سوق ثمانين فسكنوها ، فقال لهم الله اكثروا واملأوا الأرض واعملوها فقد باركت فيكم ، ورفعت اللعنة عن الأرض ، وآذنت بركاتها وأخرج ثمرها وكلوا مما رزقناكم حللاً طيباً ، واجتنبوا الأوثان والميتة والدم ولحم الخنزير وما ذبح لغير الله ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق . ووجه نوح التابوت الذي فيه جسد آدم عليها السلام إلى غار الكنز بمكة فدفن فيه .

ولما كثر ولد نوح عليه السلام قسم الأرض بينهم ، فدب إبليس البهم ليرمي بينهم العداوة والبغضاء ، فقال لبني حام ويافت إن أباكم أعطى ساماً ولده خير

الأرض ومنعكم منها وأعلام عليكم، ولم يزل بذلك فيهم حتى قتل بعضهم بعضاً .
 فالآن نبداً بذكر بني نوح عليه السلام وأنسابهم وتفرقهم في البلدان ،
 وما ولد كل واحد منهم من الأمم ، فنبدأ بذكر حام ، وبعده بذكر يافث ،
 وبعده بذكر يحنون ، وبعده بذكر سام ، متصلاً بالعرب والأنبياء صلوات
 الله عليهم اجمعين .

حام بن نوح عليه السلام

يقول أهل الأثر إن نوحاً عليه السلام دعا عليه بتشويه الوجه وسواده ،
 وأن يكون ولده عبيداً لولد سام .

فولد له بعد كنعان كوش ، فكان أسود ، فهم أن يقتل امرأته ففعله
 سام ، وذكره دعاء أبيه عليه فغضب ، ونزع الشيطان بين الإخوة وحمل بعضهم
 على بعض ، وكان آخر أمر حام أن هرب إلى مصر ، وتفرق بنوه ، ومضى
 على وجهه يؤم المغرب حتى انتهى إلى السوس الأقصى ، إلى موضع يعرف
 اليوم بأصيلا ، وهو آخر مرسى تبلغه مراكب البحر من نحو الأندلس إلى
 ناحية القبلة ، وليس بعده للمراكب مذهب .

فيقال إن بنيه اغتموا لمكانه ، وندموا على تركه ، فخرجوا على أثره
 يطلبونه في النواحي التي قصدوها ، فيقال إن منهم طوائف وقعت عليه ، فكانوا
 معه إلى أن مات وقطنوا ذلك البلد وسكنوا به وهم أصناف السودان ، فكل
 طائفة من ولده بلغت موضعاً في طلبه فانقطع خبره عنهم أقاموا بذلك الموضع
 وتناسلوا فيه ، ولم يصل إليه إلا بنوه فقط .

ولما مات حام خرج بعضهم من ذلك الموضع فأقاموا بكان البربر ، وكان
 عمر حام أربعمائة سنة واحدى وأربعين سنة .

ولما مات دفنه^(١) بنوه في صخرة منقوبة في جبل أصيلا .

ذكر كنعان بن حام

هو أكبر ولد حام وهو أول من غـير دين نوح عليه السلام ، وألقى
العداوة بينه وبين بني جده من الجبابرة والكنعانيين الذين كانوا بالشام ، ويقال
فراعنة مصر منهم ، وجالوت منهم الذي قتله داود عليه السلام فهؤلاء
العمالقة ، لأن العمالقة هم من ولد حام ، ومن هؤلاء الكنعانيون الذين قاتلهم موسى
عليه السلام ، ويوشع بن النون^(٢) من بعده ، وهم الذين عنى الله عز وجل
بقوله (ان فيها قوماً جبارين) وكانت خلقهم عظيمة .

وفيا يقال ان كنعان الأصغر رتبهم في ناحية الشام والجزيرة ومن ولده
فوسطن وصبرا ونها وسمساوس ، ومن ولده نبيط ، والنبيط هو السواد وقيل
سموا بذلك لأنهم استنبطوا الأرض وعمروها وكانوا اصحاب عمارة وتدبير .
ومن ولد سودان بن كنعان أمم منهم الأشبان والزنج وأجناس كثيرة
تداسلت بالمغرب نحو سبعين جنساً ، وهم مختلفون في افعالهم ، ولهم ملوك .
ومنهم أجناس يلبسون الجلود وهم عراة ، ومنهم من يتزر بالحشيش ، ومنهم
قوم يعملون لرؤوسهم قرونا من عظام الدواب ، وعندهم فأر ابيض يأكلونه
ويسمونه من السماء .

ويتزوج الواحد منهم عشرة نسوة يبليت كل ليلة عند اثنتين منهن ، فان
جامعن على ما تحب وإلا طلقهن الملك بعد ثلاثة .

وربما اجذبوا ، فاذا ارادوا ان يستسقوا جمعوا عظاماً فكموها كاللث ،

(١) في ب : دفنوه ، وهي جائزة عربية على لغة ضمنية .

(٢) المعروف في كتب التاريخ أنه يوشع بن نون .

ثم اضرموها بالنار، وداروا حولها ورفعوا ايديهم الى السماء ، وتكلموا بكلام
فينزل المطر ويسقوا .

فاذا اعرس احدهم لطخوا وجهه بشيء يشبه الخبز ، ثم اجلسوه على تل ،
وجلسوا على تل واجلسوا المرأة بين يديه وجعلوا قصباً مثل القبة ، وستروها
بشيء من الخشيش ، واقاموا حولها ثلاثة ايام يشربون نبيذ الذرة ويلعبون ،
ثم ينصرفون ويأخذ الزوج امرأته ويسير بها الى موضع سكناه .

ويلبسون حلق النحاس في ايديهم وآذان نسائهم، ويحمل اليهم الكرداونية
التي تصنع بالحرارة يلبسونها ولا يلبسها منهم إلا الملك .
ولهم شجرة عظيمة يعملون لها عيداً في كل سنة يجتمعون عندها، ويلعبون
حولها حتى يسقط عليهم ورقها فيتبركون به ويزينون المرأة بحلق النحاس
والودع في شعرها .

ومن ولد سودان الكركر وبهم سميت المملكة ، التي هي اعظم ممالك
السودان وأجلها قدراً ، وكل ملك لهم يعطي ملك الكركر حق الطاعة ،
وتنسب الى الكركر ممالك كثيرة .

ومملكة عانة وملكها ايضاً عظيم الشأن ، ويتصل ببلاد معادن الذهب وبها
منهم امم عظيمة ، ولهم خط لا يجاوزه من صدر اليهم فاذا وصلوا الى ذلك
الخط جعلوا الأمتعة والأكسية عليه وانصرفوا ، فيأتون اولئك السودان ،
ومعهم الذهب فيتركونه عند الأمتعة وينصرفون ، ويأتي اصحاب الأمتعة فإن
ارضاهم وإلا عادوا ورجعوا فيعود السودان ، فيزيدونهم حتى تتم المبايعة كما
يفعل التجار الذين يبتاعون القرنفل من اهل سواء [بسواء] ، وربما رجع التجار
بعد زوالهم^(١) تحتفين فوضعوا النيران في الأرض ، فيسبل الذهب فلتسرقه
التجار . ثم يهربون لأن الأرض كلها ذهب عندهم ومعدن ظاهر ، وربما فطنوا

(١) في هامش ب : رواهم ، وفوقها اشارة الى انها نسخة أخرى .

لهم فيخرجون في آثارهم ، فإن أدركوهم قتلوهم .
وفي صحاريهم معادن الأشبارسم ويكبر حتى يظهر مثل الحصى الظاهر
في الرمل وكل ما يحصل للتجار من الذهب يضربونه بمدينة سجماسة ، وهي
مدينة كبيرة فيها أربعة^(١) جوامع وشارع يسار منه نصف يوم ، وفيها نخيل
كثير وفيها يضربون الدنانير .

وتحت يد ملك عانة عدة ملوك وممالك كلها فيها الذهب ظاهر على الأرض
يستخرجه اهله ، ويعملونه مثل اللبن .

ومن الأجناس المشهورة^(٢) منهم ملك الدهم يسار إليها من كركر على
شاطيء البحر مغرباً من هؤلاء ويحارب بعضهم بعضاً ، ويأكلون الناس ، ولهم
ملك كبير تحت يده ملوك ، وفي بلده قلعة عظيمة في صورة امرأة يتأهبون
لها ويحجون إليها .

ومملكة الزغاوة واسعة كبيرة ، منها على النيل مما يحاذي النوبة ، ويحاربون
النوبة

ومملكة توان وهي كبيرة ، ويسار فيها يوماً واحداً^(٣) فيوجد فيها
موميا^(٤) في ابيار غير انها تتحرك مثل الزئبق ، وهذه الآبار^(٥) في بقعة
واحدة مقدارها نصف ميل بنوا عليها حصناً وهم يستعملون الموميا .

ويقال البقعة بفرا من الصحراء ، وممالك النوبة وهم من ولد نوبا بن قوط
ابن مصر بن حام لأنهم لما صار جددهم الى مصر مع مصر مات مصر وبقي بنوه
فتولى امره بعده قبطم وثبت القبط بمصر ، وهو من اولاد قبطم بن مصر .
ووجه قبطم اخوته يسعون في البلاد لطلب ممالك وعيش ، فخرج نوب بن قوط
بأهله وولده وسار على عبر النيل فلুকوا هنالك .

(١) في ب : أربع جوامع . (٣) في ب : يوم واحد .

(٢) في ب : المشهورة . (٤) في ب : موميا . (٥) ب : البيار .

ويقال لمدينتهم العظمى دنقلة ، وبلادهم بلاد نخل وزرع ومقدار اتساعها
شهران ، وهم نصارى على دين اليعقوبية .

ويكون هؤلاء مملكة النوبة من ناحية الصعيد ، وهم أوسع ملكاً وأعظم
خطراً وأصفى لوناً ، ومسيرة ملكهم ثلاثة أشهر ومدينتهم العظمى يقال
لها دخلولة وهم أيضاً نصارى وملكهم جليل ، ولهم لباس وأساوره والذهب
أيضاً عندهم يظهر على الارض ، ولهم أيضاً نخل وكرم وهم أجناس كثيرة
ولهم ملوك وبلدهم واسع .

مملكة البجة : وهي تلي النوبة وهي أيضاً بمالك عديدة ، وهم بين النيل
والبحر وفي كل مملكة ملك ، فأول بمالك البجة من حد السودان وهي آخر
عمل المسلمين ، والمسلمون يعملون عندهم في المعادن ، ووراء ذلك
بمالك ومدن .

وتتصل بهم الحبشة وهم من ولد حبش بن كوش بن حام ، وأكبر ممالكهم
مملكة النجاشي وهو على دين النصرانية ، واسم مدينتهم الكبرى كفر ،
ولم تزل العرب على قديم الايام تأتي هذه المملكة للتجارات .

وتتصل بمملكة الحبشة مملكة الزنج ، وهم على البحر المالح ، ولهم ممالك
واسعة ، وهم من ولد سودات بن كنعان ، ولهم أيضاً ملوك عدة وممالك ،
واسم ملكهم الأكبر كوخه يكون بموضع يقال له نكد ، وهو على البحر ،
يحدون أسنانهم حق ترق ، وهم كبار الأفواه نظاف الثفور على كثرة
أكلهم السمك .

ولهم اقبلة يبيعون انباها من تجار البلدان التي تقرب منهم ، ولهم الجزائر
التي يخرج منها الودع ويتحلون به ، ويبيعونه ، وهم أجناس كثيرة ،
ولهم ممالك .

وأما الكوكبة فهم أمة لهم أربعة أملاك ملكوا الى أيلة الحجاز وبنى كل واحد منهم مدينة سماها باسمه ، وجعلوا سائر الارض خيا ، وقسموها على ثلاثين كورة مقسومة على اربعة أعمال لكل عمل ثمانون كورة ، ولكل عمل ملك يجلس في مدينة على منبر من ذهب ، وفي كل عمل بربا وهو بيت الحكمة ، وهيكل لأحد الكواكب وفيه أصنام ذهب مرتبة له .

وكانت الاسكندرية لهم واسمها راقودة وجعلوا لها خمس عشرة كورة ^(١) وجعلوا فيها كبار الكهنة ونصبوا في هياكلها من أصناف الذهب أكثر مما في غيرها ، وكان بها مائة صنم من ذهب ، وقسموا الصعيد ثمانين ^(٢) كورة على أربعة اقسام .

وكان عدد [مدن] مصر الداخلة في كورها ثلاثين مدينة فيها جميع المعائب والكور مثل اخميم وقفت وقوص والفيوم .

ذكر يافث بن نوح

وأما ولد يافث بن نوح فقال اصحاب التاريخ ان جميع اللغات اثنان وسبعون لغة منها سبع وثلاثون في ولد يافث : وثلاث وعشرون في ولد حام ، واثننا عشرة في ولد سام ، فذكروا ان ولد يافث من ظهره سبعة وثلاثون لكل واحد منهم لغة يتكلم بها هو ونسله .

وكان في قسم ولد يافث أرمنية وما جاوزها إلى الابواء ؛ فمنهم الأشبان والروس والبرجمان والخرز والترك والصقالبة ويأجوج ومأجوج وفارس ومزنان وأصحاب جزائر البحر والصين والبلغار وأمم لا تحصى .

ذكر يأجوج ومأجوج

فأما يأجوج ومأجوج فإنه لا يقدر على استقصاء ذكرهم لكثرة عددهم ،

(١) في ب : خمسة عشر . (٢) في ب : ثمانون .

وقد زعم ان مقدار ربع الأرض مسيرة مائة وعشرين سنة .
 فذكروا أن تسعين منها لبأجوج ومأجوج واثنى عشر للسودان ، وثمانية
 للروم ، وثلاثة للعرب ، وسبعة لبقية الأمم .
 وسمى أصحاب التاريخ بأجوج ومأجوج أربعين أمة مختلفي الخلق
 والقنود ، في كل أمة منها ملك ولهم زي ولغة ، فمنهم من طوله الشبر والشبران
 وأطول من ذلك ، ومنهم المشوهون ، ومن يفترش إحدى أذنيه ويتغطى
 بالأخرى ، ومن له ذنب وقرن وأنياب بارزة ، ومنهم من مشيه وثب
 ويأكلون الحيتان والناس والحشاش والطير كله والرخم والحدأة ،
 وبعضهم يغير على بعض .

ومنهم من لا يتكلم إلا همهمة وفيهم شدة وبأس ، وأكثر طعماهم الصيد ،
 وكانوا يغيرون على الأمم التي تليهم ويخربون بلدانهم ، حتى عمل ذو القرنين
 السد وهم يستفتحونه آخر الزمان كما قال الله عز وجل .
 وربما أكل بعضهم بعضاً ، والزلازل عندهم كثيرة ، وذكر أن عندهم أمم
 تعرف المناسك .

وسئل النبي ﷺ عن بأجوج ومأجوج هل بلغتهم دعوتك ؟ فقال « جرت
 ليلة أسري بي عليهم فدعوتهم فلم يستجيبوا » .

ذكر الصقالبة

وأما الصقالبة فهم عدة أمم ؛ فمنهم النصارى ، و [من] يقولون بالمجوسية
 ويعبدون الشمس ، ولهم بحر حلو يجري من ناحية الشمال إلى الجنوب ،
 ولهم أيضاً بحر يجري من المشرق إلى المغرب حتى يتصل ببحر آخر يجري من
 ناحية البلغر ، ولهم أنهار كثيرة ، وهم كلهم في ناحية الشمال ، وليس لهم

بحر مالح لأن بلدهم بعيد عن الشمس ، فمأوهم حلو ، وما قرب من الشمس مالح ، وما جاوزهم من الشمال لا يسكن لبرده وكثرة زلازله ، وأكثر قبائلهم بجوس يحرقون أنفسهم بالنار ويتعبدون لها .
ولهم مدن كثيرة وبلاد ، ولهم كنائس فيها أجراس معلقة يضربونها كالنواقيس .

ومنهم أمة بين الصقالبة والافرنج على دين الصابئين ، يقولون بعبادة الكواكب ، ولهم عقول وصناعات لطيفة من كل فن ، وهم يحاربون الصقالبة وبرجان والترك .
ولهم سبعة ^(١) أعياد في السنة بأسماء الكواكب ، وأجلها عندهم عيد الشمس .

ذكر اليونانيين

وأما اليونانيون فهم الروم الأولى من ولد يونان بن يافث بن نوح وهم حكماء الأمم ، ولهم النجامة ، والحساب ، والهندسة ، والطب ، وصناعات المنطق ، والصناعات اللطيفة ، وكل حكم مذكور .

وكانت الأندلس والاسكندرية ومن جاورهم من الأمم يدينون بطاعتهم إلى أن غلب عليهم رومي بن ديقطون من ولد عيصو بن إسحاق بن إبراهيم عليها السلام ، لأن عيصو لما فارق أخاه يعقوب سار إلى العدو القريية ، وهي مساكن الروم اليوم فغلب عليها ، وهم الذين بنوا رومية وإليهم تنسب وهم بنو الأصفر .

وكان آخر ملوك اليونانيين ايلابطره ^(٢) بنت بطليموس صاحب كتاب

(١) في ب : سبعة . (٢) هي كيلوبطره .

الحكمة والطلسمات ، ثم رجع الملك الى الروم ، وقد كان ملك قبلهما منهم كثير .

ومنهم الحكماء الذين تكلموا في علم الفلك والهندسة والطب والحساب والموسيقى والمراثي العجيبة والطلسمات والحيل الروحانية والزيجات ^(١) وكل حكمة .

وكان أبقرراط منهم وأبقراط الثاني وهرمس وسقراط وأفلاطون وأرسطاطاليس واقليدس وجالينوس وجماعة يطول الكتاب بذكرهم .

ذكر الصين

وقطع قوم من بني عامر بن يافث الى ناحية الصين ، وكان زعيمهم قد عمد الى مراكب على حكاية سفينة جده نوح عليه السلام فركب هو وأهله وولده فيها ، وقطع البحر إلى الصين ، فعمروه وبنوا المدن وعملوا الحكم ودقاق الصناعات ولطيفها ، وأثاروا معادن الذهب فيها ، وملكوا ثلاثمائة سنة .

وملك بعده ابنه صاني مائتي سنة ، وبه سمي الصين ؛ فجعل جسد أبيه في تمثال ذهب ، وأقاموا يطوفون به وهو على سرير من ذهب ، فصار ذلك رسم كل ملك يملكهم ، وصوروا صورهم في هياكلهم ، وهم على دين الصابئين ثم عبدوا الذرة ، بعد ذلك اقتداء بالهند ومن ذلك عبدوا ملوكهم ، وكانوا يعملون أجسادهم في تماثيل ذهب ويسجدون لها .

ومنهم حكماء تكلموا في الفلك والطب والصنعة وكثير من علوم الهند ، وبلد الصين واسع يقال إن فيه ثلاثمائة مدينة ونيفاً عامرة سوى القرى والرساتيق وبها عجائب كثيرة ، ومن خرج في البحر قطع سبعة ^(٢) بحار

(١) في ب : ولجزيات . (٢) في ب : سبع .

لكل بحر منها ريح ولون سمك ليس لما يليه .

أولها بحر فارس وملكهم اليوم اليعقوفز وهو في مدينتهم العظمى التي يقال لها انصوا ، وبينها وبين خانقوا التي تتراءى لها مراكب التجار ثلاثون يوماً . ومن سيرتهم أن عمال الملك وأصحاب خراجهم وجيوشه خدم ، وذلك أن المرأة إذا لم تكن محصنة وأرادت الفجور رفعت أمرها إلى الملك تذكر حالها فيدفع إليها خاتم نحاس من خواتم الملك فجعلته في عنقها ولبست المصبغات ، وعملت ما شاءت علانية ، وإذا ولدت الذكور خصوا واستعملهم الملك في داره وأعماله وان ولدت أنثى كانت على رسم امها .

وأهل الصين بيض إلى الصفرة فطس ، ومن سنتهم أن احدهم اذا تظلم إلى الملك من بعض عماله كشف عن أمره ، فان كان صادقاً أنصفه وعاتب ظالمه ، وإن كان كاذباً ضرب بالخشبة ضرباً شديداً لاجترائه على عمال الملك بالكذب . ومن سنتهم أنه إذا أراد خادم من خدم الملك شيئاً ضرب جرس كبير يدخل الناس دورهم ، ويخولون له الطرقات لثلاث يرونه .

ومن سنتهم ان تقسم المدينة قسمين ، فيكون الملك وأهل بيته وعماله وحشمه في القسم الواحد ، والعامه والرعية واسواقهم في النصف الآخر ، لا يدخل احد منهم إلى ناحية الملك .

ومن سنتهم ان يورثوا الأنثى أكثر من الذكر ، ولهم عند حلول الشمس الحفل عيد كبير يأكلون فيه ويشربون سبعة أيام .

واشرف حلبيهم من قرون الكركند ، وهو الموشان ، لأنها إذا استوت ظهر فيها صور عجيبه مختلفة فيتخذون منها مناطق تبلغ المنطقة اربعة آلاف مثقال من ذهب .

والذهب عندهم كثير حتى يتخذون منه لجم دوابهم وسلاسل كلابهم ، ولهم ثياب الحرير المنسوجة بالذهب .

ذكر الاهتدة

وأما الاهتدة فهم من ولد عامر بن يافث نزلوا بين الروم والافرنج ومملكتهم واسعة ، ومملكتهم جليل القدر ولهم مدن كثيرة وأكثرهم اليوم نصارى ، ومنهم من لا دين له وهم يحاربون الافرنج والصقالبة الذين يجاورونهم ويطردونهم ، وزعيم زي الروم ، ومنهم صنف يحرقون أنفسهم .

ذكر الافرنج

وأما الافرنج فهم أيضاً من ولد يافث ومملكتهم واسعة كبيرة ، ولهم ممالك يجمعها ملك واحد ومدينتهم الكبرى يقال لها دريوه ، وهم أيضاً نصارى وهم اليوم اربع عشرة قبيلة ووراءهم اجناس اخرى وأكثر اعتدائهم الى الصقالبة ، ولهم اتساع مملكة ، وهم يحاربون الروم والاهتدة ، ومنهم متعجرو فيهم نصارى ، ومجوس وزنادقة ، ومنهم من يحرق نفسه .

مملكة الاندلس

الاندلس اربع وعشرون مدينة يملكهم ملك واحد إلا ان دينهم دين الصائبة ، ولهم في هياكلهم أصنام للكواكب ثم انصرفوا عن ذلك وتنصروا وكانت لهم معرفة ، وحكم وكان في دار مملكتهم بيت اذا ولي منهم ملك أقفل على بابه قفلاً ، الى ان ولي ملكهم لذريق ولم يكن من اهل الملك فطلب ان يفتح أقفال ذلك البيت وكانت عدتها اربعة وعشرين قفلاً ، فاجتمعوا اليه وسألوه ان لا يفعل وبذلوا له على ذلك جميع ما في أيديهم من الأموال فأبى الا فتحها ، فلما رأوا منه الجد تشاءموا به وتركوه ، ففتح الأقفال ودخل البيت

فوجد فيه صور العرب على الخيل والجمال ، وعليهم العمام الحمراء وبأيديهم الرماح الطوال والقس وكتاب فيه « إذا فتح هذا البيت غلب على هذه البلاد قوم على صور هؤلاء » ففتحت الأندلس في تلك السنة والتي بعدها تولى فتحها طارق بن زياد مولى موسى بن نصير في سنة اثنتين وتسعين أيام الوليد بن عبد الملك ، وقتل ملكهم لذريق وسباهم وغنم ، ووجد في ذلك البيت مائدة سليمان عليه السلام وكانت من ذهب عليها أطواق جوهر مفصلة ، ووجد المرأة العجيبة الغربية التي ينظر فيها إلى الأقاليم السبعة وهي مدبرة من أخطا ، ووجد فيها آنية سليمان من الذهب ، والزبور منسوخاً بخط يوناني جليل بين ورقات ذهب مفصلاً بجوهر ، ووجد فيه اثنين وعشرين مصحفاً محلاة كلها بالذهب منها التوراة ومصحف آخر على بفضة فيه منافع الأشجار والأحجار ، وعمل الطلسمات ، وكان مصحف فيه عمل الصبغة وأصباغ اليواقيت ، ووجد فيه فقاعة كبيرة من حجر مملوء أكسيد الكيمياء مختومة بالذهب ، فحمل ذلك كله إلى الوليد بن عبد الملك .

لما فتحت الأندلس نزلها المسلمون وتفرقوا في مدنها ، وتلکوا أكثرها إلى أن صار إليها عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك في سنة ثمان وثلاثين ومائة فغلب عليها وتلکها فذريته إلى اليوم فيها .

ذكر مملكة البرجان

وأما البرجان فهم من ولد يونان بن يافث وهي مملكة كبيرة واسعة وهم يحاربون الروم والصقالبة والخزر والترك ، وأشد [الأمم] حرباً لهم الروم . وبين القسطنطينية وبلاد برجان خمسة عشر يوماً ، ومملكة برجان مسيرة

أخبار الزمان م (٧)

عشرين يوما في ثلاثين يوما ، وعلى عمل برجان كله سياج وعليه شبه الشباك من الخشب فهو كالسور على الخندق والقرى دون السياج .

وأهل برجان مجوس ، وليس لهم كتاب ، ودوابهم التي للحرب راتعة أبدا في مرج لا يركبها أحد منهم إلا في وقت الحرب ، وان وجدوا رجلا قد ركب دابة حربية في غير وقت قتلوه ، وإذا خرجوا للحرب اصطفوا صفوفها فجعلوا اصحاب النشاب أمامهم ، وجعلوا خلفهم جميع العيال والذرية .

وليس لبرجان دنائير ولا دراهم وإنما تبايعهم وترويحهم بالبقر والغنم ، وإذا وقع بينهم وبين الروم الصلح أدت برجان الى الروم جواري وغلمانا من بني الصقالبة ومن شبههم .

وإذا مات لأهل برجان ميت عمدوا الى ما ترك من خدم وحاشية ، فجمعوهم وأوصوهم بوصايا وأحرقوهم مع الميت ، ويقولون نحرقتهم نحن في الدنيا فلا يحرقون في الآخرة .

ولهم ناوس عظيم إذا مات الميت أنزلوه فيه وانزلوا معه امرأته وحشمة فيبقون هناك حتى يموتوا .

ومن سنتهم إذا أذنب عبد أو أخطأ وأراد مولاه أن يضربه انبطح من قبل نفسه ولم يسكه أحد فيضربه مولاه ما أحب ؛ فان قام من غير أن يأذن له مولاه وجب عليه القتل ، ومن سنتهم أن يورثوا النساء أكثر من الرجال .

ذكر مملكة الترك

وأما الترك فهم من ولد يافث بن نوح عليه السلام ، وهم أجناس كثيرة ،

وهم أصحاب مدن وحصون ، ومنهم قوم في رؤوس الجبال والبراري ، في خيم اللبود ، وليس لهم عمل غير الصيد ، ومن لم يصد شيئاً ذبح دابته وأخذ دمه وشواه ، وهم يأكلون الرخم والغربان وغيرها . وليس لهم دين ، ومنهم من هو على دين المجوسية ومنهم من يتهود .

وملكهم الأكبر خاقان ، وله سرير من ذهب وتاج ذهب ومنطقة ذهب ولباسهم الحرير ، وقيل ان ملكهم الأعظم لا يكاد يظهر ، وإن ظهر لم يقم بين يديه أحد ، وفيهم مكر^(١) وفيهم حقد ، وشدة وبأس .

وللملك عندهم يوم توقد لهم فيه نار عظيمة ويأتي ويقف وهو مطل عليها ، ويتكلم بهممة فيرتفع منها وهج عظيم ، فان كان الى الخضرة كان الغيث والخصب وإن كان إلى البياض كانت الجذب ، وإن كان الى الحمرة كانت هراقة الدماء ، وإن كان الى الصفرة كانت علل ووباء ، وإن كان الى السواد دل على موت الملك أو على سفر بعيد ، فان كان ذلك عجل بالسفر والعودة

ذكر مملكة الروم

وأما الروم فهم من بني عيصو والروم لقب لهم ، فلما صار الأمر الى قسطنطين قال بالنصرانية وجمع الأساقفة على المعمودية^(٢) ثم تفرقت النصراني بعده على طبقات : البطريق والأسقف والقسيس والشماس والمطران والدمستق صاحب الفرق ، وهم يفطرون يوم الأحد اذا صاموا ، ويفطرون السبت من الظهر ، ولا يتزوج الرجل عندهم الا واحدة ولا يتسرى عليها ، ولا يشرب من الخمر حتى يسكر ، والسكر عندهم حرام ، وتعظيم الأحد عندهم ، لأن

(١) في ب : وفيهم سحر . (٢) في ب : المعمودية .

المسيح قام من قبره ليلة يوم الأحد ، وارتفع إلى السماء يوم الأحد بعد اجتماعه مع الحواريين .

ولا يرون الاغتسال من الجنابة ولا الوضوء ، وإنما عبادتهم بالنية ولا يأخذون القربان ، ويقولون هذا لحمك ودمك ، يعنون المسيح عيسى عليه السلام ، ويعتقدون أنه ليس بلحم ولا خبز وإذا تفرقوا بعد أخذه قتل بعضهم بعضا ، ولا يتكلم إذا أخذ القربان حتى يغسل فيه ، ويورثون النساء جزئين والرجال جزءاً ، وليس لهم طلاق .

ومن سيرتهم أن لا يلبس أحد منهم خفين أحمرين إلا الملك ، فان كان ولي عهد لبس فرداً أحمر وفرداً أسود ، ولا يأكل ملكهم إلا على الموسيقى والألحان والغناء ، وأكثر طعامهم الكرديانات والمرققات والاستبدناجات والسكباجات .

ولهم الأرغن وفيهم الطب والحكمة وعمل الصناعات والحدق بالسور حتى أنهم ليصورون صوراً يظهر عليها الحزن ، ويصورون أخرى يظهر عليها الفرح والسرور ، ويسمى ملكهم الملك الرحيم ، ويظهر العدل والإنصاف وهو ينوح .

ذكر مملكة الفرس

وأما الفرس فهم من ولد يافث بن نوح ، والفرس تدفع ذلك ويزعمون أنهم لا يعرفون نوحاً ولا الطوفان ولا ولد نوح ، ويحسبون ملوكهم من كيومرت الأول وهو آدم .

وزعموا أن الفرس كلها من ولد أفريدون الملك ، وزعم قوم أن أول ملك في العالم بعد الطوفان أوسيهيد بن نوح بن عامر ^(١) بن يافث وأنه ملكهم ألف

(١) هكذا في الأصل ، والمعروف أنه ابن لك .

سنة وطلع إلى الفلك .

وبعده منوشهر وهذه الطبقة الأولى إلى أن غلب الاسكندر دارا بن دارا ورتب ملوك الطوائف ، ثم هلكت الأكاسرة من آل أردشير بن بابك إلى انقضاء ملكهم وقد نسبهم قوم إلى سام ، وبذلك جاءت الآثار .

وكان دينهم دين الصابئة ، ثم تمجسوا وبنوا بيوت النيران ، ويقال إنه كان يكسي ملكهم بيوت النيران ويذر فيها كبريتا وزرنيخا فيستوقد من نفسه لا يستعملون الحطب لتلك النار الا أوقية أو قية بثلاثين فضة .

ويقال إن [من] كان يريد التعبد في تلك البيوت يقعد على كرسي وبين يديه هاون حجر كبير قد جعل فيه ماء وبهده دستج خشب يضرب به الملك أبدا ويحركه بعنف شديد وقوة واجتهاد كأنه يعذب لهباده النار .

وجميع أهل الممالك يعترفون للفرس ويقرون لهم بالرئاسة وحسن التملك وتدبير الحروب ودقيق الألوان وتأليف الطعام والطب واللباس وترتيب الاعمال ووضع الأشياء مواضعها والترتيب والخطابة ووفور العقل وتمام النظافة والشكل وهيبة الملوك ، هذا كله لهم فيه السبق .

ومن كتب سيرتهم استعمال من جاء من بعدهم من رسوم الملك وتدابير الرئاسة ، وأمرهم أشهر من أن يستقصى في هذا المكان .

ذكر مملكة خراسان

فأما ملوك خراسان مثل الصفد وغيرهم من قد غلبه والأشروسنية والبرجان وهو أهل الديلم والجبل واللد والاكراذ والشماس ، وما وراء النهر فقد كانت لهم ملوك عدة بطارقة أكثرهم كان يعبد النار ويتمجس .

ويقال إن اردشير رأى شيطانه فقال له علمني علما انتفع به ، فقال له على

أن تنكح أمك فهي أقرب اهلك، ففعل وصار دين المجوسية .
والفرس تزعم أن نكاح الاخوات من وقت آدم ، ثم أطلق لهم بعد ذلك
زنادقتهم نكاح الام، وقالوا لهم هي أحق اليه من الاخت ففعلوا .
وخلف جزيرة الصين أمم عراة ينسق لون شعورهم وأمم لا شعور لهم
وأمم حمر الوجوه شقر الشعور ، وأمم إذا طلعت الشمس هربوا الى مغارات
يأوون اليها من حر الشمس ولا يخرجون منها حتى تدور الشمس الى الوجه
الغربي، وأكثر ما يفتنون نباتا يشبه الكمأة وسمك وخشاش الأرض، وتحاذيهم
من ناحية الشمال أمم بيض شقر عراة يتناكحون كما تتناكح البهائم ، ويجتمع
على الواحدة الجماعة ، ولا يمنع أحد من أنثى لينالها .

ذكر سام بن نوح

وأما سام بن نوح عليه السلام فان الله تعالى جعل له الرئاسة والكتب
المنزلة والأنبياء ، ووصية نوح في ولده سام خاصة دون أخوته ،
فولد سام ، أرفخشذ .

وكان عمره أربعمئة سنة وخمسا وستين سنة منه ، وولد أرفخشذ شالخ ،
وولد شالخ عابر ، وعاش عابر أربعمئة سنة وثلاثين سنة .

وولد عابر قحطان ، وولد قحطان فالغ ، وولد فالغ يعرب ، وقيل إنه
أول من تكلم بالعربية ، وكانت لغاتهم السريانية ، وولد يعرب سبأ وولد سبأ
حمير ، وسمى بذلك لأنه كان له تاج ، وكان له جوهر أحمر فاذا جلس أضاء
على بعد منه ، فكان يقال له الملك الأحمر ، ثم غير اللفظ فقبل له حمير .

وكهلان [بعد] حمير بن سبأ ومن كهلان كانت ملوك اليمن من التبابعة
والأذوين، ومنهم كان أبرهة والاحابش ، والمغاربة والانجاد .

والاذواء جماعة غزوا الامم وتجولوا في البلاد ، ومنهم إفريقس الذي بلغ آخر المغرب .

ذكر ابراهيم عليه السلام

وأما ابراهيم عليه السلام فولد له سيدنا اسماعيل عليه السلام، وأمه [هاجر] القبطية واسحق وأمه سارة بنت هارون ، وهو من بني حران وكانت حياة ابراهيم عليه السلام مائة وخمسا وسبعين سنة، وكان ملك بابل في وقته النمرود من ولد كوش بن حام، فلما ان حاجه ابراهيم عليه السلام وكسر الاصنام أضرم الملك له نارا عظيمة وألقاه فيها فجعلها الله تعالى عليه بردا وسلاما ، وأتت ريح فتنست النار في وجوه الواقفين مع الملك كذلك .

وخرج إلى حران فأمن به ابن أخته لوط وسارة بنت عمه. وكان خروجه وهو ابن سبع وثلاثين سنة وتزوج سارة بوحى أناه، وخرج معه ثلاث صحف بالعبرانية وكانت لغته سريانية ، وكان في الصحف أمثال وتسبيح وتهليل وتحميد ، وأمر بالمسير فعبى الفرات وسار إلى مصر وسندكر قصته في أخبار مصر .

ذكر اسماعيل عليه السلام

وأما اسماعيل عليه السلام فقطن الحرم ونبع له زمزم بامر الله تعالى ، ونبأه الله وأرسله إلى العماليق وجرهم وقبائل اليمن ، فنهاهم عن عبادة الأوثان ، فأمنت به طائفة منهم وكفر اكثرهم ، وغلب على الحرم وتزوج في خيرهم .

وولد له اثنا عشر ولداً ومات وهو ابن مائة سنة وسبع وستين سنة ،
وأوصى إلى ابنه عدنان بأمر البيت ، فدبر أمر البيت .
فمن عدنان ولد محمد النبي الكريم ﷺ ، وجميع العرب العاربة من ولده .
وذكر آخرون أنه من ولد قيدر بن اسماعيل ، واختلفوا في ولد اسماعيل
اختلافاً كبيراً ، وكان رسول الله ﷺ إذا بلغ بالنسب إلى معد بن عدنان ،
قال عدنان بن اعراف الثري . ومن اسماعيل وعدنان أمم كثيرة .

حدث البلبلة

كان الناس بعد الطوفان مجتمعين بمكان واحد بأرض بابل ولغتهم السريانية
ثم تفرقوا فسلك قحطان وعاد وئود وعملق ، وطسم وجديس طريقاً ،
وألهمهم الله تعالى هذا اللسان العربي فساقتهم الأقدار إلى اليمن فسارت عاد
إلى الأحقاف ونزل ئمود ناحية الحجر ونزل جديس اليمامة ، ثم شخص طسم
فنزل اليمامة مع جديس ، ثم شخص عملق فنزل أرض الحرم ، وسار ضخم
أرم فنزل الطائف ، وسار جرهم فنزل مكة ، فمؤلاء ولدهم ونسلهم يسمون
العرب العاربة .

وولد اسماعيل يسمون العرب المستعربة لأنهم تعلموا منهم وتكلموا بلغتهم .

ذكر عاد

وأرسل الله هوداً إلى عاد وهم بأحقاف الرمل وملكهم الخليلجان^(١) بن
الوهم، وكانوا يعبدون ثلاثة أصنام وكذبوه ، فدعا عليهم فأمسك الله عنهم

(١) في ب : الخليلجان .

المطر ثلاث سنين فأجهدهم ذلك فوجهوا الى مكة رجالاً يستسقون لهم في الحرم .

ولم تزل العرب تعظم موضع البيت ، وكان موضعه بعد الطوفان ربوة حمراء ، وأهله العماليق وسيدهم معاوية بن بكر ، فقدم عليه وفد عاد للاستسقاء وفيهم قيل^(١) بن عمرو ويزيد بن ربيعة ، ونعيم بن هذال ، ولقمان بن عاد ، فقدموا ونزلوا على معاوية بن بكر وأقاموا عنده شهراً يأكلون ويشربون وتغنيهم الجرادتان وهما قينتان كانتا لمعاوية بن بكر ، فلما طال أمرهم أشفق عليهم معاوية بن بكر لأنهم أخواله وخاف عليهم ، فصنع شعراً ينيبهم به ويحثهم على ما قدموا له ، وأمر الجاريتين فغنتاه^(٢) :

ألا يا قيل ويحك قم فهينم لعل الله يعطرننا غماما
فيسقي أرض عاد إن عاداً قد أمسوا لا يبينون الكلاما
وأنتم ها هنا فيما اشتيتم نهاركم وليلكم السما
فقبج وفدكم من وفد قوم ولا لقوا التحية والسلاما^(٣)

فانتبه القوم لما سمعوا الشعر ونهضوا يستسقون ، فلما استسقوا نشأت لهم ثلاث سحائب بيضاء وسوداء وحمراء ، ونودي قيل منها اختر لقومك قال البيضاء جهام قد فرغت ماءها ، والحمراء ريح والسوداء غيث فاخترها فقيل قد اخترت رماداً رمداً لا يبقى من عاد أحداً ، لا والدأ ولا ولدأ . فدخلت الريح على عاد من واديهم ، فأقامت سبع ليال وثمانية أيام حسوماً ، والحسوم الدائمة حتى هلكوا عن آخرهم ، وتهدمت ديارهم ولم ينعهم جدار ولا جبل حتى هلكوا عن آخرهم ، ولم يبق إلا رسمهم .

(١) في ب : قنبل .

(٢) الأبيات في مروج الذهب بأطول من هذا .

(٣) في ب : فغنيته .

و [روي أنه] لما استسقى وفدهم بمكة ، ساروا في طريقهم فنودوا في طريقهم : إن عاداً قد هلكوا عن آخرهم ، فاختاروا لأنفسكم ، فاختار قيل أن يلحق بقومه ، فسار نحوهم فلقينه الريح فأهلكته ، واختار مزيد برأ وصدقاً وكان مؤمناً يهود عليه السلام ، فأعطي ما سأل .

واختار نعيم حياة ألف سنة لا يمرض ولا يهرم ، ولا تصيبه حاجة فأعطي ما اختار ، واختار لقمان عمر سبعة أنسر فأعطي ما أختار ، وكان يأخذ النسر فرخاً يربيه حتى يهلك ، ثم يأخذ عند هلاك ذلك فرخاً آخر ، فيفعل به كذلك ، حتى بلغ سبعة أنسر ، وكان آخرها لبد ، وقد ضربت العرب به الأمثال في أشعارهم قال الأعشى :

ألم تر لقمان أهلكه ما مر من سنة ومن شهر
وبقي نسر كلما انقرضت أيامه عادت إلى نسر
ما مر من أمد على لبد وعلى جميع نسوره السمر
قد ابلت الأيام نضرت له وأودعت لقمان في القبر

وقال النابغة الذبياني :

أمتت خلاء وأمسى أهلها انقرضوا أخنى عليها الذي أخنى على لبد
ولما قسم نوح عليه السلام الأرض بين بنييه جعل لسام وسط الأرض ،
والحرم وما حوله واليمن إلى حضرموت إلى عمان والبحرين إلى عالج إلى طرف
بلاد الهند ، وكان هذا كله مدناً وقرى وحصوناً وقصوراً ومساكن وبساتين
يتصل بعضها ببعض ، إلى ان سخط الله على قوم هود فأفسد كثيراً منها .

وجعل الله في ولد سام النبوة والبركة ، وجعل لحام بعض الشام ومصر إلى
أعالي النيل وبلاد النوبة والبعجة ، وأصناف السودان مع البحر الأحمر ^(١) إلى

(١) في ب : الاخضر ، وهو خطأ .

بلد الحبشة والهند والقوط والسند .

وقسم لياث بلاد الترك والصين ، ويأجوج ومأجوج ، والصقالبة والروم وإفرنجة والأعبورة والأندلس الى البحر المظلم ، وسواحله .

وجعل ليعطون صين الصين إلى بلاد الشحر إلى ناحية اليمن ، فكثروا من كل جانب وانبسطوا الى جهة بابل ، وبورك فيهم فصاروا نيفاً من سبعين ألف بيت على خلق عظيم إلى أن ضرب بينهم إبليس ، وكانت البلبلة فافترقوا .

وكان أول ملك منهم النمرود الأول بن كوش بن حام ، وكان أسود أحر العينين مشوها في جبهته كالقرن ، وكان أول أسود يرى بعد الطوفان ، فكان من ولده لدعاء نوح عليه السلام على ابنه حام ، وذلك أن نوحاً عليه السلام نام فأنكشفت عورته ، فرآها حام فضحك ولم يغطه ، وسكت يافث ، ولم ينكر عليه فصاح سام عليها ، وعلم ذلك نوح فدعا على حام أن يكون ولده سوداً مشوهين عبيداً لولد سام ، ودعا على يافث أن يكون ولده عبيداً لبني سام ، وأن يكونوا أشرار الناس .

وكان حام من أجمل البرية وأتمهم كالا وأطيبهم ريحاً ، فاجتنب امرأته أن يطأها خوفاً من دعوة أبيه ، فلما مات أبوه غلبه ذلك على اعتقاده ، فقرب منها فحملت بكوش بن حام وأخته ، فلما رأها حام فزع منها ، وأتى اخوته فأخبرها وقال لها قلت لامرأتي هل شيطان أو أحد غيري أذاك؟ فقال اخوته هذه دعوة أبيك فاغتم لذلك وترك امرأته دهرأ ، ثم غشيها فولدت قوطاً وتوأمته ، فلما رأى ذلك هرب في البلاد وغاب فلم يدر أين يذهب ، ولم يكن أشد تجبراً وتكبراً وعتوا من النمرود الأسود .

وكان له بعض كهان فأتاه إبليس فقال له أنا كاهن من الكهان ، ولم أر أحداً يعادللك في الكهانة وأنا معينك ومتمم أمرك ، وجاعلك ملك الملوك ،

على أن تذبح لي ولدك قرباناً ، وتصلي لي ثلاث صلوات فأقلدك وأكون معك ، وأجعلك كاهناً كاملاً تاماً وأقيمك مقامي ففعل ما أمر به فأمر إبليس الشياطين بطاعته ، وليكون معه ، ثم أتوه بولد سام فحاربهم وعاونه إبليس فقهرهم واستعبدهم ، فانقادوا له وأطاعوه فبنى له إبليس قصرأ وصفحه بالذهب^(١) المكللة بالجواهر تضيء ما حوله ودفع اليه سيفاً يتألق نوراً في رأسه ثعبان يمتد إلى من يوميء اليه فيقتله ، فلما رأى^(٢) الناس ذلك أذعنوا له بالطاعة ، ثم دعاهم إلى عبادته فأمر أن يبنى له صرح^(٣) من الحجارة ومن الكلس فلم يبق احد إلا عمل فيه وقال يكون حصناً لكم

وعاونته الأبالسة فبنى صرحاً عظيماً فبلغ ارتفاعه في الجو تسعمائة ذراع ، ثم هندم أعلاه بأغرب بنيان وبنى فيه مجالس على أساطين غريبة ، وكانت عرض كل حائط من حيطانه الأربع ألف ذراع وما بين ذلك من الطبقات جعلها كلها مخازن وملاً جميعها من المال والطعام والشراب وجميع الآلات وكل ما يخاف أن يحتاج اليه يوماً من الدهر بما يقوم به هو وأهله مدة من الدهر طويلة ، وجعل مجلسه أعلاه وأمر الناس أن يعبدوه .

واتخذ صاحب خبره جنياً^(٤) بينه وبين الناس ، فاذا رفع اليه أن أحداً امتنع عن عبادته أمر به فطرح من أعلى الصرح إلى أسفله

وزعم قوم أنه يكرن على السحاب ويصعد إلى الفلك ، وكان يركب عجلة منصوبة على ظهور الشياطين وينحدر منها إلى الأرض ففرق الناس منه وافتتنوا به وعبدوه كثير منهم ، وعظم أمره . واتصل بسام أنه يريد قتله ، وقد عزم عليه فأخرج سام الأسماء التي علمه نوح عليه السلام إياها ، وقال له

(١) لعل الصواب بالمذاهب . (٢) ب : صرحاً .

(٣) ب : رآه . (٤) في ب : حبشياً .

لا تدع بها إلا في مهم عظيم ففيها ^(١) اسم الله الأعظم ، وقال : اللهم أنت الداعي لعبادك وبعينك ما هم فيه وما خرجوا من الفتنة اليه بغلبة هذا الجبار الذي قد استهوته الشياطين وانقيادهم له ، وإن لم تغنهم ضلوا وهلكوا ، وأنت أعلم بما يصلحهم ، فاحقن دماءهم وامنع هذا الجبار منهم ، وخذه بجريرته واكفنا أمره .

فأمر الله عز وجل الرياح الأربع فأقبلت على ذلك الصرح من جوانبه فجعلته دكا واتبع ذلك ظلمة شديدة ورجفة عظيمة تزعزعت لها الجبال .
فنهض العالم على وجوههم لا يرى بعضهم بعضاً ، ولا يدرون أين يتوجهون وضعفت ألسنتهم عن الكلام .

وهلك اللعين عدو الله النمرود ، وهلك من كان يعبده ، ومشى الناس في الظلمة هاربين ثلاثة أيام ثم لاحت لهم شعوب فيها نور يسير ، فقتشعب كل شعب فرقة هربت نحوه طلباً للنجاة ، وتبع كل فرقة قوم يحثونهم ، وهذا بلغة غير لغة الفرقة الأخرى ، حتى خرجت كل فرقة إلى ناحية من الأرض وقد تبلبلت ألسنتهم وكثرت لغاتهم ، فاذا وصلت فرقة منهم إلى موضع ناداهم مناد « هذا موضعكم الذي تكونون فيه فاعتمروا فيه وأثمروا » .

فخرج بنو سام لناحية اليمن إلى الشحر وحضرموت إلى آخر خط الاستواء ، فمنهم العرب العاربة .

وخرج بنو حام إلى السند والهند وبلاد أسوان ^(٢) . وخرج بنو يافث إلى الشمال ؛ فمنهم الروم والخزر والترك والصقالبة والافرنج ، وبأجوج ومأجوج .
وخرج بنو يحنون إلى الصين الأقصى وأقاصي الشرق ، فنزل ^(٣) كل قوم في موضعهم وعمره وتوالدوا فيه إلى اليوم .

(١) في ب : منها . (٢) هكذا في الأصول . (٣) في ب : ترك .

ونذكر من أخبار آدم عليه السلام ما وقع إلينا في نقله بعض الخلاف ، وفي ذكره فائدة .

آدم خلقه الله بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له ملائكته على ما تقدم ذكره ، وأسكنه جنته بفضل ، وأهبطه بذنبه إلى الأرض ، وتاب عليه ، وعلمه جميع العلوم ، وملكه على الأرض ، وكثر في جميع العالم منه أفاضلهم وأشرارهم وهو أول من صام وصلى وقرأ وكتب .

وكان من أحسن المخلوقين وجهاً ، وكان أمررد أجرد ، وأنزل الله تعالى عليه إحدى وعشرين صحيفة ، وتوفاه الله وهو ابن سبعمائة سنة وخمسون سنة ، وكان عمره الف سنة ، فوهب لداود منها خمسين سنة لما عرضت عليه أعمارهم وصورهم فرأى عمر داود قصيراً .

وأوصى بعده إلى ابنه شيث ، وكان فيه وفي بنيه النبوة والدين والعبادة والقيام بحقوق الله تعالى وشرائعه .

وأنزل الله تعالى على شيث تسعاً وعشرين صحيفة ، وكان مسكنه فوق الجبل وسكن ولد قابيل أسفل الوادي ، وكان عمره تسعمائة سنة واثنتي عشرة سنة واستخلف ابنه أنوشا وكان عمره تسعمائة وخمسين سنة ، واستخلف ابنه قينان وهو الذي كانت الوصية إليه وقسم الأرض بين بني أبيه ، فطاف وهو ابن تسعمائة وعشرين سنة ، ودفع الوصية إلى ابنه هطيل^(١) وفي وقته بنيت الكعبة ، وكان عمره ثمانمائة سنة وخمسا وتسعين سنة ، وأوصى إلى ابنه يرد وعلمه وضع العلوم ، وأخبره بما يجري في العالم ، ويحدث بنظره في النجوم ، وفي كتاب سر الملوك الذي أنزل على آدم عليه السلام .

وولد ليرد خنوخ وهو إدريس عليه السلام ، وقد تقدم خبره مع يحويل

(١) في مروج الذهب : مهلائيل .

للملك ويقال إن يحويل الملك بعث إلى أبيه أن يبعث إليه إدريس فامتنع ؛ فوجه إليه جيشاً فمنعه منه أعمامه .

وجميع ولد شيث فلم يصل إليه ، ولم يكن بعد شيث وحي ؛ حتى نبأ الله تعالى إدريس [عليه السلام] .

وكان عمر يرد سبعمائة وخمسين سنة ، ويقال إنه أول من استوقد واستعبد وغزا بني قابيل ، ونظر في علم الفلك ، ووضع المكيال والميزان ، وأوتي علم الطب والنجوم ، وعلم الزيجات بحساب غير حساب الهند ، وسأل ربه فأراه الصور الفلكية العالية .

وكانت الارواح تخاطبه ، وعلم أسماء الصعود والهبوط فصعد وهبط ، ودار [حول] الفلك وعرف أشكال النجوم ووقف على مسير الكواكب ، وعرف كل ما يحدث في العالم ، فزبره على الحجارة وعلى الطين .

وزيد مع ذلك كل العلوم والصناعات ، وكانت له قصص تطول مع ملك الموت ومات ثم عاش ونظر إلى النار ودخل إلى الجنة ولم يخرج عنها .

ورفع على رأس ثلاثمائة سنة من عمره ، وكان يقال له هرمس باسم عطارده ، وعلم ابنه صابيا الخط فقبل لكل من كتب الخط بعده صابيا .

وهو الذي أخبر بالطوفان ، وما يحدث في العالم ودفع الوصية ، والصحف إلى ابنه متوشلخ وأمر صابيا بمعونته .

وكان صابيا قد بلغ مبلغاً جليلاً ، وعاش متوشلخ تسعمائة سنة واثنين وثلاثين سنة .

وانتقلت الوصية إلى ابنه ملك فأخذ في البحث وجمع العلوم ، وأقبل على بني أبيه فجمعهم وأمرهم ونهاهم وحضهم على الجور لولد قابيل ونهاهم عن قريهم وعن الاختلاط بهم ، وهو الذي رأى ناراً خرجت من فيه ، فأحرقت العالم .

ولما ولد له نوح عليه السلام والمملك يومئذ درمشيل بن ينجويل بن خنوخ ابن يحمور بن قابيل بن آدم عليه السلام ، وكان قد تجبر وقهر الملوك على ما تقدم ، لكننا نعيد ذكره هنا لما ورد في هذا الخبر من الزيادة والاستقصاء .

وكان إبليس قد استمال المملك ودعاه إلى عبادة الكواكب ودين الصابئة ، وقال له هو دين أجدادك ، فأجابته وعمل له الشيطان هياكل واصناماً عبدوها .

ويقال إنه لم يستخرج أحد من المعادن والجواهر واللؤلؤ والمرجان أكثر مما كان في وقت الدرمشيل ، وكان شديداً على نوح والله تعالى يحفظه منه وعاش المملك ثلثمائة سنة .

ونبأ الله تعالى نوحاً عليه السلام وهو ابن مائة وخمسين سنة وأرسله الى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً ، وعاش بعد الطوفان مائة سنة ، وكان أول نبي بعد إدريس عليها السلام .

وكانت شريعته التوحيد والصلاة والزكاة والصيام والحج وجهاد الأعداء ، فدعا قومه إلى الله تعالى وحذرهم عذابه ، وكلما قام فيهم ودعاهم عنفوه وحذروه وأخفوا أمره عن المملك ، وكان يحضر هياكلهم وبيوت أصنامهم ، فاذا قال لهم قولوا لا إله إلا الله وإني عبد الله ورسوله جعلوا أصابعهم في آذانهم وادخلوا رؤوسهم في ثيابهم تبرأ مما يقول .

ولما قال لهم يوماً قولوا لا إله إلا الله وقعت الأصنام على وجوهها فقاموا اليه فضربوه حتى سقط على وجهه ، وعرف المملك خبره فأحضره وقال له ما هذا الذي بلغني عنك من مخالفتك لديني ومما عليه بنو أبيك وسبك لأهتنا ؟ وما هذا السحر الذي اسقطت به الأصنام عن كراسيها ؟ ومن الذي علمك ذلك ؟

فقال له نوح عليه السلام لو كانت آلهة كما تزعم ما سقطت ، وأنا عبد الله ورسوله فاتق الله تعالى ولا تشرك به شيئاً ، فانه يراك فأمر بحبسه . إلى أن يحضر عيد الأصنام فيذبجه تقرباً اليه .

وأمر برد الأصنام على كراسيها ، وإصلاح ما تغير منها ، وحان العيد وقرب فنادى في الناس أن يجتمعوا ليروا ما يصنع به ، فدعا عليه نوح عليه السلام فأصابه صداخ في دماغ راسه أذهب عقله ، فأقام اسبوعاً ثم ملك فحمل على سرير ذهب ، وطيف به في هياكل الأصنام ، وهم يبكون عليه ثم دفنوه ، وشتموا نوحاً وقالوا منه بالسفهم كل قبيح .

وولى الملك ابن الدرمشيل فأخرج نوحاً من حبسه ، وزعم أنه مجنون وتقدم إليه ونهاه أن لا يعود الى ذلك الفعل فأقام إلى أن اجتمعوا في بعض أعيادهم عكوفاً على أصنامهم فخرج حتى أتى جمعهم .

فقال : قولوا لا إله إلا الله وإني عبد الله ورسوله ، فتساقطت الأصنام وقاموا إلى نوح عليه السلام فضربوه وشجوه وسحبوه على وجهه ، ثم أتوا به الملك فقال له الملك ألم أصفح عنك ، وأسرحك من حبس أبي على أن لا تعاود؟ فقال له إني عبد مأمور بما أفعله ، قال ومن أمرك ؟ قال إلهي ، قال ومن إلهك قال إله السموات والأرض وما فيها وخالق الخلائق اجمعين ، قال وبماذا أمرك ؟ قال ادعو الناس الى عبادته وحده ، واخلع الأصنام ، واعمل بما فرضه الله تعالى من الصلاة والزكاة والصيام قال فان لم نفعل ما تقول ، قال الأمر اليه إن شاء اهلككم وإن شاء امهلكم ، قال فاترك إلهك وما يريدك وكف أنت عنا نفسك ، قال ما ينبغي لي أن أكف ولا أقدر لأني عبد مأمور ، فأمر بحبسه إلى ان يتقرب به إلى الأصنام .

فخرج على الملك سرنديب الكاهن الجبار ، وكانت بينه وبينه حروب شغل بها عن أمر نوح عليه السلام وتشاءم بحبسه فأمر بتسريحه حتى يخلو له وجهه ثم صالح الكاهن على ناحية تركها له من عمله ؛ وعاد الى ما كان فيه من ملكه .

وكان إبليس يحرضه على قتل نوح عليه السلام ، ويزينه له فيمنعه الله تعالى منه وزاد أمر نوح عليه السلام ، فوجه الملك إلى جميع ممالك الأرض ليوجهوا له كل كاهن ، وكل عراف لمناظرة نوح عليه السلام فشخصوا اليه من الآفاق ، فناظروه فغلبهم نوح عليه السلام بالحجة والبرهان .

فآمن منهم الكاهن فيملون المصري ، واتبعه حتى دخل معه في السفينة ، وأوحى الله تعالى إلى نوح عليه السلام ان اصنع الفلك بأعيننا ، فقال كيف أصنعه ؟ فأهبط الله تعالى جبريل عليه السلام حتى أراه إياها ، وأمره ان يبنيتها على مثل صدر البطة فأقام في عملها عشر سنين ، وعملها من خشب الساج ، وجعل طولها ثلاثمائة ذراع وقيل دون ذلك ، وجعل ارتفاعها من الأرض خمسين ذراعا ، وجعلها ثلاث طبقات كما امر .

وكانوا يهزءون منه ويضحكون ، وكان الرجل منهم يأتي إليه بأبنه الصغير فيحذره منه ، وربما رماه الصبيان بالحجارة فأذوه ، ولما فرغ من عمل السفينة جعل بابها في جنبها ، وأقامت موضوعة على الأرض تسعة أشهر حتى حضر عيد لتلك الأصنام ، فاجتمعوا اليه وقربوا اليه ثلاثمائة رجل ممن آمن بنوح عليه السلام ، ذبحوهم بين أيديهم ، فحق عليهم العذاب .

وأمر الله تعالى نوحا عليه السلام أن يدخل في السفينة من كل زوجين اثنين ، فقال يا رب من أين لي أن اجمع ذلك فأمر الله تعالى الرياح فحشرت اليه كلها أراد ، وأمر به فأدخل فيها من كل زوجين اثنين .

وكانت السفينة ثلاث طبقات، فجعل الطبقة السفلى للبهائم والدواب والطيور وجعل الوسطى لطعامهم ، وجعل جسد آدم عليه السلام في تابوت فيها ، وجعل العليا له ولبن دخل معه .

وركب الملك إلى هيكل الأصنام فأقام فيها حيناً ، ثم مشى إلى السفينة ، وقد علم بما شحنت فيه وعزم على حرقها ، فلما وقف عليها قال يا نوح اين الماء الذي يحملها ؟ قال هو يأتيك في مكانك هذا ، وأمر الملك فرميت السفينة بالنار ، فرجعت عليه وعلى أصحابه فأحرقت بعضهم ، وفار الماء على ما تقدم ذكره ، وفتحت أبواب السماء بالمطر وحيل بينهم وبين صعود الجبال ، ولم يدروا أين يتوجهون ، وكانت المرأة تحمل ولدها على عنقها ، فاذا لججها الفرق طرحته ، فقيل لو رحم الله الكافر لرحم الصبي وأمه .

وقال أصحاب النظر في الكواكب سالت ثلاثة مواضع ، لم يدخلها الطوفان ونحن لا نقول بذلك ، والفرس لعنهم الله لا يقولون بالطوفان ولا بنبوة نوح عليه السلام ، ونحن لا نقول بقولهم ، والهند يزعمون أنه لم يكن ببلدهم من الطوفان شيء ، وكذلك أكثر [سكان] الجزائر والبحار^(١) يزعمون ذلك .

وقيل إن السفينة أقامت في الماء ستة أشهر ، ويقال إنها سارت شرقاً وغرباً وأتت موضع الكعبة ، وكانت معهم خرزة يعرفون بها الليل ، ومواقيت الصلوات .

ولما نزلوا من السفينة على ما تقدم ذكره أمرهم نوح عليه السلام بالزراعة وغرس الشجر ، وتفقد الكرمة فلم يجدها ، وسأل عنها فعرفه جبريل عليه السلام أن إبليس سرقها ، لأن له فيها شركة فاقسمها معه ، فقال نوح اعطه

(١) في ب : وكذلك أكثر جزائر والتجار .

منها الربع ، قال لا يكفيه فزده ، قال فاعطه النصف ، قال لا يكفيه ولكن يكون له^(١) الثلثان ولك الثلث ، قال فنعم إذن قال فما طبخ من عصير الكرم بالنار حتى يذهب ثلثاه ، كان حلالاً لك ولذريتك ، وما نقص من ذلك كان له ، ولمن كان من اتباعه .

وقال إبليس لنوح عليه السلام إن لك عندي يداً أرعاها لك قال وما مكافأئك ؟ قال وصية أوصيك بها ، قال وما هي ؟ قال إياك والحسد والحرص والعجلة فان الحسد حملني على أن عصيت ربي ، وغويت آدم حتى خرج من الجنة ، والحرص حمل آدم وحواء حتى أكلتا من الشجرة ، فغضب الله عليهما ، والعجلة التي حملتك على أن دعوت على قومك فأهلكتهم جميعاً .

ذكر عناق بنت آدم عليه السلام

نرجع الآن إلى ما يجب ذكره من بقية أخبار آدم عليه السلام ، ولدت عناق بنت آدم مفردة بغير أخ^(٢) وكانت مشوهة الخلق لها رأسان ، وكان لها في كل يد عشر أصابع ، لكل أصبع ظفران كالمنجلين الحادين .

ذكرها علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: هي أول من بغى في الأرض ، وعمل الفجور ، وجاهر بالمعاصي واستخدم الشياطين ، وصرفهم في وجوه السحر .

وكان الله عز وجل أنزل على آدم عليه السلام أسماء تطيعها الشياطين ، وأمره أن يدفعها إلى حواء فتعلقها على نفسها فتكون حرزاً لها ، ففعل ذلك ، وكانت حواء تصونها وتحتفظ بها ، فاغتفلتها عناق وهي نائمة ، فاخذتها واستجلبت الشياطين بتلك الأسماء ، وعملت السحر ، وتكلمت بشيء من

(٢) ت : ذكر .

(١) في ب : لها .

الكهانة ، وجاهرت بالمعاصي وأضلت خلقاً كثيراً من ولد آدم عليه السلام ، فدعا عليها آدم عليه السلام ، وأمنت حواء فأرسل الله إليها في طريقها أسداً أعظم من الفيل فهجم عليها في بعض المغاور فقتلها ، ومزق أعضائها ، وأراح الله آدم وحواء منها .

ويقول أهل الأثر : إن عوجا الجبار [من ^(١)] ولدها : وإن الطوفان لم يفرقه ولا بلغ ماؤه إلا بعض جسده ، وأنه طلب السفينة ليغرقها فأعماه الله عنها ، وعمر إلى زمان فرعون ، وقطع صخرة على قدر عسكر موسى عليه السلام وكان في أكثر من ستائة ألف ^(٢) ، وحملها على رأسه ليطرحها عليهم ، فأرسل الله في طريقه ذلك عليه طيراً نقر ذلك الحجر حتى ثقبه ، ونزل من رأسه إلى كتفيه فصار رأسه مضغوطاً في الحجر ففنعته الرؤية ، وتعذر عليه الحركة ، وأمر الله تعالى موسى عليه السلام بقتله ، وكان لموسى اليد قوية ، وكانت وثبته عشرة أذرع ، وطول عصاه مثلها وطوله كثيراً فوثب إليه فلم يضرب بطرف عصاه إلا عرقوبه ، فسقط لثقل الحجر فقتله ووافق سقوطه عرض النيل . فأقام كالجسر يعبر الناس عليه والدواب كالقنطرة مدة طويلة . وفي حديث آخر أنهم جروه في خمسة أشهر في كل يوم ألف ثور مقرنين بعجلات مع تعاونهم عليه في كل يوم نصف ذراع حتى طرحوه في بحر القلزم . وقيل بل قطموه قطعاً وجروه إلى البحر ، وقيل إن سقوطه كان في صحراء مصر فترك في موضعه وردم عليه بالصخور والرمل حتى صار كالجبل العظيم .

ذكر أخبار الكهان من العرب

بلغ سطوح من الكهانة ما لم يبلغه أحد ، وكان يسمى كاهن الكهان ،

(٢) ت : مائة ألف .

(١) في ب : هو .

وكان يخبر بالغيوب والمعائب^(١) ف قيل [إن]^(٢) ربيعة بن نصر اللخمي رأى رؤيا هالته ، فأمر يجمع الكهان وأصحاب القيافة والزجر ، فلما حضروا عنده قال لهم إني رأيت رؤيا هالتي فأخبروني بها ، فقالوا له قصها علينا نخبرك بتأويلها ، فقال ما أطمئن الى تأويلها إذا قصصتها عليكم ، ولا أصدق في تأويلها إلا من عرفها قبل أن أقصها عليه .

فقال له رجل منهم : لا يفعل ذلك ويوثق بقوله إلا سطيح الذئبي وشق الشكري ، فها أعلم ، فارسل اليها ليقدمها عليك .

فقدم سطيح قبل شق ، وكان اسم سطيح ربيع بن ربيعة من بني ذئب بن عدي ، فأكرمه ربيعة بن نصر ، وقال له إني رأيت رؤيا هالتي ، وأريد أن تخبرني بها وتأويلها .

فقال سطيح : أقسم بالشفق ، والليل إذا غسق ، والطارق إذا طرق ، لقد رأيت حممة خرجت من ظلمة ، فوقعت في أرض تهمة ، فأكلت كل ذات جمعة .

قال صدقت فما تأويلها ؟ قال أحلف بما بين الحرتين من حنش ، ليطأن أرضكم الحبش ، وليلكن ما بين أبين الى جرش .

قال ربيعة إن هذا لغائظ موجه ، فهل في زماننا ؟ قال لا بل بعده بحين أكثر من ستين أو سبعين ، يمضين من السنين ، ثم تقتلون بها أجمعين ، وتخرجون منها هاربين .

قال فمن يلي ذلك منهم ؟ قال غلام رحب الفطرة من آل ذي يزن ، يخرج عليهم من عدن ، فلا يترك أحداً منهم باليمن .

قال فما تصنع اليمن ؟ قال يملكها بعدهم [قوم ذوو] أخطار من رجال

(١) ت : من الغيوب بالمعائب . (٢) ت : ورأى ربيعة .

أحرار ، قال أفيدوم ذلك أو ينقطع ؟ قال بل ينقطع ، قال ومن يقطعه ؟ قال نبي ذكي أمين قوي ، يأتيه الوحي من قبل الواحد العلي : قال ومن هذا النبي ؟ قال من ولد غالب بن فهر بن مالك بن مضر ، يكون الملك في قومه الى آخر الدهر .

قال وهل للدهر من آخر ؟ قال نعم يوم انقطار السماء ، والوقوف للجزاء ، بالسعادة والشقاء .

قال وأي يوم هو ؟ قال يوم يجمع فيه الأولون والآخرون ، ويسعد فيه المحسنون ، ويشقى فيه المسيئون .
قال أحق ما تخبرنا به يا سطيح ؟ قال نعم والشفق ، والغسق ، والقمر اذا اتقى ، أن ما أنباتك به لحق .

ومن أخباره أيضاً : أنه كان لعبد المطلب بن هاشم ماء بالطائف ، يقال له ذو الهدم ، فادعته ثقيف فجاءوه فاحتفروه ، فمنعهم عبد المطلب فعظم خصامهم ، فنافروهم عبد المطلب الى سطيح ، فخرج عبد المطلب ومعه ابنه الحارث ، وخرج معه جماعة من قومه ، وخرج خصمه جندب بن الحارث في جماعة من ثقيف ، فلما كان في بعض الطريق نفذ ماؤهم فطلبوا الى الثقيفيين أن يسقوهم فلم يفعلوا ، فنزل عبد المطلب وأصحابه ، وهم لا يشكون أنه الموت ، ففجر الله عين ماء عذب من تحب جرات بعير^(١) عبد المطلب فشربوا واستقوا وحمد الله عز وجل عبد المطلب [وشكره]^(٢) وساروا على طريقهم فنجد ماء الثقيفيين فسألوا عبد المطلب أن يسقيهم ففعل فقال له الحارث : لأن أدخل سيفي في بطني أخف علي من أن أفعل ذلك ! قال له يا بني اسقمهم فان الكرم ثقيل الحمل ، فسقامهم فساروا فقطعوا رأس جرادة^(٣)

(١) في ب : من تحت جرار عبد المطلب . (٢) زيادة عن ت . (٣) في ب : جرار .

فجعلوه في خرز^(١) مزادة ، وعلقوه في جلد في عنق كلب لهم اسمه سوار ، وكانت في عنقه قلادة لا تفارقه .

فأتوا سطيحاً فلما دخلوا عليه قالوا إنا أتيناك سائلين ، قال فماذا تسألون؟ قالوا نسأل عن شيء قد خبأناه ، ونحتكم عندك في شيء وقع انتخاصم بيننا فيه ، فقال خبأتم رأس جرادة في خرز مزادة في عنق سوار ذي القلادة ، قالوا صدقت فأخبرنا عما اختصمنا فيه اليك ، قال احلف بالضوء والظلم ، والبيت ذي الحرم ، أن الدفين ذا الهدم ، لهذا العربي ذي الكرم ، فانصرفوا وقد قضى لعبد المطلب .

ومن أخباره أن كسرى ابرويز^(٢) لما رأى في نومه كأنه سقط من قصره ست عشرة^(٣) شرفة ارتاع لذلك ، فوجه الى الموبدان فعرفه بذلك ، وقال إن ذلك قد هالني وأفزعني .

قال الموبدان : أيها الملك عسى أن يكون خيراً ، وإني أيها الملك كنت أرى البارحة ان النيران قد خمدت ، وقلعت بيوتها وهلك سدنتها وقد اغمى ذلك ، وكنت عزمتم على أن لا أخبر الملك حتى يوجه إلي فأتيته^(٤) .

قال كسرى فما الداعي ؟ قال الموبدان قد بلغني ان بأرض العرب كاهناً يقال له سطيح ، يخبر بما يكون قبل كونه ، فلو أرسل اليه الملك رسولاً يسأله عن ذلك ، فلعله أن يخبره بالجواب فيه .

قال كسرى ومن لنا بحصيف ينفذ في ذلك ؟ وكان على باب الملك فيمن وفد عليه من العرب رجل ، يقال له عبد المسيح من رهط سطيح ، فأشار به الموبدان على كسرى ، فأحضره ولم يخبره بما رآه ، وقال انطلق إلى سطيح ، فاسأله عن رؤيا رأيته ، فإذا أخبرك بها ، فاسأله أن يخبرك بتأويلها ،

(١) في ت : جلد . (٢) في ب : ستة عشر .

(٣) في ب : اجرويز وهو خطأ . (٤) لعل الصواب فأنبئه .

فاذا أخبرك فارجع مسرعاً ولا تتخلف ، قال أفعل ايها الملك ، فأمر له بمال وجائزة ، وحمله جائزة الى سطيح .

فركب عبد المسيح راحلته ، ومضى مبادراً يقطع المفاوز والفيافي ، حتى لحق مكان سطيح بعد ايام ، فلما بلغ بيته وجده غليلاً لما به فوقف عليه وسلم [وجعل يرتجز ويقول ليسمعه :

اصم ام يسمع غطريف اليمن يا فاصل الخطة اعيت من ومن
من ابيات]^(١) قال سطيح [مجيباً له] عبد المسيح ، على جمل فسيح ، أوفى
على سطيح ، وقد أسفى على الضريح ، يسأل عن ارتجاج الايوان ، ورؤيا
الموبدان ، وخود النيران

قال : فالتأويل يا سطيح ؟ قال : تنقضي أيامهم ، وتنقطع آثارهم ،
وتملك العرب ديارهم ، عند ظهور صاحب التلاوة ، والقضيب والهاوأة .

قال : ومتى ذلك يا سطيح ؟ قال : إلى أن يملك منهم ملوك وملكات ،
على عدد الشرفات ، وقبل ذلك ينقضي امر سطيح ويواريه الضريح ،
ولا يصلح [له] فيها قرار .

وقد روي [هنا] الكلام على غير هذا النوع واكثر منه كلاماً^(٢) فرجع
عبد المسيح إلى كسرى ، وقد دعى كلامه ، فعجب كسرى وسره وقال :
إلى أن يلي منا ستة عشر ملكاً يكون سعة لدفعهم ، ولعل ذلك لا

(١) زيادة عن ت .

(٢) عبارة ت : عبد المسيح ، على حمل مسيح ، يسأل عن خود النيران ، رؤيا الموبدان وسقوط
الايوان ، لأخبر بالبرهان ، أما عدد الشرفات فيلي مثلها ملوك وملكات وخود النيران ينقضي
ملكهم على الزمان ، وذلك عند ظهور صاحب التلاوة أمر والقضيب والهاوأة ، فتقضي آثارهم ،
وتملك العرب ديارهم ، وهناك ينقضي سطيح ، ويواريه الضريح ، ولا تكون الدنيا له بدار ولا
يقر به فيها قرار ، وقد يروون هذا الكلام على غير هذا السجع .

يكون ، فرأى الملك منهم تلك العدة في سنين قليلة حتى انقضى ملكهم في خلافة عثمان رضي الله عنه (١) .

وقيل إن الرؤيا كانت ليلة مولد رسول الله ﷺ ، ويقال إن سطيحاً عاش أربعمائة سنة .

وأما شق الاول ، وهو شق بن حويل بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام ، فهو اول كاهن في العرب العاربة ، وارم ابو الجبابرة من عاد وثمود وطسم وجديس وغيرهم ، ويقال إنه كانت له عين واحدة في جبهته ، ويقال إنه [كان] يشق وجهه نار .

ويقال ان الدجال من ولده ، ويقال إنه هو الدجال بعينه ، أنظره الله إلى وقته ، وهو محبوس في بعض جزائر البحر .

وفي حديث تميم الداري انه خرج في بعض الأسفار فوقع الى جزيرة ، فرآه وخاطبه ، وسأله عن ظهوره ، وانه وجده مغلولاً ، مشدوداً إلى صخرة ، وأن الشياطين تأتيه بما يأكله ، على ما يقول .

وفي خبر آخر أنه لا يحتاج الى الغذاء ، ورآه تميم الداري ، وله عين واحدة ؛ وحدث بذلك النبي ﷺ ، وكان يرويه عنه فيقول : حدثني تميم الداري ، ويذكر طرفاً من خبر الدجال .

ويقال إن أمه امرأة من الجن عشقت أباه حويلاً ؛ فتزوجته فأولدها الدجال وهو خوص بن حويل ، وكان مشوهاً مبدلاً ، وكان إبليس يعمل له المعائب ، فلما كان وقت سليمان عليه السلام دعاه فلم يجبه ، فحبسه في جزيرة في البحر .

وقيل إن أباه استهوته الشياطين لما كانت أمه منهم ، وانه من مدينة ماريول التي غلبت عليها الجن ، وهي من مدائن المغرب ، وأن الجن في طاعته .

ويقال إن خوصاً هذا كان يحضر السارق فيأمره برد ما سرق ، فان فعل وإلا صار حية فيلتوي في عنقه فيقتله ، وقيل أنه ربما خاطبهم ولا يرونه ، وكان إذا حكم على أحد فلم يرض حكمه بصمص^(١) أخذفته في إحدى عينيه فردده أعور .

وقيل إن مجلسه كان في قبة بوادي برهوت في اليمن ، وكانوا يحجون إليه ، وقيل انه لم يتم قط ، وانهم كانوا يرون فوق عينيه ناراً بيضاء ، وكذلك عن الموضع الذي هو فيه مسجون انه يعلوه بالليل نار مضيئة ، وبالنهـار دخان .

وأما شق اليشكري وكان حكيم العرب في الجاهلية ، وقد كان ربيعة بن نصر لما رأى رؤياه وجهه الى شق وسطيح ، فأثاه سطيح قبل شق ، وكان من جوابه ما قدمنا ذكره في أخبار سطيح ، فلما قدم عليه شق قال له : يا شق اني رأيت رؤيا هالتي فما هي ؟ وكنتم قول سطيح ، فقال له شق رأيت حمة ، خرجت من ظلمة ، فوقعت بين روض وأكمة فأكلت كل ذات نسمة ، قال : صدقت فما تأويلها ؟ قال : أحلف بما بين الحرتين من انسان ، ليطأن^(٢) أرضكم السودان ، وليغلبن على كل طفلة البنان ، وليملكن ما بين أبين الى نجران .

قال : أيكون في زماننا هذا ؟ قال : بل بعده بزمان ، ثم يستنقذكم عظيم ذو شان ، قال : ومن هو هذا العظيم ؟ قال : غلام من بيت ذي يزن ؛ فلا يترك احداً منهم باليمن ، قال : فهل يدوم ذلك ؟ قال : بل ينقطع برسول يرسل ، يأتي بالعدل بين اهل الدين والفضل ، يكون الملك فيهم الى يوم الفصل ، قال : وما يوم الفصل ؟ قال : يوم يدعى من السماء بدعوات ، يسمع

(٢) في ت : ليهطن .

(١) في ب : فضض .

بها الأحياء والأموات ، ويجمع الخلق فيه للميقات ، يكون فيه لمن آمن الخير والخيرات ، ولن كفر الليل والترحات ، قال : أحق ما تقول يا شق؟ قال : اي ورب السماء والأرض ، وما بينها من رفع وخفض ، أن ما أنبأتك به لخلق محض ، ما فيه كذب ولا نقض ، فأجازه ربعة بجائزة سنية ، ووصله وصرفه .

خبر اليامة الزرقاء

وهي صاحبة جَوِّ واليامة ، سميت بها ، وصاحبة البحرين ، وقيل ان امها كانت كاهنة ، وكان لها رثي^(١) من الجن وهي من جديس ، وكانت جديس وطسم بكان فغلبت طسم على جديس ، وملك الجميع عملاق بن الطسم ، وكان يفتزع النساء قبل زواجهن ، فاحتالت جديس عليه فقتلوه وقتلوا كثيراً من طسم فاستنصرت بقايا طسم بحسان بن تبع الحميري ، فغزا جديساً طالبناً بشار طسم .

وكانت اليامة الزرقاء وعينها الواحدة اكبر من الاخرى ، فاذا اغلقت الكبرى ابصرت بالصغرى على الفراسخ الكثيرة والأمد البعيد ، وقيل انها كانت [ترى]^(٢) فلك القمر ، فتخبر عنه بأشياء عجيبة .

وقد كان اتصل بجديس استنصار طسم بحسان بن تبع الحميري ، فقطنوا وقالوا لليامنة : انظري فنظرت ، وقالت : اقسم بمهب الرياح ، والآكام والبطاح ، والمساء والصباح ، لياتين من حمير [الجيش] الرдах، والخيول والسلاح ، فلا ترون من بعدها فلاح .

فلما اصبحوا في اليوم الثاني قالوا لها : انظري فنظرت ، وكان حسان

لما قرب من جو بأربعة أيام قال لاصحابه ان اليامة ستراكم على البعد الكثير
فتتذربكم ، فليحمل كل واحد منكم غصناً من شجرة اعظم ما يقدر عليه .
ليسدل اغصانه عليه وجوانبه ، ففعلوا ذلك .

فقال اليامة لما رأت ذلك : يا جديس قد اتكم الشجر ، تخبط المسدر ،
فاستعملوا منها الحذر فكذبوها ، وقالوا لها : اتسير الشجر ؟

فلما كان في اليوم الثالث قالوا لها : انظري ، فنظرت فقالت : اري رجلاً
في كتفه كتف ، او نعل يخصفه فكذبوها ، وقالوا قد تغير نظرها ، وكيف
ترى على هذا البعد ما لم يتصل بنا خبره ، فكان حسان يسير بالليل ويكمن
بالنهار ، إلى أن صبحهم فقتلهم أبرح قتل ، وهدم منازلهم واستباح نساءهم .
وأخذ اليامة ، وقال لها ألا عرفتهم بمسيري ؟ قالت : قد فعلت لو
قبلوا ، ونظر فرأى في عينها عروفاً سوداء ، فقال لها : بم كنت تكتحلين؟
فقالت له : بحجر الأثد ، مربى بباء المطر . فقيل انه قطع يدها ورجلها ،
وقلع عينها وصلبها ، فيقال : إن رثيها من الجن لطمه فأعوره ، ومنعه النوم
فلم يكن ينام .

وقد ذكرت الشعراء اليامة فأكثرها ، قال الأعشى يذكرها في القصيدة
التي أولها :

بانت سعاد فأمسى حبليها انقطعاً

فقال يذكرها ونظرها :

ما نظرت^(١) ذات أشفار كنظرتها حقاً كما نظر الربى إذا شجعا
فكذبوها بما قالت فصحبهم جيوش حسان تزجي الموت والسلعا
وإياها عنى :

(١) من هنا الى ذكر عجائب مصر لا يوجد .

واحكم كحكم فتاة الحي إذ نظرت إلى حمام شراع وارد الشمد
تحفه جانباً بير ويتبعه مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد
قالت الا ليتما هذا الحمام [لنا] إلى حمامتنا أو نصفه فقد
فحسبوه فألفوه كما حسبت تسماً وتسعين لم تنقص ولم تزد
فكملت مائة منها حمامتها واسرعت حسبة في ذلك العدد
وقصتها في حديث الحمام مشهورة ، وهذا هو القول الذي سجدت
هي به :

ليت الحمام لي به إلى حمامتيه
أو نصفه قدي به [تم الحمام ميه]

ذكر عجائب مصر وأخبار ملوكها وكهانها

لما ذكرنا الكهان وجب علينا أن نذكر كهنة مصر ، لأنهم كانوا أعظم
الكهان قدراً ، وأجلهم بالكهانة علماً ^(١) وكان حكماء اليونانيين يصفونهم
بذلك ، ويقولون أخبرنا حكماء مصر بكذا ، واستفدنا منهم كذا وكذا .
وكان هؤلاء ينحون في كهانتهم نحو الكواكب ، ويزعمون أنها هي التي
تفيض عليهم العلوم وتخبى بالغيوب ، وهي التي علمتهم أسرار الطبائع ،
ودلتهم على العلوم المكتومة فعملوا الطلسمات المشهورة ، والنواميس الجليلة
وولدوا الاشكال ^(٢) الناطقة ، وصوروا الصور المتحركة ، وبنوا العالي من
البنيان وزبروا علومهم من الطب في الحجارة ، وانفردوا بعمل البرابي ، وعملوا من
الطلاسم ما نفوا به ^(٣) الأعداء عن بلادهم وعجائبهم ظاهرة ، وحكمتهم
واضحة .

(١) في ت : حذفاً . (٢) في ت : ومنعوا بها الأعداء .

(٢) في ت : وأولدوا الدلالات .

وكانت مصر خمساً وثمانون كورة منها بأسفل الأرض خمس وأربعون ،
ومنها بالصعيد أربعون وكان في كل كورة رئيس من الكهنة ، وهم الذين
ذكرهم الله تعالى في قصة فرعون لما أشار عليه أصحابه ، وقلوا (ابعث في
المدائن حاشرين يأثوك بكل سحر عليم) يريد هؤلاء الرؤساء .

وكان الذي يتعبد منهم لكوكب من الكواكب السبعة المدبرة سبع سنين
يسمونه ماهراً ، والذي يتعبد منهم للكواكب السبعة لكل واحد منهم سبع
سنين ، فمن بلغ هذه المرتبة منهم سمي قاطراً^(١) وصار يجلس مع الملك ويصدر
الملك عن رأيه ، وإذا رآه قام إجلالاً له ، وكان زيهم أن يدخل كل يوم إلى
الملك فيجلس الى جانبه فتدخل الكهنة ، ومعهم أصحاب الصناعات فيقفون
حذاء القاطر ، وكل واحد من الكهنة منفرد بكوكب يخدمه لا يتعداه إلى
سواه ، ويسمى بعبد كوكب كذا ، كما كانت العرب تسمي عبد الشمس ،
فيقول القاطر لأحد الماهرين أين صاحبك ؟ فيقول في البرج الفلاني في الدرجة
الفلانية في دقيقة كذا ، ويسأل الآخر في حدائه ، حتى إذا عرف مستقر
الكواكب ، قال للملك ينبغي أن يعمل الملك اليوم كذا وكذا ؛ ويأكل
كذا وكذا ، ويحاج في وقت كذا ، ويقول له جميع ما يراه صلاحاً ، والكاتب
قائم بين يديه يكتب جميع ما يقول .

ثم يلتفت الى أهل الصناعات [فيقول أنقش أنت صورة كذا على حجر
كذا فتم رسم على أهل الصناعات]^(٢) فيخرجون إلى دار الحكمة ،
فيضعون أيديهم في الأعمال التي يصلح عملها في ذلك اليوم :

ويستعمل الملك جميع ما قاله القاطر ، ويؤرخ جميع ما جرى من هذا

(١) في ب : ناظر ، وقد رسم هكذا في كل موضع جاء فيه ، والصواب ما ذكرناه .

(٢) الزيادة عن ت .

وشبهه في ذلك اليوم في صحيفة ، وتطوى وتودع في خزائن الملك فعلى ذلك جرت أمورهم .

وكان الملك إذا حزبه ^(١) أمر يجمعهم بخارج مصر ، ويصطف لهم الناس بخارج المدينة ثم يقدمون ركباناً ، يتقدم بعضهم بعضاً ، ويضرب بين أيديهم بطبل الاجتماع ، فيدخل كل واحد منهم بأعجوبة ، فمنهم من يمسو وجهه نور مثل نور الشمس فلا يقدر أحدهم النظر إليه ، ومنهم من يكون على يديه جواهر أخضر وأحمر على ثوب من ذهب منسوج ، ومنهم من يكون راكباً على أسد متوشحاً بحيات عظام ومنهم من تكون عليه قبة من نور أو جواهر في صنوف من العجائب الكثيرة ، إلا أن كل واحد إنما يصنع ما يدل عليه كوكبه الذي يعبد ، فاذا دخلوا على الملك قالوا أرادنا الملك لأمر كذا ، وأضر الملك كذا ، والصواب فيه كذا .

وكان بمصر القديمة واسمها أمسوس ملك كاهن يقال له عيقام من ولد عرباق ^(٢) ابن آدم فتحكي أهل مصر عنه حكايات كثيرة تخرج عن العقل . وكان قبل الطوفان وقد رأى في علمه كون الطوفان ، فأمر الشياطين الذين تطيعه أن يبنوا له مكاناً خلف خط الاستواء ، بحيث لا يلحقه شيء من الآفات ، فبنوا له القصر الذي [على] سفح جبل القمر ، وهو قصر النحاس الذي فيه التماثيل من النحاس ، وهي خمسة وثلاثون تمثالاً ، يخرج ماء النيل من حلقها ، وينصب إلى بطحاء مصر .

فلما عمل له ذلك القصر أحب أن يراه قبل أن يسكنه ، فجلس في قبة ،

(١) في ب : اذا أحزبه ، وفي ت : اذا جربه ، والصواب ما ذكرناه . (٢) في ب : عواب .

وحملته الشياطين على أعناقها إليه ، فلما رآه ورأى حكمة بنائه ، وزخرفة
حيطانه ، وما فيها من النقوش وصور الأفلاك ؛ وغير ذلك من العجائب ،
وكانت المصابيح تمرج فيه ، وتنصب فيه موائد يوجد عليها من كل الأطعمة ،
ولا يرون من يعملها ، وكذلك لا إنس به .

وفي وسط القصر بركة من ماء جامد الظاهر ترى حركته من وراء ما جمد
منه ، وأشياء كثيرة من هذا المعنى ، وإن كانت تنبو عنها العقول .
فأعجبه ما رأى ورجع الى مصر فاستخلف ابنه عرباق^(١) وأوصاه بما
يوجب له الملك وولده على مكانه ، ورجع هو الى ذلك القصر ، وأقام به
حتى هلك هناك .
واليه تعزى مصاحف القبط ، التي فيها تواريخهم .

قونية الكاهنة

وفي مصاحف القبط أنها كانت تجلس على عرش من نار ؛ فاذا ما احتكم
إليها الرجل ، وكان صادقا شق^(٢) على النار حتى وصل إليها ولم تضره .
ولانت تتصور عليهم في أشكال كثيرة من الصور ، إذا شاءت^(٣) ثم
بنت لنفسها قصرأ واحتجبت فيه عن الناس ، وجعلت حيطانها من نحاس
مجوفة ، وكنبت على كل أنبوب فيها من الفنون التي يتحاكم إليها فيه فكان
الذي يتحاكم إليها يأتي إلى الأنبوب الذي كتب عليه ذلك الفن ، فيتكلم بما
يريده ، ويسأل ذلك ما قصد له بصوت خافض غير عال ، فاذا فرغ من

(١) في ت : عريان . (٢) في ت : خاض النار . (٣) ت : كيف شامت .

أخبار الزمان م (٩)

كلامه جمل هو أذنه على ذلك الأنبوب ، فيأتيه الجواب منه بكل ما يريد ، فلم يزالوا مستعملين ذلك ، الى أن خرب بخت نصر البلد .

وكان عرياق بن عيقام الملك قد تكهن بعد أبيه وعمل عجائب كثيرة ، منها شجرة من صفر لها اغصان حديد بخطاطيف حادة ، إذا تقرب الظالم الى الملك تقدمت اليه تلك الخطاطيف ، وتعلقت به وشبكت يديه ، ولم تفارقه حتى يحدث عن نفسه بالصدق ، ويعترف بظلمه ، ويخرج من ظلامة خصمه .

ومنها صنم من صوان أسود سماه عبد أفرويس ^(١) أي عبد زحل ، كانوا يختصمون اليه ، فمن زاغ عن الحق ثبت مكانه ، ولم يقدر على القيام حتى ينصف من نفسه ، ولو أقام سنة او أكثر .

ومن كانت له حاجة منهم او طلب شيئاً عند ذلك الصنم ، قام ليلاً ونظر الى الكوكب ، فذكر اسم عرياق وتضرع ، فيصبح وقد وجد حاجته على باب منزله .

وكان ربما حملته أطيّار عظام ، وهو في مرتبته فيمر بهم وهم يرونه في الهواء فيزدادون له عبادة وهيبة ، وربما علا على ناس منهم فلأ ماءهم من الاقدار ، وسلط عليهم وحوش الأرض وسباعها وهوامها .

وكان من كهانهم فيلمون ، وقد ذكرنا خبره مع نوح عليه السلام ، وكان منهم شيمون ^(٢) وهو الذي كان يوقد النار ، ويتكلم عليها ، فتطلع منها صورة نارية ، وكانت الكهانة عندهم عمل المعجزات ، ولم يزل هذا كاهناً الى وقت فرعون ملك مصر الذي كان الطوفان في أيامه ، وكان يسكن الهرم الجوسي ^(٣) وكان هيكل الكواكب ، وكانت فيه صورة الشمس والقمر ^(٤)

(١) في ت : قرويش . (٢) في ت : البحري .
(٢) ت : سيبون . (٤) ب : وكانت في صورة الشمس والقمر .

تنطقان ، [وكان الهرم الثاني ناووساً لأجساد الملوك التي نقلها إليه سورند ، وفيه المجائب والتأثيل والمصاحف] ^(١) وكان فيه التمثال الذي يضحك وكان من جوهر اخضر ، وخزنوا ذلك فيه خوفاً من [تلفه في] الفرق .

(خبر الكهان بعد الطوفان)

وأما الكهان بعد الطوفان ^(٢) إلى خراب مصر فكثير ، وأول من تكهن بمصر بعد الطوفان ابن فليمون كان قد ركب السفينة مع أبيه وأخيه وأخته وهي التي زوجها من ينصو بن حام ، وهم الذين خرجوا إلى مصر وكانوا موحدين على دين نوح عليه السلام ، ولم يكن اسم الكهانة عندهم عيباً ، بل كان الكاهن كالحاكم الذي لا يعصى له أمر .

وأول من تحقق بالكهانة ، وغير الدين وتعبد الكواكب البودشير بن قفطويم بن ينصو بن حام ، وكان ملكاً بعد أبيه ، وذكره جميع الكهنة في مصاحفهم .

فانه كان من أجل كهانهم ، ومن عمل النواميس العظام ، وأقام أصنام الكواكب وبنى هياكلها .

وتزعم القبط أن الكواكب خاطبته وأنه عمل عجائب كثيرة ، منها أنه استتر عن الناس بعد سنين من ملكه ، وكان يظهر لهم وقتاً بعد وقت مرة في كل سنة وهو وقت نزول الشمس في برج الحمل ، ويدخل الناس اليه فيخاطبهم ويروونه ، ويأمرهم بما يعملونه وينهاهم ويحذرهم بخالفة أمره ، وكان

يجلس لهم في بعض أوقات السنة فيخاطبهم عند دخولهم عليه ، وينهاهم وهم لا يرونه .

والمكان الذي يكلمهم منه غير خفي عنهم ، ولا يعد منهم ، ثم بنيت له قبة من فضة موهة بالذهب وزخرف ما حولها ، وكان يجلس لهم في أعلى القبة في صورة الوجه العظيم ، فيخاطبهم ، بمثل ما كان يخاطبهم ، وكان يجلس لهم في أعلى السحاب بوجه في صورة إنسان عظيم ، فأقام كذلك مدة ثم غاب عنهم فلم يروه .

وأقاموا برهة ليس لهم ملك ، إلى أن رأوا صورته في هيكल الشمس عند دخول الشمس الحمل ، وأمرهم أن يقلدوا الملك لعديم بن قفطويم وأعلمهم أنه لا يعود إليهم ، ففعلوا ذلك .

وأما بديرة ^(١) الكاهنة فانها امرأة من أهل بيت الملك ، يقال إنها أخت البودشير ، وأنه ألقى إليها الكهانة فهي [التي] عملت أكثر الطلسمات والبرابي ، وهي التي عملت القبطية ^(٢) الناطقة بمنف .

وكانت الكهانة في أهلها وولدها يأخذونها كبرا عن كابر ، وهي التي حكى المصريون عنها أنها عملت طلسمات منعت الوحوش والطيور أن تشرب من النيل فمات أكثرها عطشا .

وأن الله تعالى أرسل إليها ملكا فصاح بها صيحة ارتجت لها الأرض [وتشققت جبالها] ^(٣) فماتت من تلك الصيحة [ويقال انها كانت تطير في الهواء والملائكة تضربها بأجنحتها إلى أن سقطت في البحر] ^(٤) .

وأما شؤون الأشمونى فيقال انه هرمس الاول، الذي بنى بيت التأميل الذي

(١) في ت ندورة ، وفي بعض كتب التواريخ تدررة . (٣) زيادة عن ت .

(٢) في ت : الاصنام ، وهي الصواب .

يسرف بها مقدار النيل الذي عند جبل القمر وعمل للشمس [هناك] ^(١) هيكلين ^(٢) .

وتحكي القبط عنه حكايات كثيرة ، تخرج عن العادة ، وتنكرها العقول ، فكان يخفى عن الانسان فلا يرونه وهو معهم ، وهو الذي بنى الاشمون .

ويقال إنها مدينة في شرقي مصر كان طولها اثني عشر ميلا وجعل عليها حصنا بنى فيه قصرأ عظيما [يقال إنه بنى أنصنا واتخذ فيها] الاعلام والملاعب .

واتخذ في سفح الجبل مدينة يقال لها طهراتيس ^(٣) وجعل فيها من العجائب شيئا كثيرا ، وجعل لها أربعة ابواب من كل جهة باب واحد ، وجعل على الباب الشرقي صورة عقاب وعلى الباب الغربي صورة نسر ^(٤) ، وعلى الباب الجنوبي صورة اسد وعلى الباب الشمالي صورة كلب ومملك ^(٥) فيها الروحانيات وكانت تنطق إذا قصد اليها القاصد ولا يصل احد إلى الدخول فيها دون استئذان الموكلين بها وغرس فيها شجرة تحمل كل صنف من الفواكه .

وبنى منارا طوله ثمانون ذراعا وعلى رأسه قبة تتلون في كل يوم لونا حتى تنقضي سبعة أيام بسبعة ألوان ثم تعود إلى اللون الاول وتكسي المدينة ذلك اللون وجعل حول ذلك موضع ماء فيه سمك كثير ، وجعل حول المدينة طلسمات من كل صنف تدفع عن اهلها المضار .

وكانت ايضا تسمى مدينة البوسق ^(٦) باسم الشجرة المنصوبة فيها .

-
- (١) زيادة عن ت .
 (٢) في ب : هيكلين . وفي ت : هيكلا .
 (٣) في ت : وعمل في الجبل الشرقي مدينة ، ويقال لها أو طبراطليس .
 (٤) في ت : صورة ثور .
 (٥) في ت : واسكن .
 (٦) في ت : اليوس .

أول من بنى الاهرام

كان سوريدي بن فيلمون^(١) ، وكان ملكا على مصر قبل الطوفان بثلاثمائة^(٢) سنة فرأى في منامه كأن الأرض قد انقلبت بأهلها ، وكان الناس يهربون على وجوههم وكان الكواكب تتساقط ، ويصدم بعضها بعضا بأصوات هائلة مفزعة فرجف قلبه وأزعجه ذلك وأرعبه ولم يذكره لاحد ، وعلم أنه سيحدث في العالم أمر عظيم .

ثم رأى بعد ذلك ، كأن الكواكب الثابتة نزلت الى الأرض في صورة طيور بيض كأنها تخطف الناس ، وتلقيهم بين جبلين عظيمين ، وكان الجبلين قد انطبقا عليهم ، وكان الكواكب النيرة مظلمة كاسفة ، فانتبه أيضاً مذعوراً فزعاً .

فدخل إلى هيكل الشمس ، وجعل يتضرع فيه ويمرغ خديه في التراب ، ويبكي ، فلما أصبح أمر رؤساء الكهنة من جميع أعمال مصر ، وكانوا مائة وثلاثين ؛ فخلا بهم وحكى لهم جميع ما رآه فأعظموه وأكبروه وتأولوه على أمر عظيم يحدث في العالم .

فقال فيلمون عظيم الكهان ، وكان فيلمون إذ ذاك كبيرهم ، وكان لا يبرح من حضرة الملك لأنه رأس الكهنة كهنة أشمون ، وهي مدينة مصر الأولى ، قال إن في رؤيا الملك عجباً ، وأمرأً كبيراً ، وأحلام أهل الملك لا تجري على محال ولا كذب لعظم أقدارهم ، وكبير أخطارهم ، وأنا اخبر الملك برؤيا رأيته منذ سنة لم أذكرها لأحد من الناس .

(١) في ت : سورند بن شهلوق . (٢) في ت : بألف وثلاثمائة .

فقال له الملك : قصها عليّ يا فيلمون ، قال : رأيت كأني قاعد ^(١) مع الملك على رأس المغار الذي في أشمون ، وكان الفلك قد انحط من موضعه ، حتى قارب رءوسنا وكان علينا كالقبة المحيطة بنا ، وكان الملك رافع ^(٢) يديه إلى السماء ، وكواكباً قد خالطتنا في صور شتى مختلفة ، وكان الناس يستغيثون بالملك وقد انجفلوا إلى قصره ، وكان الملك رافع ^(٣) يديه إلى أرب يبلغ رأسه ، وأمرني أن أفعل مثل فعله ، ونحن على وجل شديد إذ رأينا منه موضعاً قد انفتح وخرج منه ضياء يضيء ، ثم طلعت علينا منه الشمس فكأننا استغثنا بها فخطبتنا بأن الفلك سيعود إلى موضعه إذا مضت له ثلاث وستون دورة . وهبط الفلك حتى كاد أن يلصق بالأرض ثم عاد الى موضعه ، فانتبهت فزعاً .

فقال لهم الملك : خذوا ارتفاع الكواكب وانظروا هل من حادث ، فبلغوا غايتهم في استقصاء ذلك ، فأخبروه بأمر الطوفان ، وبعده بالنار التي تحرق العالم .

فأمر الملك ببناء الأهرام ، فلما تمت على ما دبروا حكمه ، نقل إليها ما أحب من عجائبهم واموالهم واجساد ملوكهم ، وأمر الكهان فزبروا ^(٤) فيها علومهم ، وحكمهم وأثرف ولد حام القبط والهند هم الحكماء .

ذكر ملوك مصر قبل الطوفان

وكان أول من ملك مصر قبل الطوفان بقراويس ^(٥) وذلك أن بني آدم

(١) في الأصلين : قاعداً .
(٢) فيها رافع في الموضعين .
(٣) في ب : فدبروا ، والزبر والكتابة .
(٤) في تاريخ القرماني : تقراوش الجبار بن
مصرام بن مراكيل بن رواييل بن
عريب بن آدم عليه السلام .

لما بنى بعضهم على بعض وتحاسدوا، وتغلب عليهم بنو قابيل ابن آدم تحول^(١) بقراويس الجبار بن مصرايم بن مواكيل بن داويل بن عرباق بن آدم عليه السلام في نيف وسبعين راكباً من بني عرباق جبابة ، كلهم يطلبون موضعاً ينقطعون فيه عن بني آدم ، فلم يزالوا يمشون حتى وصلوا إلى النيل فأطالوا المشي عليه ، فلما رأوا سعة البلد وحسنه أعجبهم ، وقالوا : هذا بلد زرع وعمارة ، فأقاموا فيه واستوطنوه ، وبنوا الأبنية والمصانع المحكمة .

وبنى بقراويس مصر ، وسماها باسم أبيه مصرايم^(٢) تبركاً به وكانت بقراويس جباراً له قوة زائدة وبطش وكان مع ذلك عالماً له رأي من الجن ، فملك بني أبيه ، ولم يزل مطاعاً في أمره ، وقد كان وقع إليه من العلوم التي علمها درابيل لآدم عليه السلام ، فقهر بها الجبابة الذين كانوا معه .

وهم الملوك الذين بنوا الأعلام ، وأقاموا الأساطين العظام ، وبنوا المصانع الغريبة ، ووضعوا الطلسمات العجيبة ، واستخرجوا المعادن ، وقهروا من ناورهم من ملوك الأرض ، ولم يطمع فيهم طامع ، وكل علم جليل هو في أيدي المصريين ، إنما كان من علوم أولئك ، كانت مزبورة على الحجارة .

فيقال إن فيلمون الكاهن الذي ركب مع نوح عليه السلام في السفينة هو الذي فسر لهاهم ، وعلمهم كتبها ، وسنذكر خبرها في موضعه إن شاء الله عز وجل .

ثم أمرهم بقراويس حين ملك ببناء سموها أمسوسا^(٣) وأقاموا لها أعلاماً طوالاً طول كل علم منها مائة ذراع ، وزرعوا وعمروا الأرض ، وأمرهم ببناء المدائن ، والقرى ، وأسكن أهل كل بيت ناحية من أرض مصر .

(١) في ب : تحمل ، والتصحيح عن القرماني . (٢) في القرماني : أسوس .

(٢) في ب : مصرم .

وهم الذين حفروا النيل حتى أجروا ماءه اليهم ، ولم يكن قبل ذلك معتدل الجري ، وإنما كان ينبطح ويتفرق في الأرض ، فوجه إلى النوبة جماعة حتى هندسوه ، وشقوا منه أنهاراً الى مواضع كثيرة من مدنهم التي بنوها .

وشقوا منها نهراً الى مدينة أمسوس يجري في وسطها وغرسوا فيها عليه الفروس وكثر خيرهم وعمرت أرضهم ، وتجبر بقراويس لما ملك قومه ، وكان عظيمهم .

وبعد عشرين ومائة سنة خلت من ملكه أمر باقامة الأساطين ، وزبروا عليها علومهم .

ذكر دخولهم البلدة ، وكيف خرجوا اليها ونزلوا بها

وحروبهم لمن حاربهم من الملوك

ثم أمر ببناء قبة على أساطين مثبتة بالرصاص ، طولها مائة ذراع ، وجعل عليها مرآة زبرجد أخضر ، قدرها سبعة أشبار ترى خضرتها على أمد بعيد . وفي مصاحف المصريين أنه سأل الربيع الذي كان معه أن يعرفه فتخرج [الى شاطيء] النيل ، فحمله حتى أجلسه على خلف خط الاستواء على البحر الأسود الزفتي [والنيل يخرج] مثل الخيوط حتى يدخل تحت جبل القمر ، ثم يخرج الى بطائح هناك .

ويقال إنه بنى بيت التماثيل هناك ، وعمل هيكل الشمس ، ورجع الى أمسوس وقسم البلد بين بنيه ، فجعل لبقراوس الجانب الغربي ، ولسوريد الجانب الشرقي ، ولابنه الأصغر وهو مصرام مدينة سماها يربيان ، وأسكنه فيها ، وأقام أساطين كثيرة ، وشق اليها نهراً وغرس فيها غروساً .

وعمل بأمسوس عجائب كثيرة ، منها طائر يصفر كل يوم عند طلوع الشمس مرتين وعند غروبها مرتين ، تصغيراً مختلفاً ، يستدلون به على ما يكون من الحوادث ، فيتأهبون لذلك ، وأجرى لهم الماء على مجرى ينقسم منه على ثمانية وعشرين قسماً .

وعمل في وسط المدينة صنمين حجراً أسود ، إذا قدم المدينة سارق لم يمكنه أن يزول عنها حتى يهلك بينها ^(١) فإذا دخل بينها انطبقت عليه ، ولهذين الصنمين أعمال عجيبة غير هذا .

وعمل بربيا صورة من نحاس مذهب على منار عال ، لا يزال عليها السحاب يطلع ، فمن استمطرها أمطرت عليه ما يشاء ، فهلكت هذه الصورة في الطوفان .

وعمل على حدود بلدهم أصناماً من نحاس مجوفة ، وملاها كبريتاً ، وركل بها روحانية النار ، إذا قصدهم قاصد بسوء أرسلت تلك الأصنام من أفواهها ناراً فأحرقته .

وكانت حد بلدهم إلى ناحية الغرب مسافة أيام كثيرة عامرة بالقصور والبساتين ، وكذلك في البحر ، ومن الصعيد إلى بلاد علوة .

وعمل فوق جبل بطرس مناراً يفور بالماء ويسقي ما حوله وما تحته من المزارع وملئهم مائة وثمانين سنة .

فلما مات لطيخوا جسده بالأدوية المسكة ، وجعلوه في تابوت من ذهب وعملوا له ناووساً مصفحاً بالذهب ، وجعلوه فيه وجعلوا معه كنوزاً لا تحصى كثرة ولا تحصر قيمة .

(١) في القرماني ان يزول عنها .

ومن الأنواع النفيسة [من] الجوهر وتماثيل الزبرجد ، وكثيراً من أكسير الصنعة المعمول المفروغ منه ، ومن الذهب والأواني المعمولة من الذهب ما لا يحصى كثرة ، ولا تعلم قيمته .

وزبروا على البيوت تاريخ الوقت الذي مات فيه ملكهم ، ثم جعلوا على ذلك كله طلسمات تدفع عنه الهوام والحشرات المفسدة ، وصور كل طالب من الأنس والجن .

ثم ملك بعده ابنه براوس^(١) الملك فتجبر وعتا وعلا أمره وبنى مدينة يقال لها جلجلة وجعل فيها جنة ، وصفح حيطانها بصفائح الذهب والحجارة الملونة ، وغرس فيها أصناف الفواكه والفروس تحفها الأنهار .

وأمر بإقامة أساطين جعلها معالم ، وكتب عليها جميع العلوم . وصور أصناف العقاقير بها ، وزبروا عليها أسماءها ومنافعها .

وكان له شيطان يعمل له التماثيل العجيبة فهو أول من عمل بمصر هيكلًا ، وصور فيه صور الكواكب السبعة ، وكتب على رأسه تجارها . وما علمت من المنافع والمضار ، وألبسها الثياب ، وأقام للهيكل كاهناً وسدنة .

وخرج مغرباً حتى بلغ البحر المحيط ، وعمل عليه أعمالاً ، وبنى أساطين جعل على رؤوسها أصناماً تسرج عيونها كالمصابيح في الليل ، ورجع على بلاد السودان إلى النيل . وأمر ببناء حائط على جانب النيل . وجعل على شرفها حجارة ملونة شفافة .

وجعل في مدينة منها خزائن للحكمة ، وهي أول عجائب الأرض وأغربها ، ففي إحدى هذه المدن صنم للشمس ، الذي هو أعظم أصنامهم .

(١) تقدم اسمه بقراس ، وفي كتاب القرماني : نقارش .

وهي معلقة عليه في بيت شرفها وهو صورة إنسان جسده جسد طائر من ذهب أزرق مدبر وعيناه جوهرتان صفراوان ، وهو جالس على سرير مغنطيس . وفي يده مصحف من العلوم .

وفيها صنم آخر رأسه رأس إنسان وجسده جسد طائر ، ومعه صورة امرأة جالسة من زئبق معقود لها ذؤابتان ، وفي يدها مرآة ، وعلى رأسها صورة كوكب . وهي رافعة يدها بالمرآة الى وجهها ومظهرة فيها سبعة ألوان من الماء السائل . لا تحتلط ولا يؤدي بعضها لون بعض ولا يغيره ، وفيها شيخ جالس من الفيروزج بين يديه صبية جلوس كلهم من أصناف العقيق والجوهر .

وفي الخزانة الثانية صورة هرمس وهو مكب ينظر الى مائدة به يديه من نشادر على قوائم كبريت أحمر ، وفي وسطها مثل الصحيفة من جوهر أحمر فيها شيء من الصنعة .

وفيها صورة عقاب من زمرد أخضر ، عيناه من ياقوت أحمر ، وبين يديه حية زرقاء من فضة قد لوت ذنبها على رجله ، ورفعت رأسها كأنها تريد أن تنفخ عليه ، وفي ناحية منها صفة المريخ راكب على فرس بيده سيف مسلول من حديد أخضر ، وفيها عمود من جوهر أخضر عليه قبة من ذهب فيها صورة المشتري وفيها قبة من اللازورد على أربعة أعمدة من جذع أزرق ، وفي سقفها صورة الشمس والقمر يتحدثان في صورتين رجل وامرأة ، وقبة من كبريت أحمر فيها صورة الزهرة على صورة امرأة ممسكة بصفيرتها وتحتها رجل من زبرجد أخضر في يده كتاب فيه علم من علومهم ، كأنه يقرؤه عليها .

وجعل في كل خزانة من بقية الخزائن من الأموال والجواهر والكنوز والحلى ما لا يعد ولا يقدر قدره .

وجعل على باب كل مدينة طلسمًا ، يمنع دخولها في صور مختلفة ، لا يشبه بعضها بعضًا .

وملأ كل مدينة بالجواهر النفيس والزبرجد والخطير والذهب والفضة ، والكبريت الأحمر ، واكسير الصنعة ، وصنوف الادوية المؤلفة ، والسموم الفاتكة ، وعلم كل باب منها بعلامة تعرف بها .

وانفذ اليها خازنًا تحت الأرض وجعلها من تحت جلجلة ، وهي مدينته التي عمل فيها الجنة .

وبين كل مدينة من تلك المدن الثلاث عشرون ميلًا ، وبين الثلاث سبعة أميال .

وكان له من مدينته الى هذه المدائن اسراب تحت الارض يصل منها اليها ، وكذلك من بعضها الى بعض .

وصفات هذه المدائن وعجائبها في كل قرية بمصر على تلك الحجارة ، وفي جميع مصاحفهم القديمة ، وأكثر ذكرها في هياكل الكواكب خاصة ، وقرىء في مصحف لبعض الكهان القدماء ذكر بقراوش الملك بكل ما ذكرناه ، وأنه عمل مع ما ذكرناه عجائب كثيرة أزالها الطوفان وركب هذه الرمال لزوال طلسماتها ، فأقام بقراوش ملكًا مائة سنة وسبع سنين ، ثم مات فعمل له ناووس ، وجعل معه من المعجائب ما يطول ذكره .

وولى بعده ابنه مصرام الملك بن بقراوش ، فبنى للشمس هيكلًا من المرمر وموه بالذهب ، وجعل في وسط الهيكل كالفرس من جواهر أزرق عليه صورة الشمس من ذهب أحمر ، وأرخصي عليه وعليها حلل الحرير الملون ، وأمر أن يوقد عليها بطيب الرياح ، وجعل في الهيكل قنديلًا من الزجاج

الصافي ، وجعل فيه حجرا مدبرا يضيء أكثر مما يضيء السراج ، وأقسام له سدة ، وعمل أربعة أعياد في السنة .

وقيل إن مصر سميت به ، وسمى به مصرم بن حام بعد الطوفان ، لأنه وجد اسمه مزبورا على الحجارة .

وكان أفليمون الكاهن يخبرهم بأخبار هؤلاء الملوك ، وكان مصرام هذا قد ذلل الأسد في وقته ، وكان يركبه ، وصحبه الجني الذي كان مع أبيه ، لما رأى من حرصه على لزوم الهياكل ، والقيام بأمر الكواكب .

وأمره أن يحتجب عن الناس ، وألقى على وجهه [من سحره] ^(١) نوراً شديداً لا يقدر أحد على النظر إليه .

وادعاه إلهها ، واحتجب عن الناس ثلاثين سنة ، واستخلف عليهم رجلا من ولد عرباق ، وكان كاهنا

ويقال إن مصرام لما ركب في عرشه ، وحملته الشياطين حتى انتهى إلى وسط البحر ، فجعل له فيه القلعة البيضاء ، وجعل عليها صنما للشمس ، وزبر عليه اسمه وصفة ملكه . وعمل ^(٢) صنما من نحاس وزبر عليه « انا مصرام الجبار ، كاشف الأسرار ، الغالب القهار ، وضعت الطلسمات الصادقة ، وأقامت الصور الناطقة ، ونصبت الاعلام الهائلة ، على البحار السائلة ، ليعلم من بعدي انه لا يملك أحد ملكي » .

وكل ذلك في أوقات السعادة ، وقد كان عمل في جنته شجرة مولدة ، تؤكل منها جميع الثمار .

(١) زيادة عن ق . (٢) في ب : وجعل ، وهذه رواية القرماني .

وعمل فيها قبة من زجاج احمر على رأسها صنم يدور مع الشمس ، ووكل بها الشياطين إذا اختلط الظلام أن لا يخرج احد من ملكه إلا هلك .

وهو اول من عمل الحمام ، وأحب اهل مصر ان يروه فسألوا خليفته ذلك ، فأمرهم أن يجتمعوا في مجلس عال كان له ، فاجتمعوا وجلسوا عنده ، فظهر لهم في صورة هالتهم ، ملأت قلوبهم رعباً ، فخروا له على وجوههم ودعوا له فأمر بإحضار الطعام والشراب فأكلوا وشربوا ورجعوا إلى مواضعهم ، ثم لم يروه بعد ذلك وبلغ في كهنته الى ما لم يبلغه أحد من آبائه وأجداده .

وملك بعده عيقام الكاهن ، فعدل فيهم ، وعمل مدينة عجيبة قرب العريش وجعلها لهم حرماً ، وعمل لهم طلاس عجيبة وعجائب كثيرة ، وقيل ان ادريس عليه السلام رفع في وقته ولم يطل عمره .

وملك بعده ابنه عرباق بن عيقام فتجبر واقتل على صيد السباع والوحش وعمل عجائب .

منها أنه عمل شجرة من حديد ذات أغصان ، ولطخها بدواء مدبر ، فكانت تجلب كل صنف من السباع والوحش اليها ، فيتمكن من صيدها كيف شاء .

وفي كتب المصريين أن هاروت وماروت كانا في وقته بمصر ، فعلما أهل مصر أصنافاً من السحر ، فنقلا بعد الطوفان إلى أرض بابل وتعلم عرباق من علمها .

فاحتالت عليه امرأة من المفضويات فسمته فهلكت وبقي مدة لا يعرف خبره ، وكان رسمه إذا خلا بالنساء لا يقربه أحد .

فلما تأخر خبره عن الناس هجم عليه فتى من بني بقراوس يقال له لوجيم^(١)

(١) في ق : لوجيم بالمعجمة .

ومعه نفر من أهله ، فوجدوه ملقى على فراشه جيفة ، فأمر أن توقد له نار يحرق فيها فأحرقه ، ثم جمع النسوة اللاتي كن في الجنة ، فمن كانت من نسائه أحرقها معه ، ومن كانت من المفضوبات ، سرحها إلى أهلها ، ففرح الناس لما نزل بهم .

وملكهم لوحي الملك فخرج ولبس تاج أبيه ، وجلس على سرير الملك ، وأمر يجمع الناس . فلما اجتمعوا قام فيهم خطيباً . وذكر ما كان عليه عرباق الأنثم من سوء السيرة واغتصاب النساء وسفك الدماء . ورفض الهياكل والاستخفاف بالكهنة ، وأنه لميراث أبيه وجده وأحق به من غيره وضمن للناس العدل والإحسان والقيام بأمرهم ، ودفع كل أذى عنهم فرضي الناس منه بذلك ، وقالوا له : أنت أحق بالملك ، فلا زلت دائم السعادة ، طويل العمر ، وانصرفوا مسرورين .

فأمر بتجديد الهياكل وتعظيمها ، وقرب كثيراً من الكهان ، وأكرم جميعهم ، وسار في الناس بالعدل .

وكانت الغربان والغرائيق^(١) قد كثرت في وقته فأهلكت الزرع ، فعمل أربع منارات من نحاس في جوانب أمسوس ، وجعل في كل منارة صورة غراب فيه حية قد التوت عليه فلم يقربهم شيء من تلك الطيور إلى أن كان الطوفان ، فأزال تلك المنارة .

ومن ملوكهم حصليم ، وكانت له أخت حكيمة ، وكانت في جواربها جارية فائقة العقل والجمال ، فمشقها الملك ، وسأل أخته أن تهبا له ، فأبت فألح عليها في طلبها ، ففضبت واعتزلت ، وبنت هيكلًا وتعبدت فيه للزهرة

(١) في ب : والغرائب . والتصحيح عن ق .

مدة ثم إنها رأت الزهرة تناجيها وتكلمها، وتأمرها أن تسلم الجارية الى أخيها، وتنهاها أن تمعه من ذلك ، ففعلت ذلك .

ولما صارت الجارية عند الملك حظيت عنده ، وفضلها على سائر نسائه فحسدها وولدت من الملك ولداً ذكراً لم يكن له ولد غيره ، فزاد حسدهن لها ، وجعلن يطلبن أذاها ، ويطلبن الغوائل لها .

وكان أجل وزراء الملك لما يعلم من محبة الملك لها يأتيها في كل يوم فيقضي ما عرض لها من حوائجها ، إجلالاً لها ، فلما قصدن ضراتها ^(١) [إذايتها] لم يجدن أنجع من أن يرمينها بذلك الوزير ، وكان ذلك حسداً وبغياً ، فحققن الأمر عند الملك بما أمكنهن من الحيل ، فلما وقف الملك على ذلك أمر بقتلها وقتل الوزير ، ولم يشاور في ذلك أخته ولا احداً من الحكماء .

فلما نفذ أمره بذلك بادر من وقف على ذلك الى أخته فأعلمها فأسرعت الى الذي امر بقتلها تأمر باستبقائها ، حتى يرى الملك في امرهما .

ودخلت على الملك فقالت لهما هذا الذي أمرت به في وزيرك وجاريتك ؟ فقال اتصل بي عنها كذا وكذا ، قالت أتحدث حدثاً عظيماً من القتل على ما لم تتحققه ، وعن غير مشورة لأهل الحكمة والثقات من اهل المملكة ؟ قال لم أملك صبري ، قالت إن الملوك ليس لها ان تعجل حتى يتبين لهم الامر ! فأمر باستبقائها ، وبحث عن أمرهما ، فوقف على الكذب فيه ، فأمر بكل من سعى فيه من ضراتها فأخرجن من القصر .

وحصلم هذا هو أول من عمل مقياساً لزيادة النيل ، وذلك أنه جمع اصحاب العلوم والهندسة ، فعملوا بيتاً من زجاج على حافة النيل وجعل في

(١) في ب ضراتها : فتاها .

وسطه بركة من نحاس صغيرة فيها ماء موزون ، وعلى حافة البركة عقابان ^(١) من نحاس ذكر وأنثى .

فاذا كان في أول الشهر الذي يزيد فيه الماء ، وفتح البيت وحضر الكهان بين يدي الملك ، وتكلم امير الكهان بكلام حتى يصفر أحد العقابين ، فان صفر الذكر كان الماء ثاماً زائداً وإن صفرت الأنثى كان الماء ناقصاً ، ثم يعبرون الماء ، وكل أصبح تزيد في تلك البركة فهو زيادة ذراع في النيل ، فاذا عملوا ذلك حفروا للزرع وأصلحوا الجسور وعمل على النيل القنطرة التي ببلاد النوبة اليوم ، وكان يسمى ابنه هوصال اي خادم الزهرة للرؤيا التي رأتها اخته ، وكفلت الغلام عمته وادبته احسن التأديب ، وزوجته عشرين امرأة من بنات الملوك العظام . وبنت له مدينة وجعلت فيها عجائب كثيرة احتفلت فيها ، وزينتها بأحسن النقش والزينة والعمارة ، وعملت فيها حماماً على أساطين يرتفع الماء فيها اليه حاراً من غير وقيد .

وهلك حصليم ^(٢) فدفن في ناروسه ، وملك بعده ابنه هوصال الملك ، وتحول هوصال إلى السرب فسكنه ، وبني مدينة هي إحدى المدائن ذوات العجائب ، وعمل في وسطها صنماً للشمس يدور معها ، ويبيت مغرباً . ويصبح مشرقاً .

ويقال إنه أول من اتخذ تحت النيل سرباً ، وهو أول من عمل ذلك ، وخرج منه متنكراً يشق الأرض والأمم إلى أن بلغ بابل ، ورأى ما عمله الملوك من الأعاجيب ، وعلم حال ملكها في الوقت وسيرته ، وبحاربي أموره . ويقال إن نوحاً عليه السلام ولد في وقته ، وولد لهوصال عشرون ولداً ، وجعل مع كل واحد منهم قاطراً ^(٣) وهو رأس الكهنة .

(١) في ب : عقربان . وقد كتبناهما عقابان لما يذكره بعد ثلاثة أسطر .

(٢) في ب : شصليم ، وقد تقدم بالحاء ، وفي ق بالجيم . (٣) في ب : ناظرا .

وتقول القبط أنه من بعد مائة وسبع وعشرين سنة من ملكهم لزم الهيكول الذي كان أقطعه أبوه لا يشرکه فيه غيره ، وأمور الناس جارية على سداد ، فأقاموا كذلك سبع سنين ، ثم وقع بين الاخوة تشاجر واختلاف ، فأجمع رؤوس الكهنة على أن يجعلوا أحدهم ملكا ، ويقيم كل واحد منهم في قسمته ، واجتمعوا لذلك في دار المملكة .

وقام رأس الكهان فتكلم ، وذكر هوصال وفضائله وسعادتهم في أيامه وما شملهم معه من الخير ، وأخبر بما رأته الجماعة من تقليد أحدهم ، فان كان هوصال حيا ورجع إليهم لم ينكر ما فعلوه ، لأنهم لم يريدوا إلا حفظ ملكه ، ورفع المكاره عنه ، وإن لم يرجع كان الأمر على ما سلف ملك بعد ملك فاستحسن الناس ذلك القول ورضوا به رأيا ، وعملوا به .

فعمدوا الملك على أكبر ولده سنا وهو فدرشان ^(١) الملك فسار سيرة أبيه فعمد الناس أمره فعمل في أيامه قصرأ من خشب ونقشه بأحسن النقوش وصور فيه الكواكب ، ويجله بالفروش وحمله على الماء ، وكان يتنزه فيه .

فبينما هو فيه ذات يوم إذ هبت ريح عظيمة ، وزاد النيل زيادة كبيرة فانكسر القصر وغرق الملك ، وهلك وقد كان نفى إخوته إلى المدائن الداخلة .

واقصر على امرأة واحدة من بنات عمه ، فولدت ولداً ولم يكن له ولد غيره ، وكانت ساحرة فسحرتة حتى هام بها وانفرد بحبها واستخلف بعض وزرائه على الملك ، واقبل على لذاته ولهو معها .

فلما كان من أمره ما كان من هلاكه كتمته امرأته ، وكان أمره ونهيه يخرج إلى الوزير عنه ، فأقام الناس على طاعته تسع سنين لا يعلمون بأمره .

فلما رأى إخوته طول غيبته جمعوا [عليها] جموعاً عظيمة وقدموا على أنفسهم أحدهم وهو نمرود الجبار .

وساروا الى أمسوس وبلغ ذلك الساحرة امرأة قدرشان ، فأمرت الوزير على أمر الملك على عاداتها بالخروج إليهم وبمحاربتهم ، ففعل فمزموه وقتلوه وقتلوا كثيراً ممن كان معه .

ودخلوا مدينة أمسوس وأتوا دار الملك فلم يروا له خبراً ، فأيقنوا بموته ، وكانت الحيلة وقعت من امرأته الساحرة .

فجلس على سرير الملك نمرود ^(١) بن هوصال أخوه وملك الناس ووعدهم بحسن السيرة فيهم وتقبيد ما كانوا ينكرونه ، من أفعال أخيه واستولى على أمواله وخزائنه ففرقها على اخوته واقطعهم جميع ما كان أخوه ادخره لنفسه . وطلب امرأته الساحرة وابنها ليقتلها فلم يقع لهما على خير لأن أمه ذهبت به الى مدينة أهلها بالصعيد وكانوا كلهم سحرة وكهانا .

فامتنعت بهم وداخلت الناس واعلمتهم أن ابنها هو الملك بعد أبيه لأن أباه قلده الملك وأمرها أن تدبر الناس ، وأعلمتهم فصدقوها وأجابوها وقالوا ان الغلام مغلوب على ملكه وان النمرود متقلب غاصب فاجتمع من حمايتها ونصرتها بشر كثير .

وزحف ابن الساحرة الى نمرود يجمعون كثيرة وقد عمل له السحرة أصنافاً من التآثيل المهلكة والتيران المحرقة فخرج اليه نمرود واخوته فيمن معهم من الاجناد والاتباع فانهمزم الملك واخوته وتعلقوا ببعض الجبال .

ونزل ابن الساحرة بدار الملك وجلس على سريره ولبس تاج أبيه وطافت به بطارفته وكان اسمه توسدون ^(٢) ملك وهو حدث وكانت أمه تدبر أمره

فقتل كل من كان صاحب النمرود وجد في طلبه ومحاربه حتى ظفر به وسبق اليه أسيرا واجتمع الناس لينظروا اليه فشدت رأسه برأس اسطوانة قائمة وشدت رجله ^(١) باسطوانة اخرى ، وكان طوله فيها تذكره القبط عشرين ذراعا واودعته بيتا ووكلت به رجالا من حرسها لتقتله يوم عيدها وكان قويا فصاح في الليل صيحة مات منها بعض الحرس وهرب الباقيون، فلما بلغها ذلك أمرت بانزاله واحضرته وامرت بنار توقد فأوقدت وجعلت تأمر فيقطع منه عضو بعد عضو فيلقى في النار حتى فرغ منه .

وكبر ابنها فخرج كاهنا منجما ساحرا ، فعملت له الشياطين قبة من زجاج كرية ^(٢) مدبرة دائرة على دوران الفلك وصوروا عليها صور الكواكب ، وكانوا يعرفون بها أسرار الطبائع ، وعلوم العالم بطولوعها وأفولها .

وبعد ستين سنة من ملكه ماتت أمه الساحرة، وأوصت أن يجعل جسدها تحت صنم القمر بعد أن يطلى بما يدفع عنه النتن ، وكانت وهي ميتة تخبرهم بالعجائب وتجوابهم على كل ما يسألون، فهاب الناس لابنها وفرعوا له ، وكان يتصور لهم في صور كثيرة وملكهم مائة سنة ، ولما حضرته الوفاة أمر أن يعمل له شكل صنم من زجاج ، يكون شفيفا ^(٣) ويطلى جسده بالأدوية المسكة له ، ويدخل في تلك الصورة التي من الزجاج ، ويلحدا بين الشفتين وينام في هيكल الأصنام ويعمل له في كل سنة عيد تقرب فيه القربان ، وتدفن تحته كنوزه ، ففعل ذلك كما أمر .

وملك بعد، ابنه سرباق ^(٤) الملك فعمل بسيرة ابيه وجدته ، واجتمع

(١) في ق : رجله . (٣) في ق : من زجاج عل شفين فلعل الصراب اذن : شقيا .

(٢) في ب : كورية . (٤) في ق : شرياق .

عليه، وزحف رجال من بني طربيس بن آدم من ناحية العراق فتغلب على الشام. وأراد أن يزحف إلى مصر فعرف أنه لا يصل إليها لسحر أهلها، فأراد أن يدخلها متنكراً ليعرف أهلها، ويقف على سحر بعض أهلها، فخرج ومعه نفر حتى وصلوا إلى حصن من أول حدود مصر، فسألهم الموكلون به عن أمورهم فعرفوهم أنهم تجار يقصدون بلداً يسكنونها، ومعهم أموالهم ليحترفوا كيف ظهر لهم بها، فحبسوهم وأرسلوا إلى الملك بخبرهم.

وقد كان رأى الملك في منامه كأنه كان قائماً على منار لهم عال، وكان طائراً عظيماً قد انقض عليه ليختطفه فجاد عنه حتى كاد^(١) أن يسقط عن المنار، فجاوزه الطائر ولم يضره فانتبه مذعوراً، وبعث إلى رأس الكهنة، فقص عليه رؤياه فعرفه أن ملكاً يطلب ملكه، فلا يصل إليه.

فنظر في علمه فرأى ذلك الملك الذي يطلب ملكه قد دخل بلده ووافق ذلك دخول الرسل من ذلك الحصن يذكر القوم، فعلم الملك أنه فيهم فوجه يجماعة من أصحابه معه، فاستوثقوا منهم وحملوهم إليه.

وقد كان الملك أمرهم أن يطوفوا بهم على أعمال مصر^(٢) كلها، ليروا ما فيها من الطلسمات والأصنام والعجائب والمعجزات قبلقوا بهم إلى الاسكندرية، ثم ساروا بهم إلى أمسوس، فأوقفوهم على عجائبها ثم ساروا بهم إلى الجنة التي عملها مصرام وأمر السحرة باظهار التماثيل فجعلوا يتمتعون مما يرون حتى وصلوا إلى سرباق الملك، والكهنة حوله قد أظهروا صنوف العجائب، وجعلوا بين يديه ناراً لا يصل إليها إلا من كان من خاصته. ولا تضر إلا من أضمر للملك غائلة وأمر فشقوها واحداً بعد واحد فلم تضر منهم أحداً.

(١) في ب : كان . (٢) في ب : الجمال بمصر .

وكان ذلك الملك آخر من دخلها منهم . فلما دنا من النار أخذته فولى هاربا فأتى به سرباق فسأله عن أمره . وتوعده فأقر فأمر بقتله ، وحمله الى الحصن الذي أخذ به فصلب هناك من جهة الشام على اسطوانة عظيمة من حجر وزبر عليها هذا فلان بن فلان المتغلب على الشام أضمر غائلة للملك . وطلب مالم يصل إليه تعديا منه عليه وظلما له فعوقب بهذا .

وأمر بإطلاق الباقين . وقيل لهم قد وجب عليكم القتل ، لصحبتهكم لمن أراد الفساد في الأرض . ولكن الملك بفضله عفا عنكم وأمر أن تخرجوا من بلاده ، ولا تعودوا إليها ابدأ فخرجوا هاربين . مسرورين بالسلامة فكانوا لا يملكون بأحد إلا حديثه بما رأوا من العجائب . فأنقطعت أطماع الملوك في الوصول الى مصر والتعرض لها . وعملت في وقت سرباق عجائب كثيرة .

منها أنه عمل عرباق في مدينته بطة من نحاس قائمة على اسطوانة ، فاذا دخل الغريب من ناحية من النواحي أو باب من الأبواب صفقت يحناحيها ، وصرخت فيؤخذ [الداخل] ويكشف عن أمره ومقصده ، وشق الى مدائن الغرب نهراً من النيل ، وبنى على عبريه منازل وأعلاما ، وغرس فيها غروسا يتنزه عليها ، وملكهم مائة سنة وثلاثين سنة .

وملكهم بعده ابنه سهلون بن سرباق ، وكان سهلون عالما منجما كاهنا ، فأفاض العدل وقسم ماء النيل قسما موزونا ، صرف الى كل ناحية قسطا ، ورتب الدولة وجعلها على سبع طبقات .

(الطبقة الأولى) الملك وولده وأهل بيته ومن يلي عدله ، ورأس الكهان ، والوزير الأكبر ، وصاحب خاتم الملك ، وصاحب خزائنه .

(والطبقة الثانية) مراتب العمال والمتولين لجباية الأموال ، والأشراف على النفقات في أمر المملكة ، ومصالح البلاد والعمارات ، وقسمة المياه .

(والطبقة الثالثة) الكهان وأصحاب الهياكل وخدمتها ، ومتولي الفرائض والمشرّف على ما يقرب من بواذر الفاكة والرياحين وصفار البقر والغنم والفرايج الذكور ، وما يعرف من مثل ذلك في طعام الملك وخوابي الشراب ، وغير ذلك مما يشبهه

(والطبقة الرابعة) المنجمون ، والأطباء ، والفلاسفة ، ونحوهم .

(والطبقة الخامسة) أصحاب عمارة الأرض ، والمتولون أمر الزراعة ، والغرس .

(والطبقة السادسة) أصحاب الصناعات والمؤن ، والمشيدون في كل سنة في كل فن ، والمشرّفون على أعمالهم ، ونقل ما يستحسن من أعمالهم إلى خزائن الملك .

(الطبقة السابعة) أصحاب الصيد من السباع والوحش والطير والهوام ، والمشرّفون على أخذ دمائها ومرارتها وشحومها ، وحملها الى الأطباء لاصلاح العقاقير ، وتأليف الأدوية .

وتقدم اليهم ألا يدخل أهل صناعة في دلّة ولا مهنة في غير ما هو فيه ، ومن قصر في عمله عوقب ، ومن أحسن في عمله جوزي .

وكانت رتبة أهل الملاهي والألحان في قسمة الملك .

وتقدم في بناء المدائن ونصب الاعلام والمنارات ، وابتدع ما يستغرب من الصناعات ، وإجراء المياه ، وتوليد غرائب الاشجار .

وأقام على أعالي الجبال سحرة يقسمون الريح ، ويمنعون من أراد بلدهم بأذى ، وكذلك يمنعون كل طائر وسبع ووحش وهوام ، ويجري في الناس على السداد والاعتدال .

وجعل لكل صنف من الناس صنفا من الكهنة يعلمونهم الدين ، ودينهم يومئذ الصابئة الأولى ويرفع كل صنف منهم ما يجري من جميع ما يقولونه إلى الملك في كل يوم ، وعمل البيت ذي القباب النورية ، وأوقد فيها النار الدائمة تعظيما للنور .

والقبط تزعم أنه أول من عمل بيتا لتعظيم النار ، وقيل إن حمير^(١) الفارسي بنى بيتا للنار ، وهو أول من عمل ذلك للفرس اقتداء بسهلون الملك بمصر .

وكان السبب لعمل سهلون أنه رأى في منامه كأن أباه أناه ، فقال له انطلق إلى جبل كذا من جبال مصر ، فان فيه كوة من صفتها كذا ، فانك واجد على باب الكوة أفعى لها رأسان ، فانها إذا رأتك كثرت في وجهك ، فليكن معك طائران صغيران ذكر^(٢) وأنثى ، فاذا رأيت الأفعى فاذبح لها الطائرين وألقهما اليها فانها تأخذ برأسيهما، وتنحاش بهما إلى سرب قريب من الكوة فتدخل فإذا غابت عنك فادخل الكوة تنتهي في آخرها امرأة عظيمة من نور حار يابس، فسوف يسطع لك وجهها وتحمل بجرارتها ، فلا تدنو إليها فتحترق، وقف حذاءها ، وسلم عليها ، فانها تخاطبك ، واسكن الى خطابها ، وانظر ما تقوله لك فاعمل به فانك تتشرف به .

وهي حافظة كنوز جدك مصرام التي رفعها تحت مدائن المعجائب المعلقة وهي تدلك عليها ، وتنال مع ذلك شرفا وطاعة من قومك ورعيته ، ثم مضى وتركه .

(١) لعل الصواب جشيد . (٢) في ب : ذكرأ .

فانتبه سهلون، وجعل يتفكر فيما رأى وتعجب منه وعزم أن ينفذ ما أمره به، فمشى إلى الجبل وحمل الطائرين معه وامتلأ ما أمره به أبوه إلى أن وقف حذاء المرأة فسلم عليها ، فقالت له أتعرفني ؟ قال لا ، لأنني ما رأيته قبلي وقتي هذا ، قالت له : أنا صورة النار المعبودة في الأمم الخالية ، وقد أردت أن تحيي ذكري ، وتتخذ لي بيتا وتوقد لي فيه ناراً دائماً ، بقدر واحدة ، وتتخذ لي عيداً في كل سنة تحضره أنت وقومك ، فانك تتخذ بذلك عندي أنلك بها شرفاً الى شرفك ، وملكا إلى ملكك ، وامنع عنك وعن قومك من يطلبك ويعمل الحيلة عليك ، وأدلك على كنوز جددك مصرام .

فضمن لها أن يفعل ذلك فدلته على الكنوز التي كنزها جده تحت المدائن المعلقة وكيف يصير إليها ؛ وكيف يمتنع من الأرواح الموكلة بها وما ينبجيه منها .

فلما فرغ مما أراده من ذلك، قال لها فكيف لي بأن أراك في الأوقات التي أريد وأحتاج أن أسألك عما يطرأ من الأمور فأسير اليك ؟ قالت له اما هذا المكان فلا تقربه بعد وقتك هذا ، ولكن إذا احببت ان تراني فدخل في الوقت الذي علمته لك بكذا وكذا ، اشياء ذكرتها له : منها عظام ما يقربه من القرابين والذبائح ، وصمغ الأشجار . فاني اتخيل لك واخبرك بكل حق وباطل يكون في بلدك .

فلما سمع ذلك منها سر به سروراً عظيماً ، وغابت الصور ، وظهرت الافعى ، وخرج هاربا ، فلما نجا جعل على الكوة سداً ولم يؤخر ما فعلته به .

وأخرج كنوز جده وعمل بأمسوس وغيرها من المعجائب ما يطول به الذكر، فمنها القبة المركبة على سبعة أركان، في بعض مصاحف القبط أن هذه القبة يقال لها قبة القضاء .

وكان السبب في بنيانها أن بعض الكهنة جار في قضية قضاها ، وذلك أن بعض العامة أتاه يشكو امرأته ، ويذكر أنها تأباه وهو يحبها وتبغضه ، وسأل أن يقومها له بالأظهار ، وكانت المرأة من اهل بيت الكاهن ، فأما لها عن زوجها وأمره بتخليتها فلم يفعل ، وحبسه وشدد عليه ، وكان من اهل الصناعات . فاجتمع من اهل صناعته من كان قد عرف حاله ، وحال المرأة معه ، وأنها ظالمة له وهو لها منصف ، وعلموا ظلم الكاهن له ، فاستعدوا عليه عند خليفة الملك فأحضره وسأله عما ذكره فذكر أنه لم يحكم إلا بواجب . فأحضر بعض رؤساء الكهنة ، وأظهر القوم الذين شهدوا للرجل ، فوقف على ظلم الكاهن .

فأخرج الرجل من الحبس وحبس الكاهن مكانه ، وأمر بالمرأة أن تعاقب وترد عليه .

ورفع ذلك إلى الملك فأمر أن يخرج ذلك الكاهن من رسم الكهان ، وأن يحبس إلى أن يرى رأيه فيه ، واهتم الملك لذلك وخاف أن يجري من غير ذلك الكاهن مثل ما جرى منه ، وأن يكون ما قد أبرمه من امر المملكة واهلها لا يتحكم له حسباً أحب ، وبات مهموماً مفكراً .

فلما أصبح اصطبغ وتطيب وتكلم ودخن بالدخنة التي أمر بها فتجلت له تلك الصورة وخاطبته فسألها أن تعمل له عملاً يقف به على حقيقة الظلم وخفيه ، ويعرف المظلوم من الظالم .

فأمرته أن يبني بيتاً مركباً على سبعة أركان ، ويجعل له سبعة أبواب ، على كل ركن باباً ، ويعمل في وسطه قبة من صفر ، ويصور في أعلاها صور الكواكب السبعة .

ويعمل على الباب الاول من القبة مثال اسد رابض وحذاءه من الجانب

الآخر لبوة رابضة من صفر ويقرب لها جرر أسد ، ويبخرهما بشعره .
وعلى الباب الثاني، تمثال ثور وبقرة، ويذبح لهما عجلا، ويبخرهما بشعره
وعلى الباب الثالث صورة خنزير وأنتاء ، ويذبح لهما خنوصاً ، ويبخرهما
بشعره .

وعلى الباب الرابع صورة جمل وشاة ، ويذبح لهما سخلة ، ويبخرهما
بشعرها .

وعلى الباب الخامس صورة ثعلب وحدأة وأنتاء ، ويذبح لهما فرخ عقاب،
ويبخرهما بريشه ، ويلطخ وجوه جميعها بدم القربان ، ثم يحرق بقية القرايين
ويجعل رمادها تحت عتبة أبواب القبة، ويجعل لها سدنة يوقدون فيها المصابيح
ليلاً ونهاراً سبعة أيام .

فاذا فرغت من ذلك كله، فاجعل لكل مرتبة من تلك المراتب التي قسمتها
وجعلتها على سبع طبقات باباً من تلك الأبواب ، وليكن باب الاسد لاهل
المملكة وسائر الأبواب لسائر المراتب ، فانه إذا تقدم إلى شيء من تلك
الصور أهل الخصومات التصق الظالم بها ، وشدت الصورة عليه شداً عنيفاً
وآذته وآلمته حتى يخرج لخصمه من حقه ، الذكر للذكر ، والأنثى للأنثى ،
فتعرف بذلك الظالم من المظلوم .

ومن كان له قبل أحد حق ودعاه إلى بعض الصور فلم يجيء معه ، فأناها
المظلوم فعرّفها بذلك أقعد الظالم من رجله وخرس لسانه ، ولم يتحرك من
مكانه حتى ينصف صاحبه .

فلم يؤخر الملك عمل القبة على ما أمرت به وشرع فيها من حينه ، وأتمها
على ما أحسن ما يكون هيئة وصلاًحاً، واستراح من الاهتمام بأمور الناس ، فلم
يتظلم بعضهم من بعض .

وعلم أنه لا يجوز لبعضهم ظلم بعض ، مع تلك الصورة ، فلم تزل تلك الصورة باقية إلى أن أزالها الطوفان مع ما أزال من أعمالهم وعجائبهم .

وعملت في وقت سهلون أعمال كثيرة ، وكتب سيرته وما ابتدعه من العجائب في مصحف ، وعمل ادوية وعقاقير كثيرة وتماثيل متحركات .

وأمر أن يحمل ذلك كله مع المصحف الذي كتب فيه سيرته ومع كنوزه وذخائره إلى ناووسه الذي يحمل فيه إذا مات ، وهو قد عمله في الجانب الغربي ووضع فيه غرائب وحكمة ، فلما مات عمل فيه ذلك .

وملك بعد ابنه سوريد بن سهلون الملك ، وحزن عليه هو وأهل مملكته ورعيته ، حزناً عظيماً لم يحزن على ملك قبله ، وكان ملكه مائة وتسماً وتسعين سنة .

وأقام دولته ورعيته عند ناووسه شهراً ينوحون ويبكون ، وأقاموا في ناووسه خدمة يخدمون أموره وسدنة يحفظون ما يجب حفظه منه ، وجلس ابنه على سرير الملك ، واقتفى سيرة أبيه في العدل والصلاح وعمارة الأرض ؛ وسياسة الناس والانصاف بينهم ، والأخذ لهم من نفسه وأهل بيته .

وهو أول من جبن الخراج بمصر ، وألزم أهل الصناعات على أقدارهم ، وأول من أمر بالانفاق على المرضى والزمى من خزائنه وبني المنارات ، ونصب الأعلام والطلسمات والهيكل ، وحسن عمارتها على أحسن ما تقدم لسواه ، فأحبه الناس وحمدوا أمره ، وعمل مرآة من أخلاط كثيرة ، كان ينظر إليها فيرى الاقاليم ، وما أخصب منها وما أجذب ، وكلما يحدث فيها . وكانت على منارة من نحاس في وسط مدينة أمسوس .

وتقول القبط إنه عملها لمصر خاصة ، وكان يرى فيها جميع من يقصدها من

كل ناحية ، ويعلم بذلك جميع من يقصدها^(١) فكان يأخذ أهبتها لذلك ، وهو أول من عمل صحيفة في كل يوم يكتب فيها جميع ما يكون في يومه ، وما يعمل فيه ثم ترفع إليه وتودع في خزائنه يوما فيوما ، فإذا مضى الشهر نقلت صحائف أيامه إلى مصحف الملك وختم بخاتمه ، وخلد في خزائنه وما صلح منه أن يزره في الحجارة زبره .

وكذلك ما عمل من الصنائع وما أحدث منها ، وكان يعطي الرغائب على الصناعات العجيبة والحكم الغريبة .

وعمل وسط المدينة صورة امرأة جالسة في حجرها صبي كأنها ترضعه ، فكل امرأة أصابتها علة في جسمها مست من جسد تلك الصورة المثلة ، فيزول عنها ما تجده على ما كان .

وكذلك إن قل لبنها ، مسحت ثديها فكثير ، وكذلك إن أحببت أن تعطف عليها زوجها مسحت وجهها بدهن طيب ، وقالت لها افعلي كذا وكذا

وإن قلت حيضتها وفرقت منه مسحت تحت ركبها ، وإن أصاب ولدها شيء فعلت بالصبي كذلك فيبرأ ، وإن عسرت ولادتها مسحت رأسي الصبي سهل ، وكذلك البكر يسهل عليها افتضاضا ، وإذا وضعت الزانية يدها عليها ارتعدت حتى تكف عن فجورها ، وما كان من أعمال الليل يحدث ليلا ، وما كان من النهار يحدث نهارا ، وكانت تعمل أعمالا كثيرة إلى أن أزالها الطوفان .

وفي بعض كتب القبط أنها وجدت بعد الطوفان ، وأنهم استعملوها وعبدوها ، وصورتها في جميع برابي مصر مصورة برسمها ملونة ، والذي دلهم عليها كانوا

(١) هكذا في الأصول مع هذا التكرار .

قرايات فيلمون الكاهن ، ودلوهم على جميع اعمال مصر ، وسنذكر خبرهم في هذا الكتاب ان شاء الله تعالى .

وعمل ايضا سوريد في وقته غرائب كثيرة منها الصنم الذي يقال له بكوس المعمول من الأخلاط الكثيرة في الطب ، وكان يعمل اعمالا كثيرة في دفع الأسقام والعلل عن اهلها ، ويعرفون به من يبرأ منهم فيعالجونه فيعيش ، و [يعرفون من يموت] بعلامات تظهر منه ، فيقصدون عن علاجه ، وكان يزيل الارصاب بأن يغسل الموضع بأزاء أصحاب العلل منه ، ويسقى ذلك الماء الذي يغسل به لصاحب الداء فيزول عنه ، وكثير من هذه الأعمال .

وهو أول من عمل الابركات الايرونيات ، وزبر عليها جميع العلوم .

وهو الذي بنى الهرمين العظيمين المنسوبين الى شداد بن عاد ، والقبط تنكر أن تكون العادية دخلت بلدهم ، والعلاقة تقول سحرهم ومنعهم من ارادتهم بشر ما يريدونه بهم ، وبذلك يقول الحرايون ، وقد نقل ذلك أبو معشر في كتاب الألف .

وكان سبب بناء سوريد للهرمين انه رأى رؤيا أثبتتها في موضعها ، فأحضر كهنته ومنجميه ، وقص عليهم من نزول المرأة في صورة امرأة وانقلاب الأرض بأهلها ، وانكشاف الشمس بأسرها ، وهي الرؤيا بعد ، فأخبروه خبر الطوفان أنه يكون على الصورة التي كان ، وذلك مذكور في كتاب تاريخ يرويه المقربون عن آخرين من القبط وجد في بعض ذرارهم على صدر ميت ، وذكر أنها من ولد رجل من اهل مصر الأوائل ممن نجا من الطوفان وركب مع نوح عليه السلام في السفينة ، وكان ممن آمن به وحمل ابنه وقيل بن مصرام بن حام وكان أبداع الناس فيها في العلوم .

وكان في الكتاب أن الملك سوريد بنى في الصعيد ثلاث مدائن وعمل فيها

عجائب كثيرة ، وسنذكر شيئاً من أخبار هذين الآخرين إن شاء الله تعالى .

وكان في الكتاب أن الملك سوريد بن سهلون ملك مصر لما رأى في منامه ما رأى ، أخبر فيلمون رأس الكهنة بما رآه من الأمور ؛ أمرهم أن ينظروا فيما تدل عليه الكواكب من أحداث في العالم ، فتصيب أكثره ، فأقاموا لها في وقت مسألته أيام مسألة امعنوا فيها النظر ، فدلّت على آية تنزل من السماء ، وتخرج من الأرض فتعم أكثر الأرض ، وهو طوفان عظيم لا يبقى به شيء .

قل فانظروا هل ينجز ذلك ويعود أم يبقى هو معمولاً دائماً ؟ فنظروا فظهر أنه يعود العمران والملك ، وكل شيء كما كان وعرفوه بذلك ، فأمر حينئذ ببناء برّبي وأعلام عظام له ولأهل بيته ، تحفظ أجسادهم ، وما أودعوه بها من أموالهم وزبروا فيها وفي سقوفها وفي حيطانها واسطواناتها ، جميع العلوم الغامضة ، التي يدعيها أهل مصر بين جميع الأمم ، وصور فيها صور الكواكب العظام منها وصور الصغار منها ، ورسم ذلك بعلامات تعلم بها .

وزبر فيها أسماء العقاقير ومنافعها ، وعمل الطلسمات وأشكالها ، وعلم الحساب والهندسة ، وغير ذلك مما ينتفع به مزبوراً ومفسراً لمن عرف كتابهم ولقّتهم .

وقالوا إن هذه نازلة وكائنة إذا كانت تكون من جميع أقطار العالم إلا اليسير منه ، وذلك كائن إذا نزل قلب الأسد بأول دقيقة من رأس السرطان وتكون الكواكب عند ذلك في هذه المواضع من الفلك يكون القمر مع الشمس في أول دقيقة من الحمل ، وراوس وهو المشتري في سبع وعشرين درجة من الحوت والمريخ في ثمان وعشرين درجة وخمس دقائق من الحوت ، وأفرديون وهو الزهرة في سبع وعشرين درجة وثلاث دقائق من الحوت ،

وهرمس وهو عطارد في سبع وعشرين دقيقة من الحوت ، وزحل والجوزاء في الميزان وأوج القمر في الأسد على خمس درجات ودقائق .

فلما عملوا ذلك وتحققوه قال انظروا أيضاً هل يكون بعد هذه الآفة آفة أخرى تنزل من السماء الى الأرض تكون ضد الأخرى التي تنزل أولاً . وهي النار التي تحرق أقطار العالم ، فعرفوه فقال انظروا متى يكون الكون الآخر وهو المضمر ؟ فنظروا فرجدوا أنه يكون إذ نزل قلب الأسد في آخر دقيقة من الدرجة الخامسة عشرة من الأسد فتكون الشمس معه في دقيقة واحدة متصلة بزحل تثليث الرأس ، ويكون المشتري في الأسد غير مستقيم السير ، وعطارد معه في دقيقة ، ويكون القمر في الدلو متصلاً بالذنب في اثني عشر جزءاً ، وتكون الزهرة في بعدها الأبعد مستقيمة السير ويكون المريخ في الأسد مستقيم السير ، ويكون في ذلك الشمس تنطبق منه [على] الأرض [انطباقاً] لم يعهد مثله .

فعرفوا الملك بما ظهر لهم من ذلك ، وقالوا إن قلب الأسد إذا قطع ثلاثة أدوار لم يبق من حيوان الأرض شيء متحرك إلا تلف وهلك وإذا استتم أدواره تحللت أمر الفلك ، فأمر الملك بقطع الاساطين العظام وبشر البلاطات الهائلة واستخراج الرصاص من أرض المغرب ، وإحذار الصخور من ناحية اسوان وكانت سوداء عظاما تساق في العجل ، فجعل منها أساس الاهرام الثلاثة الشرقي والغربي والملون وجميعه من الحجر الملون الأسود والأبيض .

وقيل كانت لهم صحائف من خواص اشياء وعليها كتابات ، فاذا قطع الحجر وتم احكامه وضعوا عليه تلك الاشياء وضربوه فيندو بتلك الضربة ما يغيب به عنهم ثم يعاودون ذلك حتى يصل .

فوضعت أساس الاهرام بالدهشور منها الهرم الشرقي والهرم الغربي والهرم الملون .

وكانوا يمدون البلاطة ويعملون في وسطها قضيب حديد قائم ، ثم يركبون عليها بلاطة اخرى مثقوبة الوسط ، فيدخل ذلك في ذلك الثقب ، ثم يذاب الرصاص ويصب حول البلاطة وفي الثقب بهندمة واتقان بعد تأليف ما فيها من النقوش والكتابة والصور ، حتى بلغوها من ذلك الى ما يحار فيه الوهم ، وجعل ابوابها تحت الأرض بأربعين ذراعا في آراج مبنية بالرصاص والحجارة ، طول كل أزج منها مائة وخمسون ذراعا .

فأما باب الهرم الشرقي ، فإنه من الناحية الشرقية على مقدار مائة ذراع من وسط حائط الهرم .

وأما باب الهرم الغربي فمن الناحية الغربية ، وهو ايضا على قياس مائة ذراع من وسط الحائط ، حتى تنزل الى باب الأزج المبني فتدخل منه .

وأما باب الهرم الملون بلونين من الحجارة فمن الناحية الجنوبية يقاس أيضاً من وسط الحائط الجنوبي مائة ذراع ، ويحفّر حتى يوصل الى باب الأزج والمبني له ، ويدخل منه إلى باب الهرم ، وجعل طول كل واحد منها في الهوى مائة ذراع بالذراع الملكي ، وهو خمسمائة ذراع عندنا بذراعنا اليوم ، وجعل ضلع كل واحد من جهاته مائة ذراع ورفعها في الاستواء حتى بلغ أربعين ذراعا فوق الأرض ، ثم هندمها من كل جانب حتى تحدت أعاليها عند آخر طولها .

وكان ابتداءهم لبنائها في وقت سعد اجتمعوا عليه وتخبروه ، فلما فرغ منها كساها ديباجاً ملوناً من فوقها إلى أسفلها ، وعمل لها عيداً لم يبق في المملكة أحد إلا حضره .

ثم أمر بعمل ثلاثين مخزناً بنيت من حجارة صوان ملونة في الهرم الغربي، وملئت بآلات الزبرجد والتماثيل المعمولة من الجواهر الغالية ، والطلسمات الغربية ، وآلات الحديد الفاخر والسلاح الذي لا يصدأ ، والزجاج الذي يطوى فينطوي ولا ينكسر ، وأصناف العقاقير المفردات والمؤلفات ، والسوم القاتلات وغير ذلك مما يطول وصفه ، ولا يدرك عده .

ونقل إلى الهرم الآخر وهو الشرقي أصنام الكواكب والقباب الفلكية ، وما عمل أجداده من التماثيل والدخن الذي يتقرب بها إليها ومصاحفها ، وما عمل لها من التواريخ والحوادث التي مضت والأوقات التي تحدث منها ما ينتظر ، وذكر من يلي مصر إلى آخر الزمان ، وكوت أدوار الكواكب الثابتة وما يحدث في دورانها وقتاً وقتاً ، وجعل فيها المطاهر التي فيها المياه المدبرات وما أشبه ذلك من هذه الأشياء .

وجعل في الهرم أجساد الكهنة في توايت صوان أسود ، ومع كل كاهن مصحف فيه عجائب صنعته وعمله وسيرته وما عمل في وقته .

وكانوا على مراتب المرتبة الأولى القاطرون ^(١) وهم الذين تعبدوا للكواكب السبعة لكل كوكب سبع سنين ، ومعنى القاطر عندهم جامع العلم .

والمرتبة الثانية لمن تعبد لستة وله أيضاً اسم ، والمرتبة الثالثة لمن تعبد لخمس ، والمرتبة الرابعة لمن تعبد لأربعة ، والمرتبة الخامسة لمن تعبد لثلاثة ، والمرتبة السادسة لمن تعبد لاثنتين والمرتبة السابعة لمن تعبد لواحد ^(٢) ولكل واحد من أصحاب المراتب السبعة اسم يعرف به .

وجعل في جهة من الهرم مرتبة من هذه المراتب في توايتهم ، وجعل مع

(١) في ب : الناظرون . وقد مضى أن الصواب القاطر بالقاف والطاء .

(٢) تقدم أن الذي يتعبد لكوكب واحد كان يسمى ماهراً .

أجسادهم مصاحفهم كتبوها في ورق الذهب ، ذكروا فيها جميع ما كان وما يكون وما قد عملوه من العجائب ، وجعل في الحيطان من كل جانب كما تدور أصناماً تعمل بأيديها جميع الصناعات ، على مراتبها وأقدارها وصفة كل صنعة وعلاجها ، وما يصلح لها .

وكتب مزبوراً على الصور جميع علاجات الأشياء كلها ، وعلم النواميس ، وعلم كل علم ثم جعل فيها أموال الكواكب التي أهديت إليها ، وأموال الكهنة وقدر ذلك لا يحصى عدداً ولا وزناً .

وجعل لكل هرم منها خزاناً ، فصاحب الهرم الشرقي صنم مجزع من جزع أسود وأبيض له عيان مفتوحتان براقتان ، وهو جالس على كرسي ، ومعه شبه الحربة إذا نظر إليه ناظر سمع من جهته صوت يكاد ينزع قلبه فيهم على وجهه ويختلس عقله ، ولا يكاد يفارقه الهرم حتى يموت منه .

وجعل خازن الهرم الغربي صنماً من حجر صوان مجزعا واقفاً معه شبه الحربة على رأسه حية مطوقة ، من قرب منه وثبت إليه من ناحية قصده ، فتطوقت على عنقه فقتلته ثم عادت إلى رأس الصنم .

وجعل خازن الهرم الملون صنماً صغيراً من حجر البهت على قاعدة منه قائماً ، من نظر إليه اجتذبه الصنم حتى يلصق به ، فلا يفارقه حتى يموت . فلما فرغ من ذلك ضمدها بالأرواح الروحانية ، وذبح لها الذبائح لتمنع من أنفسها من أراد الوصول إليها ، إلا من قرب لها وعمل لها بأعمال الوصول . وذكرت القبط أن عليها كتاباً منقوشاً تفسيره بالعربية « أنا سوريد الملك الملك ، بنيت هذه الأهرام في وقت كذا من الزمان ، وأتممت بنائها في ست سنين ، فمن أتى بعدي ، وزعم أنه ملك مثلي فليهدمها في ستين سنة ، وقد علم أن الهدم أيسر من البناء ، وإني قد كسوتها بالديباج فليكسها من أتى بعدي حصيراً ! »

فوجدوا أنه لا يقوم بهدمها شيء في الأزمان الطوال ، وأن كسوتها أيضاً بالديباج مما يشق على الملك ، ويتعذر إلا بفساد عظيم ، وبما لم يكن [فيه] صلاح .

فمنها أن الرشيد لما دخل مصر ، فرأى الاهرام أحب أن يهدم بعضها ليعلم ما فيه ، فقليل له إنك لا تقدر على ذلك ، فقال لا بد من فتح شيء منه ففتحت الثمة المفتوحة بنار توقد واخل يرش وبجانيق يرمى بها وحدادين يعملون ما فسد منها وأنفق عليها مالاً عظيماً فوجدوا عرض الحائط قريباً من عشرين ذراعاً ، فلما انتهوا إلى آخر الحائط وجدوا خلف النقب مطهرة خضراء فيها ذهب مضروب وزن كل دينار أوقية من أواقينا ، وكان عددها ألف دينار فعجبوا من ذلك ولم يعرفوا معناه ، فأخبروا بذلك الرشيد ، وأتوه بالذهب والمطهرة فجعل يعجب من ذلك الذهب ، ومن جودته وحسنه وحرته ، ثم قال ارفعوا إلى حساب ما أنفقتموه على هذه الثمة ففعل ذلك فوجدوه بأزاء ذلك الذهب الذي أصابوه لا يزيد ولا ينقص ، فعجب من معرفتهم بذلك على طول المدة ، وأنهم يستفتحونه من ذلك الموضع بعينه وعجب من معرفتهم بقدر ما ينفق عليه ، ومن تركهم ما يوازي في الموضع ، عجباً شديداً كأن هؤلاء القوم من العلوم منزلة لا نوازيها ولا ندرکہا نحن ولا أمثالنا .

وقيل ان المطهرة التي وجد فيها المال كانت من زبرجد ، فأمر بجعلها إلى خزانته وكانت أحد ما حمله من عجائب مصر .

ومن عجائبها وما يستغرب منها أن الرشيد لما فتح تلك الثمة من الهرم أقام الناس سنين يقصدونه ويدخلونه ، وينزلون فيه من الزلاقة التي فيه ، فمنهم من يسلم ، ومنهم من يهلك ، وأن جماعة من الأحداث اتفقوا وكانوا عشرين

رجلاً على أن يدخلوا الهرم ، ولا يبرحوا منه إلى أن يصلوا إلى منتهى آخره أو يموتوا عن آخرهم فيه .

فأخذوا معهم من الطعام والشراب ما يكفيهم لشهرين ، وأخذوا الأكل والوقيد والشمع والحبال والفؤوس ، وما احتاجوه من الآلات والحديد للحفر ، دخلوا الهرم ونزل أكثرهم في الزلافة الأولى والثانية ، ومضوا يمشون في أرض الهرم ، فرأوا خفافيش على قدر العقبان تضرب وجوهمهم ، وانتهوا إلى ثقب تخرج منه ريح باردة ولا تفتت ، فذهبوا ليدخلوه فانطفأت مسارجهم ، فذهبوا ليدخلوه فاذا الثقب على قاعة كبيرة فارغة ، فعملوا أن أجساد موتاهم في ذلك الموضع ، وأن معها كنوزهم وأموالهم ، فراموا أن ينزلوه فلم يستطيعوا على ذلك .

فقال أحدهم : شدوني بالحبال ، وانزلوني في هذا الثقب حتى أصل إلى قعر هذه القاعة ، ولعلي أعلم منها بعض ما تريدون ، ففعل القوم بصاحبهم ذلك ، وشدوا الحبال في وسطه وتعجم الثقب فأبطأ فيه ، وهم يسكرون الحبال حتى انطبق الثقب عليه ، فجذبه أصحابه يجهدهم وقوتهم فلم يقدرُوا على نزعه وسمعوا عظامه تتكسر وسمعوا صيحة هائلة سقطوا منها على وجوههم لا يعقلون ، فقاموا وطلبوا الخروج ، وضاق بهم الأمر وصعدوا فسقط بعضهم من الزلافة عند صعودهم ؛ فترك وهلك .

وخرج من بقي منهم من جميع الهرم ، وجلسوا في صيحة متعجبين ، فبينما هم كذلك إذ أخرجت لهم الأرض صاحبهم من بين أيديهم حياً يتكلم بكلام كاهني لم يفهموا معناه ، فسرهم لهم بعض أصحاب الدرايات بالصعيد بأنه « هذا جزاء من طلب ما ليس له » ثم سقط ميتاً فحملوه ، وفطن بهم فأخذوا وحملوا إلى الوالي ، فحدثوا عن أنفسهم ذلك .

وفي حديث آخر أن قوماً دخلوا الهرم وانتهوا إلى أسفله وطافوه فعرض لهم مثل الطريق ، فساروا فيه فوجدوا كالمطهرة يقطر منها ماء يسير ثم يفيض فلم يدروا ما هو ، ثم وجدوا موضعاً كالمجلس المربع حيطانه من حجارة مربعة ملونة عجيبة صغار في نهاية من الحسن ، فقلع أحدهم منها حجراً وجعله في فيه .

فانسدت أذنه من الريح ، ولم يزل يتصبر وهو معهم حتى دخلوا مكاناً فيه كالقوارة العظيمة فيها ذهب مضروب كثير ، أعمدته كلها في غاية من الاتقان زنة كل واحد منها الف دينار ، فأخذوا منها واحداً ، فلم يقدروا أن يتحركوا ، ولا أن يشوا حتى تركوه من أيديهم ، ولم يصلوا منه إلى شيء .

ووجدوا في مكان آخر كالصفة فيها صورة شيخ من صنم أخضر ، مشتملة ، وبين يديه تماثيل صغار في صورة الصبيان وكأنه يعلمهم ، فأخذوا منها واحداً فلم يقدروا أن يتحركوا .

وساروا أيضاً في تلك الطريق ، فوجدوا بيتاً مسدوداً فيه دوي هائل وزمزمة ، فلم يتعرضوا له ، ومضوا فوجدوا مثل المجلس المربع فيه صورة ديك من جواهر قائم على اسطوانة خضراء ، وله عيان يسرج المجلس منها ، فلما دنوا منه صوت بصوت مفزع ، وخفق بجناحيه ، فتركوه ومضوا حتى وصلوا إلى صنم من حجر أبيض في صورة امرأة منكسة الرأس ، وعن جانبيها أسدان من حجارة كأنهما يريدان أن يلتقيهما ، فجعلوا يتعوذون ويقرأون إلى أن تجاوزوها ، وساروا إلى أن لاح لهم نور ساطع ، فاتبعوه فإذا هم بهوة مفتوحة ، فخرجوا منها ، فإذا هم في الصحراء .

وإذا على باب الهوة تماثلاً [ن] من حجر أسود معها كالمزراقين ، فمجبوا

من ذلك ووجدوا شبه الطريق فساروا عليه يوماً كاملاً إلى أن وصلوا إلى الأهرام من خارج .

وكان ذلك في زمان يزيد بن عبد الله والي مصر فأخبروه بذلك فاستعد ووجه معهم من يدخل الهوة فأطافوا أياماً فلم يجدوها ، وأشكل عليهم أمرها ، ولم يكن لهم إليها سبيل ولا وجدوا فيها حيلة ، والذي أخرج ذلك وحده جوهرة نفيسة باعها بمال خطير .

وذكر أن قوماً في وقت أحمد بن طولون دخلوا الهرم فوجدوا في طاق من أحد بيوته أشنانة زجاج فأخذوها وخرجوا بها فافتقدوا رجلاً منهم فدخلوا في طلبه إذ خرج عليهم عرياناً يضحك ويقول « لا تتبعوا في طلبي » ورجع هارباً إلى داخل الهرم ، فعلموا أن الجن قد استهوته وشاع أمرهم .

وقيل إن أحدهم سعى بهم فأخذ الاشنانة منهم ، ومنع الناس من دخول الهرم ، وأنهم وزنوا ذلك الأشنان فوجدوا فيه سبعة أرطال من زجاج أبيض صاف ، فانتبه رجل من أهل المعرفة ، وقال لم تتخذ الملوك هذه لباطل وما عملت إلا لشيء ، ثم ملأ الأشنان بالماء ثم وزنه فوجده ملاءً مثل وزنه فارغاً لا ينقص ولا يزيد .

وحكي أن قوماً دخلوا الهرم ومعه غلام يعبثون به ، فخرج عليهم غلام أسود في يده عصي ، فأخذ يضربهم ضرباً جليماً فخرجوا هاربين وتركوا طعامهم وشرابهم وبعض ثيابهم ، وقد أصاب قوم في برأ اخيم مثل ذلك .

وحكي أن رجلاً وامرأة دخلا للفجور فصرعا جميعاً فلم يزالا مصحوبين مشهورين إلى أن ماتا .

وفي بعض مصاحف القبط أن سوريد الملك لما أخبره كهنته بنحبر النار المحرقة ، التي تخرج من برج الأسد فتحرق العالم فعمل في الأهرام مسارب

يدخل منها النيل الى مكان يعنيه ثم يفيض الى موضع من أرض العرب وأرض الصعيد ، وملأ تلك عجائب وطلسمات وأصناماً تنطق .

وحكى بعض القبط أن سوريدي الملك لما أخبره منجموه بما أخبروه قال انظروا بلدنا هذا هل تلحقه آفة ؟ فنظروا وقالوا يلحقه طوفان يأتي على أكثره ، ويلحقه خراب يقيم فيه عدة سنين ، ثم يغلب عليها العمران .

قال وكيف يكون خرابها ؟ قال يقصدها ملك يقتل أهلها ويغني مالها ، قال ثم ماذا ؟ قالوا يكون عمارتها [على يد] من قتله قال ثم ماذا ؟ قالوا يقصدها قوم مشوهون من ناحية النيل فيملكون أكثرها قال ثم ماذا ؟ قالوا انقطع نيلها وتخلو من أهلها ، فأمر أن يكتب ذلك ويزبر على الاهرام والاسطوانات والحجارة العظيمة .

وذكر رجل من أهل المغرب من يختلف الى الواحات ، ويحمل الاسماك إلى الواحات على جمل له أنه بات قرب الهرم ، فما زال يسمع الضوضاء والغفظة فهاله ذلك ، وتباعد عن الهرم يحمله ذلك ، فكان يرى حول الهرم شبه النيران تتألق ، فلم يزل مذعوراً إلى أن غلبته عيناه فنام ، فلما أصبح في الموضع الذي فيه السمك رأى سماكاً آخر بجياله موضوعاً فعجب من ذلك وشد سمكه على جملة وكر راجعاً إلى القسطاط ، وحلف أن لا يقرب من الهرم بعد ذلك .

وأما البرابي فلها أخبار يطول ذكرها وشرحها ، وتحكي القبط في أمور الروحانيين الغالبين على الاهرام والبرابي .

فذكروا أن روحاني الهرم الجنوبي في صورة امرأة عريانة مكشوفة الفرج حسناء لها ذؤابتان فإذا أردت أن تستهوي الانسان ضحكت في وجهه واجتلبته الى نفسها فيدنو اليها فلتهويه ويزول عقله ويهيم .

وقد رأى جماعة هذه المرأة تدور حول الهرم وقت القائلة ، وعند غروب الشمس .

وروحاني الهرم الآخر غلام أمرد أصفر عريان له ذؤابتان ، وقد رأوه أيضاً [بعد المغرب] ^(١) مراراً يطوف حوله .

وروحاني الهرم المنون في صورة شيخ نوتي عليه قرطلة ^(٢) ، وفي يديه بحر من مجامر الطاس وهو يبخره وكذلك في جميع الأبرونيات .

وأما بربا أخميم فمعروف عند أهلها ان روحانيها غلام أسود عريان .
وروحاني بربا سميرا هو في صورة شيخ آدم طوال أشيب صغير اللحية .
وأما بربا فقط فروحانيته في صورة جارية سوداء ، تحمل صبياً أسود صغيراً .

وأما بربا دنونية فروحانيته في صورة إنسان رأسه رأس أسد وله قرنان .
وأما بربا بوصير فهو في صورة شيخ أبيض عليه زي الرهبان ، ومعه مصحف يحمله . .

وأما بربا عدنا فروحانيته في صورة راع عليه كساء ومعه عصا .
ولأهرام دهشور روحانيون يراهم من قرب منها من نواحيها ، على طول الأيام ، ولكلها قرابين وبخوز يظهر بها كنوزها ، وتؤلف بين الناس وبين الروحانيين الذين بها .

فأقام سوريد مائة سنة وسبع سنين ، وقد كان كهانه عرفوه الوقت الذي يموت فيه ، فأوصى إلى ابنه هوجيف ^(٣) وعرفه بما احتاج إليه وأمره أن يدخل جسده الهرم ويعمله في الجرن الذي قد اعدده لنفسه ويفشيه بكافور ، ويحمل معه ما اعد من فاخر المتاع ومن السلاح والآلات ، فامتثل هوجيف ^(٤) جميع ما أمره به .

(١) عن ق . (٢) هكذا في الأصول . (٣) ٤١٣ في ق : هرجيب .

وتولى أمر الملك بعده ابنه هوجيت الملك فسار سيرة أبيه في العماره والعدل والرفقه والرافة بالناس فأحبوه .

وبنى الهرم الأول من أهرام دهشور ، وحمل إليه كثيرأ من الأموال والجوهر ، وكان غرضه جمع المال وعمل الكيمياء وإخراج المعادن ودفن كل ما تهيأ له من الكنوز في كل سنة .

وكانت له قصة مع بعض جواريه^(١) فنفاها إلى ناحية الغرب ، وأمر فبنيت لها هناك مدينة وأمر أن يقام فيها علم ويزبر عليها اسمها وقصتها ، وأسكن معها كل امرأة مسنة من أهل بيته .
وشج في أيامه رجل رجلاً فأمر بقطع أصابعه ، وسرق سارق مالاً لرجل فملك رقه للذي سرق منه .

وعمل منارات ومصانع وطلسمات ، وملكهم تسعاً وتسعين سنة ومات .
وملك عليهم ابنه مناوس الملك ، وكان جباراً عظيماً وعذاباً أليماً^(٢) فأذى الناس ، وسفك الدماء ، واغتصب النساء ، واستخرج كنوز بابل ، وبني قصوراً بذهب وفضة ، وفجر فيها الانهار ، وجعل حباءها من صنوف الجواهر وتمخرق في الهبات على غير ما يجب ، وأغفل العمارات .
وأباح أصحابه غصب نساء العامة ، وكان هو يفتض النساء قبل أزواجهن ، وأطاف به أهل الشر من كل ناحية ، فأبغضه الناس وكرهوا أيامه .

وامتنع عليه قوم في شيء أمرهم به فأحرقهم بالنار ، وسلط رجلاً من الجبارين يقال له قرناس من ولد إدريس بن آدم على محاربة الامم القريبة في الماء فقتل منهم عالماً كثيراً وحده .

(١) في ق : وكانت له بنت أفست مع بعض خدامه فنفاها .

(٢) في ق : وكان جباراً أليماً ، شيطاناً رجياً .

وكان أشجع أهل زمانه ، ثم هلك فاغتتم عليه الملك ، وأسر أن يدفن مع الملوك في الهرم ، ويقال بل عمل له وأقام عنده أعلاماً ، وزبر عليه اسمه وما عمل في وقته من الحروب .

وأقام مناوس ملكاً ثلاثاً وسبعين سنة ، ومات وجعل في الهرم مع أجداده في حوض من صوان أبيض مصفح بالذهب والجوهر ، وجعل معه كثير ^(١) من ذخائره وأمواله وعجائبه .

وملك عليهم ابنه افراوس ^(٢) الملك ، وكان عالماً محنكاً فخالف أباه في فعله ، وعدل في الناس ورد النساء اللاتي غصبن أبوه إلى أزواجهن .

وعمل في وقته قبة طولها خمسون ذراعاً وعرضها مائة ذراع ، وركب في جوانبها أطياراً تصفر بأصناف الأصوات المطربة لا تقتر ، وعمل في وسط المدينة مناراً من صفر عليه صورة رأس إنسان من صفر كلما مضت ساعة من الليل والنهار صاح ذلك الرأس فيعلم بصياحه دخول ساعة ويعرف من كل سمعه عدة الساعات .

وجعل مناراً آخر وجعل فيه قبة من صفر مذهب ولطخه بلطوخات ، فاذا غربت الشمس اشتعلت تلك القبة نوراً فيضيء لها كثيراً من المدينة مشبهاً بالنار لا تطفئها الرياح ، ولا الأمطار ، فاذا كانت النهار قل ضوءها لنور الشمس .

ويقال إنه أمدى إلى الدر مشيل الملك ببابل مدهنة من زبرجد قدر خمسة أشبار ، وكان استهداه ذلك ليجمعها في بيت القربان .

ويقال أنها وجدت بعد الطوفان ، ويقال إنه عمل في الجبل الشرقي صنماً عظيماً قائماً على قاعدة مصبوغاً بلطوخ أصفر بموه بالذهب وجهه إلى الشمس

(١) في ب : كثيراً . (٢) في ق : أقروش .

يدور معها الى ان تغرب في الغرب ثم يدور ليلاً حتى يحاذي الشمس مع الصبح .

ويقال إن أفروسا كان يطلب الولد في وقته فنكح ثلاثاً امرأة يبتغي أن يولد له منهن فلم يكن ذلك .

ويقال إن في وقته عقلت أرحام النساء والبهائم ، ووقع الموت لما كانت الله عز وجل قدره من هلاك العالم بالطوفان .

وقيل إن الأسد كثرت في وقته حتى كادت ان تدخل البيوت ، فاحتالوا لها بالطلسمات المانعة والحيل المضرة بها ، وكانت تغيب شيئاً وتعود ، فرفعوا ذلك الى الملك وقالوا هذه علامة مكروهة ، فأمر أن يعمل لها أخاديد وتملاً ناراً وجلبوا اليها الأسد بالدخن التي تجذب روحانيتها اليها ، وألقوها على النيران فاحترقت .

وبنى في وقته مدائن في ناحية الغرب تلفت في الطوفان مع أكثر مدنها ، وارتفعت الأمطار عنهم ، وقل الماء في النيل فأجدبوا وهلكت الزروع بالحر والريح الحارة وغير ذلك ، فأضر ذلك بهم فاحتالوا لدفع النار بطلسماتهم ، وكانت تذهب ثم تعود .

وقيل ان الذي فعل ذلك بهم ساحر من سحرتهم كان مناوس قد غضب امرأته فأعمل الحيلة قليلاً قليلاً في افساد طلسماتهم ، لأن لكل طلسم شيئاً يقوي روحانيته وشيئاً آخر يفسدها .

ولهذه العلة دخل بخت نصر الفارسي مصر ، وكانت ممتعة من جميع الملوك فلما أفسد الساحر طلسماتهم سلط عليهم تلك الآفات وأفسد طلسم التماسيح فهاجت عليهم ومنمتهم الماء ، وعذبتهم عذاباً كثيراً الى أن فطنوا به من قبيل تلاميذه .

وذلك أن بعض تلاميذه لأمه على ما يفعل من المصرة بقومه ، فانتهره ونفخ في وجهه ، فأظلم عليه بصره فرفع التلميذ أمره الى وزير الملك ، فعرف الوزير الملك بالأمر ، فأمر الملك بادخال التلميذ اليه ، فدخل وعرفه بصورة الحال ، فأنفذ الملك الى الساحر جيشاً ليأتوه به ، فلما نظر الساحر الى القوم مقبلين اليه دخن بدخنة أغشت أبصارهم ، وارتفعت منها عجاجة صارت ناراً مضرمة حالت بينهم وبين الساحر ، فهاهم أمره وخافوا على أنفسهم منه فرجعوا الى ملكهم ، وعرفوه بما جرى ، فأمر الملك باحضار جميع السحرة .

وكان رسم السحرة عندهم أن يعاهدوا ملوكهم على أن يكونوا أبداً معهم ولا يخالفوهم ولا يقصدوهم بمكروه ولا يبنونهم الغوائل ، فمن فعل ذلك منهم سلب منزلته وما يملكه ، وكان للملك أن يسفك دمه ودم أهل بيته ، وكانوا مع الملوك على هذه الحالة ، وكانوا مع ذلك يوفون بعهدهم ولا ينقضون شيئاً من عهدهم .

فلما اجتمع السحرة عند الملك أخبرهم سحر الساحر ، وكان يقال له أجناس وما فعله من الفساد ونقضه للعهد ، وقال لهم إن لم تحضروه أهلكم جميعكم ، فسألوه النظر في الأمر ، فأخذ أولادهم ونساءهم رهائن بذلك وأنظرهم .

فلما خرجوا من عنده تكلموا بينهم وقالوا إنكم تعلمون كثرة علم أجناس وشدة سحره ، وإنا ما لنا به طاقة ، ومناوس الملك هو الذي نقض عهده ، وتعدى عليه وغصبه امرأته ، فينبغي لنا أن نخلص أنفسنا منه ، فأجمعوا أمرهم على أن ينصرفوا إلى الملك واستأذنوه في الذهاب إليه ومداراته وتوبيخه والرفق به حتى يأتوا به الملك بأمان يأخذونه له منه ، فيجدد العهد بينه وبين الملك ، ففعلوا ذلك وأجابهم الملك إلى ما سألوه من ذلك ، ثم مضوا إلى أجناس ولطفوا به ، وقالوا له إنا ما نجعل حقك وعظم أمرك وإنا بقدرك

وكثرة علمك عارفون ، ولم يكن في قدر الجناية التي جنت عليك قدر ما فعلته من الأضرار بأهل بلدك الذي أنت منهم ، ولا في الواجب أن تهلك عالماً كثيراً من الناس لجناية جناها عليك مناوس ، ولا يجب على ملكنا وملك اليوم الذي عهده لازم لنا ولك من فعل أبيه بك وبسواك عقوبة .

ولسنا نأمن أن تسلب علمك وتصير إلى أقبح عملك ، فتهلك مذبذباً وتضحي غير مفقود ، فلم يزالوا به حتى أجابهم إلى ما أرادوه ، وكتبوا بذلك إلى الملك فكتب له أماناً وجدد له عهداً ورجع إلى ما كان من طاعة الملك وحسن رأيه فيه .

وردت إليه امرأته فأكرمها وردّها إلى قصر الملك وعرفهم أنه لا يرى في دينه أن يلامس امرأة لامسها الملك على حال من الأحوال ، لما كانوا يرفعون من طاعة الملوك ويعظمون من حقوقهم ، فسر الناس بذلك وعجبوا من عقله وحكمه وصلح الملك والناس وعمل لهم أجناس هذا عجائب وطلسمات كثيرة .

وملكهم افرأوس أربعاً وستين سنة ، وهلك وليس له ولد ولا أخ ، فدفن في الهرم وجعلت معه أمواله وذخائره وجوهره والصنائع التي عملت في وقته .

واجتمع الناس على تمليك رجل من أهل المملكة يقال له ارمافيوس^(١) فلما ملك أمر يجمع الناس إليه ، فلما اجتمعوا بين يديه قال لهم : إني أرى من حولكم من الأمم مسارعة إليكم وغالبة على عداوتكم وأنا مانع بلدكم منهم وحام دياركم ودماءكم وقد تطرفت نواحيكم ويوشك أن تسير إليكم وأنا أريد

(١) في ق : أرماليئوس .

منهم بمدرهم وأقصدهم في بلادهم ونحويلكم إياهم ، فأحتاج إلى معرفة حكمائكم بالأعمال الهائلة والتأثيل العجيبة فشكروه ودعوا له بالتوفيق والسعادة الكاملة .

وقالت الحكماء : نحن نخرج مع الملك ونبلغه محابه فيما يريد من أعدائه ، ونحن نخدم الجيش مكانه ، ونبذل أنفسنا دونه ، فشرع في ذلك .

وخرج في جيش عظيم ، وحارب تلك الأمم ، فنكاهم نكايه شديدة ، ورجع غانماً ، وخلف في وجوها جيشاً ، فتألفت تلك الأمم على ذلك الجيش من كل جانب فهزمته ، ورجع أصحابه مغلوبين فغاضه ذلك .

وقد كان أصابته علة في سفره من تغير الأهوية وتبديل الماء ، فأنفذ ابن عم له يقال له فرعان بن ميسون ، وكان أحد الجبابرة الذين لا يطاقون وهو أول فرعون تسمى بهذا الاسم ، وتسمى به بعده من تشبه به .

وقال أصحاب التاريخ من أهل مصر ، إن أول من تسمى بفرعون غلام الوليد ابن دمع العماليقي ، يقال له فرعون كان قد هرب من مولاه لما رجع من طلب النيل ، وبني المدينة التي يقال لها مدينة العقاب وتحصن بها ، فقبل له فرعون وسنذكر خبره في موضعه .

فأنفذ الملك ابن عمه فرعان في جيش عظيم ، فأجلى تلك الأمم ونفاهها إلى أطراف البحر وكر راجعاً ومعه رهوس كثيرة وخلق كثير أسارى .

فأمر الملك بنصب الرهوس حول المدينة ، وقتل من صلح للقتل ، وكان فيهم كاهن منهم فأمر أن ينشر بمنشار ، وهو أول من فعل ذلك .

وأعظم الملك ابن عمه فرعان وأكرمه وألبسه حلالاً منظومة بالجوهر ، وأمر أن يطاف به ويذكر فضله ، ثم أنزله في بعض قصوره .

وأن امرأة من نساء الملك عزيزة عليه عشقت فرعان ، فأرسلت إليه

تدعوه الى نفسها فامتنع من ذلك خوفاً من الملك ، ولأن التخطي كان عندهم إلى نساء الملك عظيماً

فلمّا طال عليها شوقها اليه أحضرت امرأة ساحرة من نساء الكهنة ولاطفتها حتى أنست بها ، فذكرت أمر فرعان وما تجده من سببه وامتناعه عليها ، فضمنت لها بلوغ محبتها منه ، فسحرت به بدخن كان عندها عملته له حتى احتاج اليها وقدم على ودها وسهل عليه ما صعب من أمره ، ودست اليه فأجابها واجتمع بها وتمكن حب كل واحد منها من صاحبه ، ودام الأمر بينهما وتماذى الانس إلى أن ذاكرته أمر الملك وأنها لا تأمن أن يصل خبرهما به فيهلكا ، وقالت له اعمل الحيلة في قتله ، وأنت ابن عمه فيكون [لك] الملك من بعده وتأمن على أنفسنا ، فلشدة حبه لها استحسن ذلك واستدعى بسم فدفعه اليها ، فدسته في شراب الملك فمات لوقته ، ودفن في الهرم مع الملوك .

وجلس فرعان الملك على سرير الملك ، ولبس التاج ولم ينازعه أحد ، وفرح الناس بمكانه لما كان عليه من الشدة والجرأة .

وأن فرعان علا في الأرض وتجبر ، وهو الذي كان الطرفان في وقته ، وغضب الناس أموالهم وعمل في طريق الظلم ما لم يعمل أحد ، وأسرف في القتل وامتلأ أصحابه فعلة ، فهابته الملوك ، وأقروا له ، وهو الذي كتب إلى الدرشميل بن يحويل ملك بابل يشير عليه بقتل نوح عليه السلام .

وذلك أن الدرشميل كتب الى الآفاق يستعلم أهلها هل يعرفون آلهة غير الأصنام ؟ ويذكر قصة نوح عليه السلام ، وأنه يريد تغيير ما هم عليه من عبادة الأصنام ، ويزعم أن له إلهاً غيرها لا يرى فكل أنكر ذلك .

ولما أخذ نوح عليه السلام في عمل السفينة كتب فرعان يأمره بقتل نوح وحرقتها فأشار عليه بعض وزرائه أن لا يفعل وأن يدعها فان كان ما ذكره نوح حقاً ركبها الملك وأهل بيته فقبل رأيهم وتركها وهم يقتل نوح فمنعه الله منه . وكان عند أهل مصر علم الطوفان ، ولم يقدرُوا كثرتة ولا طول مقامه على وجه الأرض ، فاتخذُوا السرايب تحت الأرض وصفحوها بالزجاج وحبسوا الريح فيها بتدبيرهم ، واتخذ الملك فيلمون رأس الكهنة مع نفسه ، عدة له ولأهل بيته .

وقد كان فرعان أقصى الكهان وباعدهم ، فرأى فيلمون الكاهن ليلة في منامه كان مدينة أمسوس قد انقلبت ^(١) بأهلها وكان الاصنام قد انقلبت ^(١) على وجوهها وكان ناساً من السماء ينزلون ومعهم مقامع يضربون بها الناس ، وكأنه تعلق بأحدهم ، وقال لهم : لأي شيء تفعلون بالناس ولا ترحونهم ؟ قال : لانهم كفروا بإلههم الذي خلقهم ، قال : أما لهم خلاص ؟ قال : نعم من أراد الخلاص فعليه بصاحب السفينة .

فانتبه مرغوباً وقام حيراناً لا يدري ما يصنع ، وكان له امرأة وولدان ذكر واثني وسبع تلاميذ فأجمع على أن يلحق بنوح عليه السلام .

ثم نام أيضاً فرأى في نومه كأنه في روضة خضراء ، وكان فيها طيوراً بيضاء يفوح منها رياح المسك ، وكأنه كان يعجب من حسناتها ، إذ تكلم بعض الطيور فقال سيروا بنا لعلنا ننجو مع المؤمنين ، فقال له ومن هم المؤمنون ؟ قال أصحاب السفينة .

فانتبه مرغوباً وأخبر أهله وتلاميذه بذلك واستكتمهم إياه ثم نظر في تخفيف انقاله ، وفي بيع ما يجب بيعه مستتراً بذلك كله .

(١) في ب : أقبلت .

فلما فرغ مما أَرادَه دخل على الملك وقال له إن رأى الملك أن ينفذني إلى الدرمشيل لأرى هذا الرجل الذي عمل السفينة وأناظره وأجادله على ما جاء به من هذا الدين الذي يظهره ، وأتبين حقيقة أمره فليفعل ، فعسى أن يكون سبب هلاكه ودفعه عما يدعيه ، فأعجب الملك منه وأمره بالخروج ، وكتب معه إلى الدرمشيل .

فسار فيلمون بأهله وولده ومضى معه تلاميذه حتى انتهوا إلى أرض بابل فقصد نوحاً فأخبره بما قصده ، وسأله أن يشرح له دينه ففعل نوح عليه السلام ذلك ، فأمن به فيلمون وجميع من معه ، ولم يقصد فيلمون إلى الدرمشيل ولم يدفع إليه كتاب فرعان ولا رآه .

فقال نوح عليه السلام « من أراد الله به خيراً لم يصرف عنه ذلك » فلم يزل الكاهن مع نوح عليه السلام يخدمه هو وتلاميذه وولده إلى أن ركبوا السفينة .

وأقام فرعان الملك متمكناً في ضلاله وظلمه ، مدمناً على لُهوهِ وقد استخف بالهياكل ، فضاقت أرضهم بها ، وكثر الظلم والهرج وفست الزروع وأجدبت الأرض من كل ناحية ، وظلم الناس بعضهم بعضاً ، ولم ينكر ذلك عليهم ، وسدت الهياكل والبرابي وطبقت أبوابها ، فجاءهم الطوفان وأقبل عليهم المطر في أربع وعشرين من الشهر .

وكان فرعان سكراناً فلم يقيم إلا والماء قد عظم ، فوثب مبادراً يريد الهرم فتخلخلت الأرض به ، وسبق يريد الأبواب فخانتته رجلاه وسقط على وجهه ؛ وجعل يخور كما يخور الثور إلى أن أهلكه الطوفان ومن دخل منهم الأسراب مات بغمها^(١) ولحق الماء من [أعلى]^(٢) الأهرام إلى حد التربيع ، وأثره ظاهر عليه إلى الآن .

(١) هكذا في الأصول، وفي ق : ولعل الصواب بغمها، أي قبل أن يصل إليها. (٢) زيادة عن ق.

وقد ذكر أن مواضع سملت من الطوفان يذكر ذلك الفرس ، وتزعم أنها لا تعرف الطوفان ، وكذلك الهند تزعم أنها لا تعرفه وليس بين أهل التاريخ اختلاف في عموم الطوفان لجميع الأرض .

ذكر ملوك مصر بعد الطوفان

أجمع أهل مصر^(١) أن أول من ملك مصر بعد الطوفان مصرايم بن بيصر^(٢) ابن حام بن نوح عليه السلام وذلك بدعوة سبقت له من جده .

والسبب في ذلك أن فيلمون الكاهن سأل نوحاً أن يخلطه بأهله وولده ، وقال له: يا بني الله إنني تركت أهلي وولدي فاجعل لي رفقة أذكر بها بعد موتي ، فزوج عليه السلام مصرايم بن بيصر بن حام بنت فيلمون ، فولدت له ولداً فسماه فيلمون باسم جده .

فلما أراد نوح عليه السلام قسمة الأرض بين بنيهِ ، قال له فيلمون : ابعث معي يا بني الله ابني ، حتى أمضي به إلى بلدي وأظهره على كنوزه ، وأوقفه على علومه وأفهمه رموزها ، فبعثه مع جماعة من أهل بيته ، وكان غلاماً مرافقاً .

فلما قرب من مصر بنى له عرشاً من أغصان الشجر ، وستره بحشيش ثم بنى له بعد ذلك مدينة في الموضع بنفسه وسماها درمان^(٣) أي باب الجنة وزرعوا وغرسوا الأشجار .

(١) في ق : أهل الأثر . (٢) في ق : درسان .

(٣) في ب : مصري بن تنصر ، والتصحيح عن ق .

وكان بين درمان الى البحر زروع وأجنة وعمارة ، وكان القوم الذين كانوا مع مصرايم جبابرة ، فقطعوا الصخور وبنوا المصانع والمعالم ، وأقاموا في أرغد عيش .

ونكح مصرايم بنتاً من بنات الكهنة ، فولدت له ولداً فسماه قبطياً ، وتزوج بعد تسعين سنة من عمره امرأة أخرى فولدت له أربعة نفر : يقطويم ، واشمون ، وابريت ، وصابي ، فكثروا وعمروا الارض وبورك لهم فيها .

وقيل ان عدد من كان مع مصرايم ثلاثون رجلاً من الجبابرة ، فبنوا مدينة سموها ناقة ، بلغتهم معناها ثلاثون ، وهي مدينة منف .

وكشف فيلمون الكاهن لمصرايم عن كنوز مصر وعلمه قراءة خط البرابي وما زبر على الحجارة ، وعرض عليهم معادن الذهب والفيروزج والزبرجد وغير ذلك ، ووصف لهم عمل الصنعة فجعل الملك أمرها الى رجل يقال لسنطاس^(١) ثقة من أهل بيته ، فكان يعملها في الجبل الشرقي ، فسمي الجبل به المقطم .

وعلمهم أيضاً عمل الطلسمات وكانت تخرج من البحر دواب وتفسد زروعهم ، وما قارب البحر من جهاتهم فعملوا لها الطلاسم فغابت ولم تظهر بعد .

وبنوا على غير البحر مدناً منها رقوده بمكان الاسكندرية ، وجعلوا وسطها قبة من نحاس مذهب والقبة مذهبة .

ونصبوا فوقها مرآة معموله من أخلاط شتى قطرها خمسة أشبار ، وكان ارتفاع القبة من الأرض خمسمائة ذراع ، فكانوا إذا قصدهم قاصديهم بأذاهم

(١) في ت : ركان عنده رجيل ماهر يقال له مقيطام يعمل لهم الكيمياء والطلسمات الغريبة .

من البحر عملوا لتلك المرأة عملاً فألقت شعاعها إلى ذلك القاصد ومراكبه فأحرقتهم اجمعين ، ولم تزل على حالها حتى غلب عليها البحر فهدمها .

ويقال ان منارة الاسكندرية إنما عملت تشبيهاً بها ، وقد كانت أيضاً عليها امرأة يرى فيها من يقصدها من بلاد الروم ، فاحتال عليها بعض الملوك ، فوجه اليها من أزالها ، وكانت من زجاجة مدبرة .

ولما حضرت مصرايم الوفاة عهد الى ابنه ، وقد كان قسم أرض مصر بين بنيه فجعل من قفط الى اسوان لقبطيم ، وجعل لاشمون من أسوان الى منف ، ولا برت الخوف كله ، ولصابي ناحية البحر الى قرب برقة والغرب ، فهو صاحب افريقية وولده الافارق ، وأمر كل واحد من بنيه أن يبني مدينة لنفسه في موضعه وأمرهم عند موته أن يحفروا في الأرض سرباً ويفرشوه بالمرمر ، ويدفنوه فيه ويدفنوا معه جميع ما في خزانته من الذهب والفضة والجوهر . ويزبروا على ذلك أسماء الله العظام المانعة من الحوادث . فحفروا له سرباً ، طولاً مائة وخمسون ذراعاً ، وجعلوا في وسطه مجلساً مصفحاً بصفائح الذهب ، وجعلوا للمجلس أربعة أبواب على كل باب تمثال من ذهب عليه تاج مرصع بالجوهر ، جالس على كرسي من ذهب قدامه آنية زبرجد ، ونقشوا في صدر كل تمثال آيات مانعة ، واجلسوا جسده في مجلس زبرجد أخضر ، وزبروا عليه « مات مصرايم بن بيصر بن حام بعد سبعمائة سنة مضت لا يام الطوفان ، مات ولم يعبد الأصنام ، فصار الى حيث هو لا يوم هرم ولا سقم ولا حزن ، وجعل جسده وماله في هذا السرب وحضنه بأسماء الله العظام ، وبما لا يصل اليه بعده إلا ملك له من جدوده سبعة ملوك يأتي في آخر الزمان ، يدين للملك الديان ، ويؤمن بالمبعوث بالقرآن ، الداعي الى الايمان في عواقب الأزمان » .

وجعلوا معه في ذلك المجلس ألف قطعة من الزبرجند المخروط ، وألف تمثال من الجوهر النفيس ، وألف برنية ذهب مملوءة درايق سما ، وألف آنية مملوءة بالصنعة الإلهية والعقاير السرية ، وجعلوا مع ذلك طلسمات عجيبة ، وسبائك ذهب مكدسة بعضها على بعض ، وسقفوا ذلك بالصخور العظام ، وهالوا عليه التراب والرمال حتى سدوا ما بين جبلين متقابلين ، وجعلوا عليه علامات لا تخفى .

وولي الملك بعده ابنه قبطيم الملك ، ويقال ان القبط منسوبون اليه وهو أول من عمل المعجائب ، واثار المعادن ، وشق الأنهار ، ويقال انه [لحق] ^(١) البلبلة ، وخرج منها بهذا اللسان القبطي ، وعمل ما لم يعمله أبوه من المهارات ، ونصب الاعلام والمنارات والمعجائب والطلسمات .

وملكهم قبطيم ثمانين سنة ، وهلك فاغتم عليه بنوه وأهله ، ودفن في سرب تحت الجبل الكبير الداخل ، وصفح بالمرمر الملون ، وجعل فيه منافذ للريح فهي تتخرق فيه بدوي عظيم هائل ، وجعل فيه كروس نحاس مطلية بأدوية تضيء أبداً كأنها سرج لا تطفأ ، ولطخوا جسده بالمرمر والكافور والمومياء وجعلوه في جرن من ذهب وثياب منسوجة بالمرجان والدر ، وكشفوا عن وجهه في جرنه تحت قبة على عمد من مرمر ملون وفي رسط القبة جوهرة معلقة تنير كالسراج ، وبين كل عمودين تمثال في يده أعجوبة ، وجعل تحت الجرن توابيت حجارة مملوءة جوهراً وذهباً وغير ذلك من التماثيل والصنعة ، وحول ذلك مصاحف الحكمة ، وسدوا عليه ، وزبروا عليه كما زبروا على تابوت أبيه .

وتولى الأمر بعده ابنه قفطويم الملك ، وكان أكبر ولد أبيه ، وكان جباراً

(١) زيادة عن ق .

عظيم الخلق ، وهو الذي وضع أسرار الأهرام بالدهشور وغيرها ، ليعمل ما عمله الأولون ، وهو الذي بنى مدينة زرنده .

وهلكت عاد بالريح في آخر أيامه ، وأثار من المعادن ما لم يثره أحد ، وكان يجد الذهب على قدر الرحى والزبرجد مثل الاسطوانة ، وغرس الأسارح في صحراء الغرب مثل النخلة .

وعمل من العجائب كثيراً ، وعمل مناراً عالياً في جبل قفط يرى منه البحر الشرقي ، ووجد هنالك معادن زئبق فعمل منه بركة عظيمة ، فقليل إنها هناك الى اليوم .

وفي زمانه أثار ابليس وأعوانه الأصنام التي كان الطوفان أغرقها ، وزينوا أمرها وعبادتها .

ويقال ان قفطوما بنى المدائن الداخلة ، وعمل فيها عجائباً ، منها الماء الملقوف القائم كالعمود ولا ينحل ولا يذوب ويسمى فلتيس ، وصيادة الطير^(١) اذا نصبها ومر عليها الطير سقط فيها ولم يقدر أن يبرح منها حتى يؤخذ .

وعمل بها أيضاً عموداً من نحاس عليه صورة طائر ، فاذا قرب الوحش والأسد والحيات من المدينة صفر ذلك الطائر صغيراً عالياً ، فترجع تلك الدواب هاربة .

وكان للمدينة أربعة أبواب جعل لها أربعة أصنام ، على كل باب صنم من نحاس لا يعبر غريب الا ألقى عليه النوم والسبات ، فينام عند الباب فلا يبرح نائماً حتى يأتيه أهل تلك المدينة ، فينفخوا في وجهه فيقوم ، فان لم يفعلوا ذلك لم يزل نائماً حتى يهلك .

وعمل مناراً لطيفاً من زجاج ملون على قاعدة من نحاس ، وعلى رأس المنارة

(١) في ق : والبركة التي تسمى فلسطين أي صيادة الطير ، لا يمر عليها طير الا سقط فيها .

صورة صنم من زجاج كبيرة ، وفي يده كالقوس ، وكأنه يرمي به ، فان عاينه غريب وقف في موضعه ولم يبرح حتى يحيثه أهل المدينة .

وكان ذلك الصنم يتوجه من ذات نفسه الى مهب الرياح الرابع ، وقيل ان هذا الصنم على حاله الى اليوم ، وإن الناس تحاموا تلك المدينة على ما فيها من الكنوز والمعائب الظاهرة خوفاً من ذلك الصنم ، فاذا وقع عين انسان عليه لا يزال ناثماً حتى يهلك .

وقد كان بعض الملوك عزم على قلعه بما أمكنه ، فهلك في ذلك خلق كثير ، ولم يقدر عليه .

وقيل إنه عمل في بعض المدن الداخلة مرآة يرى الانسان فيها جميع ما يسأل عنه .

وعمل من خلف الجبل وبين الواحات الداخلة مدناً ، وعمل فيها عجائب كثيرة ، ووكّل بها الروحانيين الذين يمنعون منها ، فلا يستطيع أحد أن يدنو منها ولا يدخلها حتى يعمل عقداً بين أولئك الروحانيين ، فيصل حينئذ اليها ويأخذ من كنوزها ما أحب من غير مشقة ولا ضرر .

فأقام قفطويم ملكاً أربعمئة سنة ، وأكثر العجائب انما عملت في وقته ووقت أبيه .

وأمر قفطويم فعمل له ناووس في الجبل الغربي قريب من المدينة مدينة البعد ، وقد كان عمل لنفسه قبة قبل موته في سرب تحت الارض معقود على أزج تحت الأرض على هيئة الدار في سعة كثيرة ، وعمل حول دورها خزائن واسعة منقورة في الجبل أيضاً ، وجعل في سقفها مسارب للريح ، وبلطت مع السرب وجميع الدار بالمرمر ، وجعل في وسط الدار مجلساً على ثمانية

أركان مصفعا بالزجاج الملون المسبوك ، وجعل في سقفه جواهر وحجارة تسرج .

وفي كل ركن من أركان المجلس تمثال ذهب بيده كالبرق الذي يبرق ، وعمل في وسط المجلس بركة مصفحة بالذهب ، وعمل لها حواشي زبرجد وفرش حرير، وجعل على جسده بعد أن لطن بالأدوية المجففة، وجعل حوالبه ألف آنية من كافور، وأسدت عليه ثياب منسوجة بالذهب ووجهه مكشوف، وعلى رأسه تاج مكلل، وعن جوانب البركة أربعة تماثيل من زجاج مسبوك في صورة النساء وفي ألوانهن ، وبأيديهن كالمراوح من ذهب ، وعلى صدره من فوق الثياب سيف فاخر من أفخر الحديد قائمه من زبرجد .

وجعل في تلك الخزائن من الذخائر وسبائك الذهب والتيجان والجواهر، وأواني الحكم وأصناف العقاقير ، ومن الطلسمات العجيبة ، والمصاحف الحاوية لجميع العلوم ما لا يحصى قدره كثرة .

وجعل على باب المجلس صورة ديك من ذهب على قاعدة من زجاج أخضر ، وهو ناشر الجناحين مزبور عليه آيات عظام مائعة ، وجعل على كل مدخل أزج صورتين من نحاس مشوهتين ، بأيديهما سيفان كالبرق وبين أيديهما بلاطة تحتها لوالب لا بد من وطئها إذا أراد أن يدنو منها، فاذا وطأها ضرباه بسيفها فقتلاه .

وفي كل أزج كوة فيها لطوخ مدبرة تسرج وتضيء طول الزمان ، وسدت أبواب الأزج بالاساطين المرصعة ورسوا على السقف البلاطات العظام، وردموا فوقها بالرمال .

وزبروا على باب الأزج الأول في حجر عظيم « هذا المدخل الى جسد الملك العظيم المهيب الكريم قفطويم ذي الايد والقوة والفخر والغلبة والقهر ،

حل هذا الموضع يحسده وبقي ذكره وعلمه فلا يوصل اليه ، ولا يقدر عليه بحيلة إلا بعد مدد ودورات تمضي من السنين .

وملك بعده ابنه البودشير ^(١) الملك فتعجب وتكبر ، وعمل بالسحر ، واحتجب عن العيون ، وقد كان أعمامه صابي وأبريت ملوكاً على مواضعهم ، إلا أنه كان أكبرهم سنًا ، فلذلك أذعنوا له .

فيقال إنه أرسل إلى هرمس المصري فبعثه إلى جبل القمر الذي يخرج النيل من تحته ، حتى عمل له هناك هيكلًا للتأثيل من نحاس ، وعمل البطيخة التي ينصب عليها ماء النيل .

ويقال انه هو الذي عدل جنبي النيل ، وقد كان يفيض في بعض مواضع وربما انقطع في مواضع ، وأمره البودشير أن يسير مغرباً لينظر ما هناك ، فوقع إلى أرض واسعة متخرقة بالمياه والعيون كثيرة العشب ، فبنى بها منائر ومنتزهات وأقام بها ، وحول البودشير جماعة من أهل بيته ، فعمروا تلك النواحي وبنوا فيها حتى صارت أرضاً عامرة كلها ، وأقاموا بذلك مدة كبيرة ، وخالطهم البربر ونكح بعضهم في بعض .

ثم انهم تحاسدوا وتباغوا وكانت بينهم حروب افنتهم ، فحينئذ خرب البلد وباد أهله الا بقية منازل تسمى الواحات .

ويقال إنه عمل في وقته كثيراً من المجائب ، فمنها قبة لها أربعة أركان في كل واحد منها كوة يخرج منها دخان ملف ^(٢) في ألوان شتى في يوم معلوم في السنة من أول سنتهم .

فاذا خرج الدخان أخضر دل على العمارة والخصب وحسن الزرع وصلاح النبات ، وإن خرج الدخان أبيض دل على الجذب وقلة الخيرات ، وإن خرج

(١) في ق : البودشير . وفي ب : في هذا الموضع فقط البودشير . (٢) في ق : ملف .

أحمر دل على الدماء والحروب وقصد الأعداء، وإن كان أسود دل على كثرة الأمطار والسيول وفساد بعض الأرض بذلك، وإن كان أصفر دل على النيران وعلى آفات تحدث في الفلك .

وما كان منه يخرج يختلط اللون دل على مظالم الناس وفساد بعضهم لبعض وإهمال ملوكهم الأمور، وأشياء تدل على هذا الضرب؛ وكانت هذه القبة على منارة أقامت زماناً من ملكه ثم هدمها .

ومما عمل له أيضاً بالغرب في الصحراء التي تقرب منه، وكانت الوحوش قد كثرت عليهم وأفسدت زرعهم، وكذلك خنازير الماء، فعمل شجرة من نحاس أقامها في موضع نما وصل إليها من الوحش لم يستطع الحركة ولا البراح من عندها حتى تؤخذ قبضاً فيقتل، فاتسع الناس في لحوم تلك الوحوش، فوجه بعض الملوك المجاورين لمصر عن احتيال لتلك الشجرة فقلعها واحتملها ليضعها في بلده فيعمل له مثلها، فلما قلعت من موضعها بطل عملها فلم ينتفع بها، لأنهم كانوا يعملون ما يعملونه من ذلك بطالع يأخذونه فلا يزال مستقيماً إلى أن يغير مكانه وينقل عنه .

ومما عمل في وقته أن غراباً نقر عين صبي من أولاد الكهنة فقلعها، فعمل أبوه شجرة من نحاس عليها غراب في منقاره حية بادية الطرفين، وهو ناسر الجناحين، وكتب على ظهره كتاباً، فكان الغرابان يقعن على تلك الشجرة حتى يمتن أو يؤخذن فيقتلن، فهلك كثير منها وانتفى إلى الشام وغيرها من النواحي .

ولم يزل الأمر كذلك إلى أن صار لبعض ملوكهم داء لم يكن له دواء إلا أن يطبخ له غراب فيأكل من لحمه ويشرب مرقه، فطلب له غراب فلم يكن في وجوده حيلة، فوجه إلى ناحية الشام من يأتيه بغراب فأبطأ وزادت علته

فاغتناظ ، وأمر بنزع الشجرة فنزعت فرجعت الغربان فأخذ منها الملك ما يعالج به ، فلم يعد رسوله من ناحية الشام حتى خرج الملك من علقته .

ومما عمل في وقته ، وكانت الرمال قد كثرت عليهم من ناحية الغرب حتى ربما طمت زروعهم ، فعمل لذلك صنم من صوان أسود على قاعدة منه وفي يده كالقفة فيها مسحاة ونقش على جبهته وصدره وذراعيه وساقيه كتابات ، ووجه به إلى المغرب ، وجعل هناك فأنكشت تلك الرمال وزحفت بها الرياح إلى ورائها لتلك الآكام العالية في صحراء المغرب ، فلم يزل الرمل يندفع عنهم إلى وراء ذلك الصنم حتى صار بحيث لا يؤذيهم منه شيء ولا يضرهم .

فأقام البودشير مدة ثم احتجب عن الناس [وكان يتجلى لهم في صورة وجه عظيم يكون ذلك في النادر] ^(١) وربما خاطبهم من حيث لا يرونه وصبروا وهم في طاعته مدة طويلة ، إلى أن رآه عديم ابنه وهو يأمره بالجلوس مكانه على سريريه [فجلس] ^(٢) فتولى الأمر بعده وجلس على سرير ملوكه ابنه عديم الملك ، وكان جباراً لا يطاق عظيم الخلق ، فأمر بقطع الصخور ونحتها ليبنى هرمًا كما فعل الأولون .

وكان في وقته الملكان اللذان أهبطا من السماء ، ويقال إن عديماً استكثر من علمها ، ثم انتقلا إلى بابل .

وأهل مصر والقبط يقولون إن هذين شيطانان يقال لهما مهلة ومهالة ، وإن الملكين ببابل في بشر هناك يفشاها كثير من السحرة إلى أن تقوم الساعة

ومن ذلك الوقت عبدت الأصنام ، واتخذت الأوثان ، وقال قوم كانت

(١) زيادة عن القرماني .

الشياطين تظهر فتنصبها لهم ، وقال قوم بل النمرود الأول أمر بنصبها وعبادتها .

وعديم الملك أول من صلب ، وذلك أن امرأة زنت برجل من أهل الصناعات وكان لها زوج فأمر بصلبها ، على منابر وجعل ظهر كل واحد منهما إلى ظهر صاحبه ، وزبر على المنابر اسميهما وما فعلاه ، وتاريخ الوقت الذي عمل ذلك فيه ، فأنتهى الناس عن الزنا .

وبنى أربع مدائن وأودعها كثيراً من صنوف المعائب والطلسمات وغير ذلك ، وكنز فيها كنوزاً كثيرة وعمل على البحر الشرقي مناراً ، وأقام على رأسه صنماً موجهاً إلى الشرق ، باسط اليدين يمنع جميع دواب البحر والرمال أن تتجاوز حده ، وزبر على صدره تاريخ الوقت الذي نصبه فيه . ويقال إن هذا المنار قائم إلى وقتنا هذا ، ولولا هذا المنار لغلط الماء المالح على أرض مصر من البحر الشرقي .

وعمل قنطرة على النيل في أرض النوبة ، ونصب عليها أربعة أصنام موجهة إلى أربع جهات ، في يد كل صنم منها سيف يضرب به إذا أتى آت من تلك الجهة ، فأقامت على حالها مدة إلى أن تهدمت .

وهو الذي عمل البربا ، وهي هناك إلى اليوم ، ويقال انه عمل في إحدى المدائن الأربع التي ذكرنا [ها] حوضاً من صوان اسود على ماء لا ينقص مدى الدهر ، ولا يتغير بما اجتلب اليه من رطوبة الهواء والماء .

وعمل فيه حيلاً عجيبة ، وكان أهل تلك الناحية ، وأهل تلك المدينة يشربون وينفقون منه ، ولا ينقص ماؤه ، وعمل ذلك لهم لبعدهم من النيل وقربهم من البحر المالح .

وذكر بعض كهنة مصر أن ذلك إنما تم لقربهم من البحر المالح ، لأن الشمس فيما ذكروا يرتفع نحوها بخار البحر وعذوبة ما فيه .

فحبس هو من البخار جزءاً بالهندسة وبالطلسات السحرية ، وجعله ينحط في ذلك الحوض ، ويمده الهواء برطوبته فلا ينقص ماؤه على الدهر ، ولو شرب منه العالم .

وقد عمل أمام البربا حوضاً لطيفاً مدوراً وجعله على قاعدة وملاء ماء ، وحبس عليه جزء من البخار الرطب ، فالحلق يشربون منه ولا ينقص وهو هناك إلى هذا الوقت .

وعمل أيضاً قدحاً لطيفاً على مثل العمد ، وأهداه حويل الملك إلى الاسكندر اليوناني، وملكهم مائة سنة وأربعين سنة، ومات وهو ابن تسعمائة سنة وثلاثين سنة .

وقيل إنه دفن في إحدى المدن ذوات المعائب في أزج من رخام ملون مبطن بزجاج أصفر، وطلي جسمه بما يسكه، وجعل حوله كثير من ذخائره ، وذلك في وسط المدينة وهي محروسة بمن يمنع منها من الروحانيين .

وذكر بعض أهل القبط أن ناوس عديم عمل له في صحراء فقط على وجه الأرض، وهو قبة عظيمة من زجاج أخضر براق معقود على ثمانية آزاج من صنفها ، وعلى رأسها كرة من ذهب عليها طائر من ذهب نائم الجناحين موشح بجواهر تمنع من الدخول ، وفي قطرها مائة ذراع في مثلها .

وجعل جسده في وسطها على سرير من ذهب مشبك بجوهر عقيق ، وعليه ثياب منسوجة بالذهب مكشوف الوجه .

والآزاج مفتوحة، طول كل أزج منها ثمانية أذرع، وارتفاع القبة أربعون ذراعاً ، يلقي نورها على ما حولها من الأرض ، لصفاء لونها وبريقها ، وجعل معه في القبة مائة وسبعون مصحفاً من مصاحف الحكمة، وسبع موائد عليها أوانيسها منها .

ومنها مائدة من ذهب عليهمون أحر يخطف الأبصار ، وهو الذي يعمل منه
تيجان الملوك وأوانيها منها ، ومائدة من حجر الشمس المضيء وأوانيها منها ،
ومائدة من الزبرجد الأخضر الذي يخطف لونه البصر وله شعاع أصفر ، وهو
الذي إذا نظرت إليه الأفاعي سالت عيونها وآنتها منها ، ومنها مائدة من
كبريت أحر مدبر على ما ذكروه من تدبيرهم في مصاحف كتبهم وأوانيها
منها ، ومنها مائدة من ملح أبيض براق صاف يكاد لونها يعشي البصر وأوانيها
منها ، ومنها مائدة من زئبق معقود حافتها وقوائها زئبق أصفر معقود ،
وأوانيها عليها من زئبق أحر معقود ، وجعل معه في القبة جواهر كثيرة
وبراني بلور مملوءة بغرائب مدبرة ، وجعل حوله سبعة أسياف صاعقية
وكاهنية ، وأتراس حديد مدبر أبيض ، وجعل معه تماثيل افراس سبعة من
ذهب عليها اللحم ، وسروج من ذهب ، وسبعة توايت من صوان أسود مملوءة
من الدنانير التي كان ضربها ، وصور عليها صورته ، وجعل معه من أصناف
العقيق والسموم والأدوية المدبرة في أواني الحنتم والحجارة على ضربها شيء
كثير .

وقد ذكر من رأى القبة أنه مشى إليها مع جماعة وأقاموا عليها أياماً ،
فما قدروا على دخولها ، وأنهم إذا وصلوا إليها على ثمانية أذرع دارت القبة
عن أيمانهم من شمائلهم ، وقد رأوا ما فيها ، ومتى دنوا منها دارت إلى
جانب آخر .

ومن عجائب شأنها أنهم كانوا يحاذونها من كل أزج ، ويتأملونها أزجاً أزجاً ،
فلا يرون من أزج إلا ما يرون من أزج آخر على شكل واحد ، ومعنى
واحد

وذكروا أنهم رأوا وجهه على قدر الذراع والنصف ، ولحيته كبيرة
مكشوفة ، وقد رأوا بدنه بطول عشرة أذرع وزيادة ، وذكروا أنهم رأوا

فيها عجائب كثيرة وصنوفاً من الوحش لم ير مثلاً .

وفي كتاب القبط أنه لا يوصل إليها إلا ان يذبح لها ديك أبيض أفرق ،
ويبخر بريشه على بعد ، وترسل البخور مع الريح على بعد حتى يصل إليها ،
ويكون بالكواكب النيرة على ما كانت عليه وقت نصبها ، ويكون زحل
والمشتري والمريخ في برج واحد والزهرة وعطارد في برج ، ويتكلم عليها
بصلاة الكهنة سبع مرات ، فاذا وصل إليها لطح حائطها بدم الديك الذي
ذبح ويأخذ عند دخولها من المال والتماثيل ما استحسّن ولا يكثر فيها من
الجلوس .

وذكر أن هؤلاء الذين رأوها لم يكونوا من أهل الناحية ، وإنما خرجوا
يطلبون غيرها ، وأنهم سألوا أهل قفط عنها ، فما وجدوا أحداً يعرفها ولا
رأها غير شيخ منهم .

فانه ذكر أن ابناً له خرج في بعض الامور ، ومعه جبل ، وأنه رآها
ولم يصل إليها فبحث عن أمرها ، فعرف أن قوماً من أهل المشرق جاءوا
في طلب هذه القبة وأنهم أقاموا بقفط أياماً وخرجوا يريدونها ، فما رجع
منهم أحد ولا عرف لهم خبر .

وكان عديم الملك قد أوصى ابنه قبل موته أن يطوف ماشياً على أعمال
بلاده ، وأن ينصب في كل جزء من أجزاء عمومته منارا ، ويؤبر عليه اسمه
ويعمل له علامات وملاعب .

وعمل في صحرائها منارا ، وعمل عليه صنماً ذا رأسين مقترنين ، وسار الى
جزء إبريت فبنى به قبة على عمد وعلى أساطين بعضها فوق بعض وجعل على
أعلاها صنماً صغيراً من ذهب .

وعمل هيكلًا للكواكب ، وكان أبوه البودشير أول من أقام للكواكب هيكلًا ، فتبعه ابنه على ذلك ، ومضى الى جزء صابي فعمل به منارة على رأسها امرأة من أخلاط ترى الناظر اليها جميع الاقاليم .

ثم رجع الى أبيه فولاه الملك بعده وعهد اليه بما أراد ووصاه ، ثم مات أبوه فلما أودعه الناووس ، وفرغ منه جلس على سرير الملك شدات^(١) الملك ، وهو الذي بنى الاعلام بالدهشور بالاحجار التي قطعت في زمان أبيه .

وقال الذين ينكرون أن العادية دخلت مصر انما غلط الناس في اسم شدات فقالوا شداد بن عاد لكثرة ما يجري على ألسنتهم شداد وقلة ما يجري شدات . وما قدر أحد قط من الملوك أن يدخل مصر الا عبد لبخت نصر بما قدمه من الحيل في افساد طلسماتها .

وشدات الملك هو الذي عمل مصاحف الزيجات التي يذكر فيها الملوك ، ويقال انه وجد في بعض رموزهم ومصاحف كهانهم ان الملك بودشير بن قفطويم لما أجهد نفسه في عبادة الانوار العلوية ، وعرف ان روحانياتها قد صارت فيه حبيب اليها نفسه ، وجوعها واستغنى جسده عن الطعام والشراب ، فلما أدمن ذلك اشتاقته الانوار العلوية واشتاهاها ، فرفعته الى مواضعها ، وبرأته من شرور الأرض المؤلة ، وجعلته نورا سابجا داخلا في نورها ، يتصرف بتصرفها ، فطوبى له من كاهن عرفت له كهنته ، وأكرم بها وصير ملكا ، فسبيل من بعده ان يبلغ خطته ويجعل بمثابة .

وهذا الكلام وشبيهه تضليل للناس لانهم كانوا يتعبدون للكواكب ، فيقولون مثل هذا ترغيبا في دينهم .

وقد قالوا أيضاً أنهم على توحيد الله وان مدحهم لهذه الوسائط المدبرات لا يضر خالقها ، وانهم يعظمونها تقرباً اليه ، كما قالت الهند والعرب وكثير من الأمم .

وعمل شدات هيكل أرمنت وأقام فيه أصناماً للكواكب من ذهب وفضة وحديد ابيض ورمصاص مصفى وزئبق معقود ، وهذه الاجساد المعدنية في طباع الكواكب وقسمتها .

فلما فرغ منه زين بأحسن الزينة ، ونقش بأحسن النقوش ، وأمر فزين بالجواهر الملونة ، والزجاج الملون ، وكسي بالوشي والديباج ، ولم يترك شيئاً من الغريب الا عمله فيه ، وكذلك عمل في المدن الداخلة من جزء صابي هيكلًا مثله ، والقبّة التي عملها يجرء ابريت ، وعمل هيكلًا بشرف الاسكندرية ، وعمل لزحل صنماً من صوان اسود على عبر النيل من الجانب الغربي .

وبنى شدات في الجانب الشرقي مدائن ، وجعل في أحدهما صورة صنم قائم له احليل ظاهر اذا اتاه المعقود والمسحور والعين الذي لا ينتشر احليله بكتلتا يديه زال عنه ذلك وانتشر وقوي على الباء .

وعمل في احداها بقرة لها ضرعان كبيران اذا مسحتها المرأة التي نقص لبنها وتعقد ضرعها در وصلاح .

وفي أيامه بنيت العالية ، بناها لابن له كان سخط على أمه فحوّلها اليها ، وأسكنها قوماً من أهل الحكمة ومن أهل الصناعات .

وقيل ان سبط بنيت في أيامه والصورتين اللتين بها الملتصقتان للمهل ، وكانت الحبشة والسودان عاثوا في بعض بلده فأخرج ابنه منقاوس^(١) في جيش

(١) في ق : منقاوش .

عظيم اليهم فقتل منهم وسبا ، وكل من سباه استعبده فصار ذلك سنة فيهم .
واقطع معدن الذهب ، وأقام فيه من سباه منهم يعملون الذهب ويحملونه
اليه ، وألزم المقام معهم من يحرسهم من جيشه .

وهو أول من أحب الصيد واتخذ الجوارح وولد الكلاب السلوقية من
الذئاب والكلاب الأهلية ، وعمل البيطرة وجميع ما يعالج به الدواب، وعمل
من العجائب والطلاسم لكل شيء ما لا يحصى كثرة .

وجمع التماسيح في بركة في ناحية اسبوط بطلمس لها ، وكانت تنصب اليها
من النيل انصبابا فيقتلها ، ويستعمل جميع جلودها في السفن وغيرها ، ويدخل
لحومها وشحومها في الاغذية ومؤلفات العقاقير .

والقبط تحكي انه عبد بمصر اثنتي عشرة اعجوبة وطلسمها، ولم يعمل في بلد
ما عمل فيها ولا تهيأ ذلك له ، وقد بقيت آثار أكثرها قائمة بعد خرابها
وإفساد معالمها .

واقام شدات بن عديم تسعين سنة ملكا، وخرج فطرد صيدا فأكب به
فرسه في هوة فقتله .

وفي بعض كتبهم أنه أخذ بعض خدمه ، وقد خالفه في امر من الامور،
فألقاه من اعلى الجبل الى اسفله فتقطع ثم ندم على ذلك من فعله ، ورأى انه
سيصيبه مثل ذلك، وكان يتوقى ان يصعد جبلا ، وأوصى ان اصابه شيء ان
يحمل ناووسه في الموضع الذي يلحقه فيه ما يلحقه ، وان يزر عليه « ليس
ينبغي لذي القدرة ان يخرج عن الواجب، وان لا يفعل ما لا يجوز له فعله، وهذا
ناووس شدات بن عديم بن قفطويم الملك ، عمل ما لا يحل فكوفيء عليه » .

ولما هلك عمل سرب في سفح الجبل عليه قبة على مجلس قد صفح بالفضة

واجلس فيه على سرير ملكه، وجعل معه من المال والجواهر والتماثيل واصناف الحكم والمصاحف شيء كثير ، ومات وله أربعائة واربعون سنة .

وولي الأمر من بعده ابنه منقاس الملك فقام مقام أبيه ، وملك بحزم وحكمة فأظهر مصاحف الحكمة ، وأمر بالنظر فيها وان تنسخ بخط العامة ليفهموها، ورد الكهنة الى مراتبهم .

وهو أول من عمل الحمام من ملوك مصر وكان كثير النكاح ، وتزوج عدة نسوة من بنات عمه ومن بنات الكهنة ، وجعل لكل امرأة منهن مكانا قد أصلحه بالبنيان العجيب والصور المونقة والفرش الحسنة ، والآلات العجيبة ، وأسكنهن فيها .

وقال بعض أهل الأثر إنه هو الذي بنى منف لبناته ، وكن ثلاثين بنتاً ورحلن إليها ، وعمل مدناً غيرها ومصانع ، وبنى هيكلاً لصور الكواكب وأصنامها على ثمانية فراسخ من منف ، وعمل بتلك الناحية طلسمات كثيرة وغرائب أغرب فيها بفضل حكمته على أبيه وجده ، وعمل للسنة اثني عشر عيداً يعمل في كل عيد من الأعمال ما كان موافقاً لبرج الشهر ، وكان يعظم الناس في تلك الأعياد ويوسع عليهم في أحوالهم وأرزاقهم ، ورأوا معه من الخير ما لم يروه مع غيره ، وفتح عليه من المعادن ما لم يفتح على أحد قبله .

وألزم أصحاب الكيمياء العمل، فكانوا لا يفترون ليلاً ولا نهاراً ، فاجتمعت عنده أموال عظيمة وجواهر كثير وزجاج مسبوك من الأدرك وغيره ، فأحب كنزها ، فدعا أخاه له كان يكرمه ويحبه ، فقال له قد كثر ما عملناه من التماثيل ، وعظم ما ادخرناه من الذهب والجواهر ، ولست آمن أن يتسامع الملوك بكثرة ذلك ، فيتألفوا على غزونا فخذ ذلك كله ، وتوجه به

فأمن في أرض الغرب ، ثم انظر مكاناً حريزاً خفي الأثر فأحرزه فيه .
وأسس عليه وعلمه بعلامات واكتب صفة المكان وعلاماته ومن أين الطريق
إليه ، وعد إلي إن شاء الله تعالى .

فيقول أهل الأثر انه حمل مع نفسه إثنا عشر ألف عجلة ، منها من
الجواهر النفيسة ثلاثمائة ، وسائرها ذهب إبريز ، وصفائح مضروبة ، وطرائف
الملوك من آلاتهم وسلاحهم وأوانيهم ، وسار في الجنوب يوماً واحداً ، ثم سار
في الغرب يوماً كاملاً وبعض آخر ، فانتهى في اليوم الثالث إلى جبل أسود
منيع ليس له مصعد بين جبال مستديرة به ، فعمل تحت ذلك الجبل أسراباً
ومغائر فدفن فيها ما كان معه ، وردم عليه كما أمره أخوه ، وعلم وزبر
وأقن ذلك جهده ، ورجع إلى أخيه فأعلمه .

فكث بعد ذلك أربع سنين يبعث في كل سنة عجلة كثيراً فيدفن فيها
في أكواخ شتى ، وهو الذي عمل بيتاً فيه تماثيل تنفع من جميع العلل ، وكتب
على رأس كل هيكل تمثال ما يعالج به ، فانتفع الناس بها زماناً إلى أن أفسدها
بعض الملوك بالحكمة .

وفي هذه المدينة صورة امرأة من سحجر مبتسمة لا يراها مهبوم إلا تبسم
ونسي هم ، وكان الناس يتناوبونها ، ويطوفون حولها ، ثم عبدوها من بعد .
وعمل تمثالاً طائراً روحانياً من ظفر مذهب كأنه يشير يجناحيه ، ووضع
على اسطوانة في وسط المدينة ، وكان لا يمر به زان ولا زانية إلا كشف
عورته بحضرته ، وكان الناس يمتحنون به فامتنع الناس من الزنا فرقاً منه ،
فأقاموا كذلك إلى زمان فاكن ^(١) الملك ففسد أمره وبطله .

(١) هكذا في الأصل ، ولعله كلكن .

وذلك أن امرأة من نساؤه وكانت حظية عنده عشقت رجلاً من خدام الملك وخافت أن يرقى ذلك الى الملك فيمتحنها من ذلك الصنم فتفتضح فيقتلها ، فأقامت مفكرة في الحيلة في ذلك ، إلى أن خلاها في بعض الليالي وهما يشربان فأخذت في ذكر الزواني وسبهن وذمهن ، فذكر الملك ذلك للصنم ، وما فيه من المنافع للناس وما يستحق من فعله من الثناء والذكر الحسن ، فقالت له إنه لكذلك وقد صدق الملك غير أن منقاوس لم يصب الرأي في أمره ، فقال : وكيف ؟ قالت : لأنه أتمب نفسه وحكماءه فيما جعله لصلاح أمر العامة دون أمر نفسه ، وهذا أكبر العجز ، وإنما كان حكم هذا التمثال أن ينصب في دار الملك حيث يكون نساؤه وجواريه ، فان اقترفت إحداهن ذنباً علم الملك به وجازى عليه في ستر ، ولم تعلم العامة شيئاً منه ، فيكون ردعاً لمن في قصره عما تهم به مغتامة ، وقد غلبتها شهوتها مرة ربما في عمرها لأن شهوات النساء أكثر من شهوات الرجال ، وأغلب لنقصان عقولهن عن عقول الرجال ، وأما الآن فلو حدث شيء من ذلك في قصر الملك ، وأعوذ بالنور الأعلى منه ، وأحب امتحانه فضح نفسه ، وشاع في العامة والخاصة امره ، فان عاقب بغير امتحان كان متعدياً ، وإن صبر صبر على المكروه .

قال الملك صدقت فيما قلت وأنزل قولها على النصيحة والصدق ، وعلم أنها لم تشر بذلك إلا لأمر وقفت عليه ، ولم ترد كشفه ، فلما أصبح نزع الصنم من موضعه ووضعه في قصره في مكان أعد له بلا مهلة ولا مشاورة حكيم ولا عالم ، فلما نصب في القصر امتحن مراراً فلم يصنع شيئاً عند الامتحان .

وندم الملك على تحريكه وأقبلت جارية الملك على ما كانت همت به من الفجور وانهمكت فيه .

وهذه الأعمال إنما تعمل بعد رصد الكواكب واختبارات أماكنها في الواجب من أوقات المعمول له ذلك .

وقد ذكر أهل اخميم أن رجلاً من أهل المشرق ، وكان يلزم البربا ويأتي إليه كل يوم ببخور وخلوق فيبخر ويطيب صورة كانت في عضادة باب البربا فيجد تحتها عند رجلها ديناراً فيأخذه وينصرف ، ففعل ذلك وأقام عليه مدة طويلة ، حتى وثى به غلام إلى عامل البلد ؛ فقبض عليه فبذل له الرجل مالاً ، وخرج عن البلد .

ويقال إن منقاوس بنى هيكلًا للسحرة على جبل القمر ، وقدم عليه رجلاً منهم يقال له مستهمس ، وكانوا لا يطلقون الريح للمراكب المقلعة إلا بغرامة يأخذونها منهم ، وكان الملك إذا ركب عملوا بين يديه التائب الهائلة فيجتمع الناس ويتمتعون من أعمالهم وأمر أن يبنى له هيكل للعبادة يكون له خصوصاً ، ويجعل فيه صورة الشمس والكواكب ، وجعل حوله أصناماً وعجائباً ، فكان الملك يركب إليه ويقم فيه سبعة أيام وينصرف ، وجعل فيه عمودين ، وزبر عليها تاريخ الوقت الذي علا فيه وهما باقيان إلى اليوم ، وموضع ذلك يقال له عين شمس .

ونقل منقاوس إلى عين شمس كنوزاً وجواهر وطلسمات وعقاقير ودفنها بنواحيها .

وكان قد قسم خراج البلد أرباعاً ، فربع منها للملك خاصة ينفقه فيما يشاء ويفعل به ما يريد ، وربع لأرزاق الجنود ، وربع ينفقه في مصالح الأرض ، وما يحتاج إليه من عمل جسورها وحفر خلجانها وأجبر أهلها على العمارة ، وربع يدفن لحدث يحدث .

وكان خراج البلد يومئذ ألف ألف وثلاثة آلاف ألف ^(١) وقسمتها على ثلاثمائة كورة وثلاث كور .

(١) في ق : وكان خراج مصر اذ ذاك مائة الف الف الف وثلاثمائة دينار .

وهي اليوم خمسة وثلاثون كورة، أسفل الأرض خمسة وأربعون كورة ،
والصعيد أربعون كورة .

وكان في كل كورة كاهن يدبر أمرها ، وصاحب حرب ، وأقام ملكاً
إحدى وسبعين سنة ، ومات من طاعون أصابه ، وقيل إنه سم في طعامه ،
وعمل له ناوس في صحراء القبط ، وقيل في غربي قوص ، ودفن معه من
المصاحف وأكاسير الصنعة المعمولة وتماثيل الذهب والجوهر ، ومن الذهب
المضروب شيء كثير .

وقد كانت ماتت له قبل موته جارية كانت أحظى نسائه عنده ، وكان
يحبها حباً شديداً ، فأمر بعمل صورتها في جميع الهياكل ، وعمل له تماثيلها
بذؤابتين من ذهب أسود ، وألبسه حلة من جوهر منظوم ، وجعلت جالسة
على كرسي من ذهب ، وكانت تحمل بين يديه في كل موضع يجلس فيه ليتسلى
بذلك عنها ، فدفنت تلك الصورة عند رجله ، كأنما يخاطبها .

ولما فرغ من أمره جلس ابنه مناوس الملك بعد أبيه على سرير الملك
فطلب الحكمة بعد ، مثل أبيه وأكرم أهلها ، وبذل الجوائز على الغرائب
التي لم يتقدم عملها لمن تقدم قبله ، وأثبت كل ما عمل من ذلك في كتب
تواريخهم ، وزبر على الحجارة في هياكلهم .

ومناوس أول من عبد البقر ، وكان السبب في ذلك انه اعتل علة فيش
فيها من نفسه ، وأنه رأى في منامه روحانياً عظيماً يخاطبه ويقول له :
لا يخرجك من علتك إلا عبادتك البقر ، لان الطالع كان وقت حلولها ، فلك
الثور ، وهو في صورة ثور بقرنين فأمر عند انتباهه ، فأخذوا ثوراً أبلق
حسن الصورة ، وعمل له مجلساً في قصره وسقفه قبة مذهبة ، وكان يبخره
ويطيبه ويحسن علفه ، ووكّل به سايساً من خدمه يقوم به وينظفه ويكنس

تحتة ، وكان يتعبد له سرّاً من أهل مملكته فبرىء من علته وعاد الى أحسن أحواله .

وقيل إنه أول من عملت له عجل مموعة بالذهب ، وعليها قباب من خشب مذهب ، وكانت تفرش بأحسن الفرش وتساق الى موضع المنزهات ، وقيل إنه عملت له في عله لانه كان لا يقدر على الركوب ، وكانت البقر تجره في العجلة فكان إذا مر بمكان نزه أقام به ، وان مر بمكان خرب أمر بعمارتة .

وقيل انه نظر يوماً الى ثور من البقر التي تجره أبلق حسن الخلفة والقرنين ، فأمر بتوقيفه والتعريض منه ، وساقه بين يديه الى موضع نزهته إعجاباً به ، وجعل عليه حللاً من حرير منسوج بالذهب ، فلما كان في بعض الايام خلا في موضع ، وقد تفرد عن عبيده سار اليه وسجد بين يديه .

فقال له : لو دام الملك على تربيتي واكرامي ، وتعبد لي كفيته مهمه على ما يريد ، وقويته في جميع أموره ، وأزلت عنه جميع علله .

فارتاع الملك لقوله ، وأمر بأن يغسل ويطيب ويكسى بالحرير المذهب ويوقف في الهيكل ، ووكل به من يخدمه في جميع أموره ويتعاهده بالمسح والتطيب وأمره بعبادته .

وأقام ذلك الثور يعبد مدة طويلة ، وافتنن الناس به ، وصار ذلك أصلاً لعبادة البقر ، وبني مواضع كثيرة في الصحراء والجبال وكثر فيها كنوزاً كثيرة وأقام عليها أعلاماً .

وبنى في صحراء الغرب مدينة يقال لها ديماس ، وأقام بها مناراً ، وكثر حولها كنوزاً ، ويقال ان هذه المدينة قائمة الى الآن ، وان قوماً جازوا بها من ناحية الغرب فسمعوا فيها عزف الجن ورأوا نيرانهم .

وفي بعض كتبهم أن ذلك الثور بعد مدة من عبادتهم له ، أمرهم أن يعملوا

صورته من ذهب ويعملوه أجوف، ويؤخذ من رأسه شعرات ومن ذنبه، ويؤخذ من لحاة قرنه وأظلافه ويجعل في ذلك التمثال ، وعرفهم أنه يلحق بعالمه ، وأن يجعلوا جسده في جرن من حجارة ، وينصب في الهيكل ، وينصب تمثاله عليه، وزحل في شرفه والشمس ناظرة اليه من تثليث ، وأن ينقش في التمثال ، علامات صورة الكواكب السبعة ففعلوا ذلك .

وعملت الصورة من ذهب وكللت بأنواع الجواهر ، وأدخلت صنمها سواد في بياض ، وجعل جسد الثور في الحدود التي حدها ، ونصب عليه التمثال فكان يخبرهم بالمعائب وبما يحدث وقتاً بعد وقت ، ويحييهم بكل ما يسألونه عنه .

وعظم أمر ذلك التمثال ونذرت له النذور وقربت له القرابين ، وقصده الناس من جميع أعمال مصر وما قرب منها ، فكان يخبرهم بما يريدون . وأقام مناورس ملكاً خمساً وثلاثين سنة ، وهلك من سل أصابه ، وعمل له ناورس تحت الجبل الغربي وجعل في جرن من حجارة .

وجعل وصيه من بعده ابنه مريدس الملك ، فجلس على سرير ملكه بعد أبيه وملك إحدى وعشرين سنة، وكان مضعفاً فلم يبن بلياناً ولا ينصب مناراً، ولا عملت في وقته أعجوبة ، فمات ودفن مع أبيه في جرن من رصاص .

وولي بعده اشمون الملك ، واشمون أخو قبليم الملك وكان وحده من اشمون الى منف ، وفي الشرق الى البحر المالح الى ما حاذى برقة الحمراء ، وهي آخر حد مصر ، وفي الصعيد الى حدود اخيم .

وكان ينزل اشمون لانه سماها باسمه عند بنيانها ، ونقل اليها أهله وولده وطولها اثنا عشر ميلاً في مثلها .

وأشمون أول من اتخذ الملاعب بالكرة والصولجان وغير ذلك ، وبني

القصور وغرس الأجنة وأقام المنائر ونصب الأعلام وبنى المدن وأكثر فيها من العجائب .

والقبط تزعم ان خبير اشمون كان أكثر الأخبار ذكراً وعجائباً وسحراً .
منها انه بنى مدينة في سفح الجبل سماها أفطراطس وجعل لها أربعة أبواب
جعل على الشرقي صورة عقاب ، وعلى الغربي صورة ثور ، وعلى الجنوبي صورة
كلب ، وعلى الشمالي صورة أسد .

وأسكن الكهنة بسجرهم في تلك الصور روحانية ، وكانت تنطق إذا
قصدها القاصد الغريب ، ولا يقدر على الدخول إليها إلا بإذن الموكلين بها ،
وجعل فيها شجرة تثمر كل لون من الفاكهة .

وجعل فيها مناراً طوله ثمانون ذراعاً ، على رأسه قبة تتلون كل يوم لونا
حتى تقضي سبعة أيام بسبعة ألوان ، ثم تعود إلى اللون الأول .

وكانت تلك الألوان تكسو المدينة لونا شعاعياً ، وأجرى حول ذلك المنار
ماء ساقه من النيل وجعل في ذلك الماء سمكا من كل لون .

وجعل حول المدينة طلسمات رهوسها رهوس القروذ وأبدانها أبدان الناس ،
كل منها لدفع مضرة واجتلاب منفعة .

ودفن تحت كل صنم من الأصنام المبنية الأربعة على أبوابها صنفاً من الكنوز
ولكل واحد منها قربان وبخور ، وكلام يوصل به اليه ، وأسكن فيها
السحرة .

وبنى بالقرب منها مدينة تعرف في كتبهم ذات العجائب في وسطها قبة
عليها أبدأ مثل السحابة تمطر مطراً خفيفاً شتاءً وصيفاً ، وتحت كل قبة مطهرة
فيها ماء أخضر يتداوى به من كل داء فيبريه .

وفي شرقها برجا لطيف له أربعة أبواب لكل باب منها عضادتان ، في كل عضادة منها صورة وجه كأنه يخاطب صاحبه ، وهو يكلمه بكلام يفهمه ، ويخبره بما حدث في يومه .

ومن دخل ذلك البرجا على غير طهارة نفخا عليه فأصابته فظيمة لا تفرقة أبداً إلى أن يموت .

ويقال ان في وسطها ابداً مهبط نور كأنه عمود من اعتنقه لم يعزب عن نظره شيء من الروحانيات ، وسمع كلامهم ورأى ما يعملون .

وعلى كل باب من أبواب هذه المدينة صورة راهب في يده كالمصحف فيه علم من العلوم ، فمن أحب ذلك العلم أتى تلك الصورة فمسحها بيده وأمرها على صدره فيثبت ذلك العلم في صدره .

ويقال ان هاتين المدينتين سميتا على اسم هرمس وهو عطارد وإنما إلى الآن على حالهما .

وحكي عن رجل أتى عبد العزيز بن مروان وهو والي مصر ، فعرفه انه رأى في صحراء الغرب وقد أوغل في طلب جمل له ضل ، فوقع إلى مدينة خراب وانه وجد منها شجرة عظيمة تحمل من كل صنف من الفاكهة، وانه قد أكل منها وتزود ، فقال له رجل من القبط هذه إحدى مدن^(١) هرمس وفيها كنوز كثيرة، فوجه عبد العزيز جماعة من ثقاته ، ووجه معهم ، وتزودوا زاد شهر ومشوا يطوفون تلك الصحارى زمانا ، فما وجدوا لها أثراً .

وكان اثنون أعدل ولد أبيه وأرغبهم في صنيعه ، وأحبهم في عمل يبقو ذكره وهو الذي بنى المجالس المصفحة بالزجاج الملون في وسط النيل .

(١) في ب : إحدى مدينة .

ونقول القبط إنه بنى سرباً تحت الأرض من أشمون إلى انصباب النيل ،
وقيل إنه عمله لنسائه لأنهن كن يمتصين إلى هيكل الشمس ، وكان هذا
السرب مبلط الأرض ، والحيطان بالزجاج الملون العجيب .

وقيل إن أشمون كان أطول إخوته ملكاً ، وقال أهل الأثر إن ملكه
ثمانائة سنة ، وإن قوم عاد انتزعوا الملك منه بعد ستائة سنة من ملكه ،
وأقاموا تسعين سنة ثم كرهوا البلد واستوبؤوه ^(١) فرحلوا عنه إلى الراهبة
من طريق الحجاز إلى وادي القرى ، فعمروها واتخذوا المنازل والمصانع
والقرى ، وسلط الله عليهم القر فأهلكهم .

وعاد ملك مصر إلى أشمون بعد خروجهم من البلد ، ويقال إنه عمل في
وقته وزعة من نحاس ، وكان الغريب إذا جاء ليدخل صاحت الرزة وصفقت
بجناحيها فيعلم به أهل البلد ، فان أحبوا أدخلوه ، وإن أحبوا تركوه .
وكثرت الحيات في وقته فاحتال لها بحيلة كانوا يأخذونها بأيديهم ،
ويعملون من شحومها ولحومها أدوية ودرياقات .

وهو أول من عمل النيروز بمصر ، يقيمون سبعة أيام يأطون ويشربون
إكراماً للكواكب بزعمهم .

وفي زمانه بنيت البهنسا ، وأقام بها مطراناً ، وجعل فوقها مجلساً من
زجاج أصفر وعليه قبة مذهبة ، وكانت الشمس إذا طلعت ألفت شعاعها
على المدينة .

ويقال إنه ملكهم ثمانمائة سنة وثلاثين سنة ، ومات ودفن في إحدى
الاهرامات الصغار [القبلية] ^(٢) .

وقيل بل عمل له طاووس في آخر أشمون ودفن معه مال كثير وعجائب كثيرة ومن الذخائر ما لا يحصى كثرة ، ودفنت معه أصنام الكواكب السبعة التي كانت في هيكله، وعشرة آلاف سرج من ذهب وفضة وعشرة آلاف جام ونضار من ذهب وفضة ، وزجاج مسبوك وألف برنية من العقاقير المدبرة لقبول الأعمال ، وزبر على ذلك كله اسمه ومدة ملكه .

وخلف على الملك ابنه الشاد الملك ، فولي وهو غلام ابن خمس وأربعين سنة وكان متجبراً معجباً بطاح العين ، فابتز امرأة من نساء أبيه ، فانكشف أمره وعرف خبره ، وكان أكبر همه اللهو واللعب ، فاجتمع اليه كل مله كان في ملكه وقصده كل من كان في يده شيء من أنواع الملاهي والملاعب ، وانفرد للعب بهم وترك النظر في أمور الناس .

وعمل قصوراً من خشب عليها قباب منقوشة بموهة بالذهب ، وكان يحملها على المراكب في النيل ويتنزه فيها مع من يحب من نسائه وخدمه ومن يليه .

وعمل عليه الأروقة المذهبة وفرشها بأحسن الفرش وفاخره ، وكان يتنزه عليها وتجرها البقر ، ويقيم في نزته شهوراً لا يمر بموضع إلا أقام فيه ، وولد من السحر توليداً كثيراً واستنفذ أكثرها في خزائن أبيه ، وذهب خواجه في جرائد الملهم والنفقات في غير وجوها ، فلما اسرف في ذلك اجتمع الناس إلى وزيره فأنكروا حاله عنده ، وسألوه مساءلته والاشارة عليه بالاقلاع عما هو عليه ، فضمن لهم ذلك ، ثم فاضه فيه وبين له ما يجب تبينه وحذره من العواقب اللاحقة من التفريط بما يكره فلم يفته ، وسلط أصحابه على الناس فأساءوا إليهم وأضرروا بهم .

وخرج الملك ذات يوم إلى متنزه له قد صفح مجالسه بصفائح الذهب والفضة

وغرائب الجوهر الملون ، وأجرى اليه المياه وغرس فيه نفيس الرياحين ، وفرشه بأصناف الفرش الملونة .

وكان إذا أحب ان يخلو بامرأة من نسائه خلى بها هناك ، وأنه في ذلك المنزه ، وقد أقام فيه أياماً إذ خرج غلام من بعض خدمه ، فأتى بعض التجار في حاجة له ، وكانت له خادم فأراد أخذها منه بغير ثمن فتمعه منها فوثب عليه يريد ضربه ، فاجتمعوا عليه وضربوه حتى أسالوا دمه وحل وقيد .

واتصل خبره بالوزير وصاحب الجيش فركبا إلى الموضع وانكرا على الناس ما فعلوه وأسمعاهم فأغلظوا لها وأسمعوها ، فانصرفا منضبطين وقالا ما نرى ستر هذا عن الملك وعرفاه الخبر ، فلم يحفل بها وأمر بالنداء في الناس من تعرضكم من خدم الملك وأصحابه فاقتلوه ، فحمد الناس أمره وشكروا فعله وتواصوا بالوثوب على أصحابه ، حتى إذا مضى لذلك اسبوع وجه إلى وزيره وصاحب جيشه أنه عزم أن يركب إلى صحراء القرب يتصيد هناك ، وأمر أن يركب معه جيشه ، وأن يتزودوا لثلاثة أيام ففعلوا ، واجتمعوا إلى بابه فاستدعى الوزير ، وأسر اليه أنه يريد الانتقام من العامة ، وخرج الملك وجيشه في أحسن زي وهيئة وسار إلى موضع غير بعيد .

فلما اختلط الظلام رجع بالجيش حتى وافى باب المدينة ، وأمر أصحابه أن يضعوا أيديهم في الناس فقتلوا خلقاً كثيراً ، وأمر بحرق الموضع الذي قتل فيه الغلام .

ثم أمر ان ينادى : هذا جزاء من أقدم على الملك من رعاياه وأصحاب مهنتهم من العامة وغيرهم ، فاستغاث الناس ، فأسر إلى وزيره ان يطرح نفسه بين يديه ويسأله فيهم ففعل فأمنهم ، وقال لهم ، من عاد منكم فقد أحل دمه

فشكروا فعله واصصرفوا ورجع إلى ما كان عليه وأعظم .

واحتجب عن الناس واستحلت الهياكل والكهنة فأبفضه العامة والخاصة
وابتغوا له الفوائل ، فاحتال عليه خاصته بطباخه وسقائه فسباه ، فمات وهو
ابن مائة وعشرين سنة ، فكان ملكه خمساً وسبعين سنة .

وصار الملك بعده إلى ابنه صاصا ، وأكثر القبط تزعم ان صاصا هذا
اخو الشاد وانه ابن مرييس الملك .

ولما جلس صاصا على سرير الملك دخل الناس عليه يهنئونه ، فوعدهم العدل
فيهم وحسن النظر لهم ، وسكن منف ونفى المهين وأهل المجالات وأهل
الشر ومن كان يصحب أباه .

وأصلح الهياكل ورد الكهنة إلى مراتبهم ، وعمل بمنف عجائب كثيرة
وطلسيات ، وأجرى فيها الأنهار ، ونصب العقاب الذي كان عمل قبله على
موضعه وشرف هيكله ودعى اليه .

وعمل بمنف مرآة يعرف بها زمان الخصب والجذب وما يحدث ببلده ، وبني
داخل الواحات مدائن ، وغرس فيها نخلاً كثيراً ، ونصب غرب البحر اعلاماً
كثيرة ، وعمل خلف المقطم صنماً يقال له صنم الحيلة ، فكان كل من أعجزه
امر أتاه يسأله ، فيخبره ويبين له ما عزب عن معرفة منه .

وجعل على أطراف مصر أصحاباً يرفهون له ما يجري في حدود
أرضه ، وعمل على غربي النيل منابر إذا قصدهم قاصد يوقد عليها فيصل اليه
الخبر من ليله أو من يومه ، وجعل على البحر المالح مثل ذلك ، وוכל يجمعها
جماعة يجرسونها .

وهو أول من اتخذها ، ويقال إنه بنى أكثر منف ، وكان له بنيان عظيم بالاسكندرية .

ولما ملك واستولى على البلد بأسره ، جمع اليه حكماء أهل بلده ونظر في النجوم وكان بها حاذقاً ، ورأى أن بلده لا بد له من أن يدخل اليه طوفان عظيم من نيلها فيكاد بفرقها ، ورأى أنه يحدث على يدي رجل يأتي من ناحية الشام .

فجمع كل فاعل بمصر وجهاتها وبنى في ألواح الأقصى مدينة ، جعل طول حصنها في الارتفاع خمسين ذراعاً ، وأودعها جميع الحكم والأموال ، وهي المدينة التي وقع عليها موسى بن نصير في زمن بني أمية لما قلد المغرب ، لأنه لما دخل مصر ، أخذ على ألواح الأقصى بالنجوم وكان عنده علم منها .

فأقام سبعة أيام يسير في رمال بين سمت الغرب والجنوب ، إلى أن ظهرت له مدينة فيها حصن وأبواب حديد ، فرام أن يفتح باباً من أبوابها ، فأعياه ذلك لغلبة الرمل عليها ، وعلى ما حولها ، فأصعد اليها الناس ، فكل من سجد منهم وأشرف ، وثب داخلها لا يعلم كيف يقع ، ولا على ما يسقط ، ولا ما يصيب .

ولما لم يجد فيها حيلة تركها ومضى ، وقد فقد فيها جماعة من أصحابه ، وحرروا عرض حصنها عشرين ذراعاً ، وهلك في طريقه منصرفاً عنها جماعة من أصحابه ، ولم يسمع أن أحداً قبل موسى بن نصير ، ولا بعده وقع عليها .

وفي تلك الصحاري أكثر متنزهااتهم ومدائنهم العجيبة وكنوزهم العظيمة ، إلا أن الرمال غلبت عليها .

ولم يكن لمصر ملك، الا وقد عمل للرمل طلسماً يبعدها ويوقفها ، ثم تفسد
طلسماتها على تقادم الأيام

ولا ينبغي لأحد أن ينكر كثرة بنينهم ومدائنهم . وما نصبوه من
الأعلام العظام .

فقد كان للقوم بطش لم يكن لغيرهم ، وفيما يظهر من آثارهم بيان تحقيق
ما يذكر عنهم .

من ذلك مثل هذه الأهرام والأعلام العظام المشهورة بالاسكندرية ، وفي
صحراء الغرب عجائب باقية من ذلك ، وما لهم من الجبال المنحوتة التي جعلوا
كنوزهم فوقها ، فلا يصل أحد إليها ، وكذلك الأودية المنحوتة ، ومثل ما
بالصعيد من مدائنهم ، وما نقشوه عليها من حكمهم ، فإنه لو تعاطى أحد
من ملوك الأرض أن يبني مثل الهرمين ، أو جميعهم ما تها لهم ذلك ، وكذلك
لو أرادوا أن ينقشوا ثوباً واحداً لطلال عليهم الأمر وتركوه .

وحكي عن قوم في ضياع الغرب ، أن عاملاً من عاملهم عنق بهم ،
فدخلوا في صحراء الغرب ، وحملوا معهم زاداً إلى أن تصلح أمورهم ويرجعوا
إلى منازلهم ، وكانوا على يوم وبعض آخر ، فسجلوا إلى جبل ، فوجدوا
غيراً أهلياً قد خرج من بعض شعابه ، فتبعه نفر منهم ، فأخرجوه إلى مساكن
وأشجار ونخل ومياه وناس ، فهم يسكنون تلك الناحية ، ويتناسلون
ويزرعون ، ولا يطلبهم أحد بخراج .

وأخبروهم أنهم لم يدخلوا إلى ضياع الغرب ، فصاروا نحوهم بأهليهم ومواسيهم
وجميع أموالهم ، فأقاموا مدة يطلبون الطريق فما وجدوه ، ولا عرفوه ،
ولا وقفوا له على خبر ، ولا نأتى لهم الوصول إليهم ، فرجعوا آيسين على ما
فاتهم من ذلك الموضع .

وحكي أيضاً عن آخرين أنهم ضلوا في طريق الغرب ، فوقعوا إلى مدينة كثيرة الماء والشجر والناس والمواشي والنخل والزرع ، فأضافوهم وأكلوا عندهم وأباتوهم في دار فيها طاحونة يعمل فيها الخمر ، فشربوها معهم حتى سكرروا وناموا ، فلما انتبهوا عند طلوع الشمس وجدوا أنفسهم في مدينة خراب ليس فيها أنيس ولا عمارة ، فارتاعوا وخرجوا على وجوههم كاهاربيين ، وساروا يومهم على غير سمت حتى قرب المساء ، فظهرت لهم مدينة أكبر من الأولى ، وأمر وأكثر أهلاً ودواباً ونخلاً وشجراً وزرعاً ومواشي ، فأنسوا بها ، ونزلوا عندهم فأخبروهم بخبر المدينة الأولى .

فجعلوا يحبون من ذلك ويضحكون منهم ، وإذا لبعض أهل المدينة وليمة فانطلقوا بهم اليها فأطعموهم بها ، وسقوهم وغدوهم بأصناف الملهي ، وسألوهم عن أخبارهم ، فأخبروهم أنهم ضلوا عن الطريق في بعض هذه الصحاري ، فقالوا لهم الطريق بين أيديكم واضح ، ولا يمكن أن تفلطوا فيه فان أحببتم المسير وجهنا معكم ، من يوقفكم على سمت الطريق الكبير الذي يؤديكم إلى مكانكم ، وإن أحببتم أن تقيموا عندنا ، أرفدناكم وزوجناكم عندنا ، وكنتم أصهارنا وإخواننا ، فسروا بذلك من قولهم . فأجمع بعضهم على المقام معهم ، وأجمع أكثر من كان منهم له أهل وولد على أن يأخذ أهله وولده فيسير نحوهم قالوا فبئنا معهم خير مبيت ، ثم غمنا فلما كان في الغد انتبهنا فوجدنا أنفسنا في مدينة عظيمة خراب قد تشعت بعض حصونها ، وليس بها أحد من الناس إلا ان حولها نخلاً كثيراً قد تساقط ثمرها ، وتكدس حولها . فاحققنا لذلك من الخوف والارتياح والوحشة ما كاد يتلفنا .

فخرجنا منها مفكرين فيما عايناه ، وإنا لنجد روائع الخمر معنا ومعاني السكر فينا ظاهرة ، فلم نزل نسير يومنا أجمع ، وليس بنا جوع ولا عطش ،

حتى إذا كان المساء واقفينا راعياً يرعى غنماً له ، فسألناه عن العمارة والطريق ، قال إن العمارة قريب منكم ، فإذا نحن بأنهار فيها الماء ، فنزلنا وشربنا منها وبتنا ثم أصبحنا ، فإذا نحن في غير موضعنا الذي كنا فيه ، وإذا معنا الناس والعمران ، وما مشينا إلا بعض يوم حتى دخلنا مدينة الأشمون في الصعيد ، فكنا نحدث الناس فلا يقلون منا .

وهذه مدائن القوم الداخلة القديمة قد غلبت عليها الجن ، ومنها ما قد ستر عن العيون فلا يراه أحد .

وذكر بعض القبط ، أن رجلاً من بني الكهنة الذين قتلهم الشاد سار إلى الافرنجة فذكر للملكهم كثرة كنوز مصر وعجائبها ، وضمن له أن يوصله إليها وإلى ملكها وأموالها ، ويدفع عنها طلباتها حتى يبلغ جميع ما يريد ، ويعرفه مواضع الكنوز .

فعزم ملك الافرنجة على غزو مصر وجهاتها ، فلما اتصل بصاحب مصر أن ملك الافرنجة تجهز إليها ، عمد إلى جبل بين البحر المالح وشرقي النيل ، فأصعد إليه أكثر كنوزه ، وما كان في خزائنه ، وصفح ظاهرها بالرصاص . وأمر ففتحوا جوانب الجبل إلى منتهى خمسين ذراعاً ، وجعلوا في آخر المنحوت منه الصور البارزة خارجة في النحت بقدر ذراع ، وهو جبل مدور في جرمه إلا أنه رفيع السمك .

ثم انصرف الملك إلى مصر ، وتأهب بما قدر عليه ، واستظهر بما أمكنه ، وجعل ينتظر ملك الافرنجة .

وأن ملك الافرنجة حشد وجيش ما أمكنه وقصد مصر ، وكان لا يمر بشيء من عجائبها وطلاسمها وغرائب أعمالها ومناراتها إلا قدر عليه وغيره وأفسد ما صادف من أصنامها ، وذلك كله أمكنه بمعونة ذلك الكاهن .

حتى أتى الاسكندرية الأولى فعات فيها وهدم كثيرا منها وغير معالمها، إلى أن دخل النيل من ناحية رشيد، وصعد إلى منف، وأهل تلك البلاد يحاربونه وهو ينتهب ما مر عليه، فوجد منفًا بمنعة بالطلسمات الشداد، والمياه العميقة والسرادات العالية فأقام عليها أياما كثيرة فحاربها طمعا أن يصل إليها، فلم يقدر ورأى كثرة الناس عليها، وأنهم كل يوم يزيدون وأصحابه ينقصون، فاغتاط على الكاهن وأراد قتله فلم يمكنه.

وفر إلى أهله فسيروه حتى أمر الكهان إلى أوله من الظهور فرجع إلى حاله^(١) وهلك من أصحابه خلق كثير، واجتمع أهل النواحي فقصدوا مراكبهم، فأحرقوا أكثرها فأجمع هو ومن معه على الهروب.

ولما علم أهل مصر بذلك الكاهن الذي كان معه، انخسدوا إليه بما قدروا عليه من المراكب، وظفروا بأكثر أصحابه فقتلوه وغرقوا مراكبهم، فكان أعظم مطالب ملكهم أن يخلص نفسه، فأسرع الهرب في مركب استجاده لمثل ذلك الحال.

ففر وسلط الله على مراكبهم رياحا غرقت كثيرا منها، فما عادوا إلى الأفرنجية إلا وملكهم قد ثقل بالجراحات التي أصابته، ورجع الناس إلى منازلهم وقرارهم ورجع الملك إلى مصر وترك ما كنزه في موضعه عتيداً له.

ويقال انه كان هناك إلى هذا الوقت، ولم يزل بعد ذلك الوقت ينفزو بلاد الروم، وأهل الجزائر، ويعيث فيها ويخربها، فهابته الملوك.

وأقام ملكا سبعا وستين سنة، وهلك ودفن بمنف في ناروسه الذي كان عمل له في وسط المدينة من تحت الأرض، وجعل الدخول إليه من خارج

(١) هكذا في الأصول، ولم نغير فيها شيئا.

المدينة من الجهة الغربية ، وحمل اليه أموالا عظيمة ، وجواهر كثيرة وطلسمات وقنايل كما فعل أجداده من قبله .

وكان فيه أربعة آلاف تمثال على صور شتى برية وبحرية ، وتمثال عقاب من جواهر أخضر عند رأسه ، وتمثال تنين أخضر من ذهب مسبوك عند رجله ، وزبر عليه اسمه وسيرته وجميع أموره .

وعهد ابنه إلى بداونس الملك وهو أول من ملك الأجناد وصفا له ملك مصر وكان بداونس الملك محنكا مجربا ذا أيسد وقوة ومعرفة بالأمور ، فأظهر فيهم العدل ، وأقام الهياكل ورد أهلها وأكرم الكهنة ، وزاد في أطافهم ، وبني بغربي منف بيتا عظيما للزهرة ، وزبر فيه كتب كثيرة من العلوم وكساه الحرير وعمل عيداً كبيراً اجتمع اليه جميع الأجناد .

وكان صنم الزهرة من اللازورد موشحا بذهب يبرق مسورا بسواري زبرجد أخضر ، وكان في صورة امرأة لها ضفيران من ذهب أسود مدبر ، وفي رجلها خلخالان من حجر أحمر كالياقوت ، ونعلان من ذهب ، وفي يدها قضيب مرجان وهي تشير بسبابتها كالمسلمة على من في الهيكل .

وجعل حذاءها من الجانب الآخر بقرة ذات قرنين وضرعين من نحاس أحمر مموه بالذهب موشحة بحجر اللازورد ووجه البقرة محاذ إلى وجه صنم الزهرة ، وجعلوا بينها مطهرة من أخلاط الأجساد على عمود رخام مجزع فيها ماء مدبر بقوة من الزهرة يستشفى بها من كل داء ، وفرش الهيكل بحشيشة الزهرة تنالوها في كل سبعة أيام .

وجعل فيها كراسي الكهنة مصفحة بالذهب والفضة ، وقرب فيها ألف رأس من الضأن والمعز والوحش والطير ، وكان يحضره يوم الزهرة وبطوف به ، وكان قد فرش الهيكل وستره عن عين الزهرة وشمالها .

وكان في أعلى قبة الهيكل صورة رجل راكب على فرس له جناحان ومعه حربى سنانها رأس إنسان معلق ، وبقي هذا الهيكل إلى زمان بخت نصر وهو الذي هدمه .

ويقال ان بداونس هو الذي حفر خليج بخارى^(١) فارتفع له من الخراج في بلده مائة الف الف وخمسون الف الف .

وقصده بعض المعالقة غازيا له من الشام ، فلما سمع به جيش وخرج اليه ، ولقيه وهزمه ودخل فلسطين فقتل فيها وسبا خلقا كثيرا ، وسبا بعض حكامها واسكنهم مصر فهابته الملوك .

وعلى راس ثلاثين سنة من ملكه طمع السودان من الزنج والنوبة في ارضه ، فهجموا على بعض الاطراف فعاثوا وافسدوا .

فأمر يجمع الجيوش من اعمال مصر ، وأعد المراكب ووجه قائدا من قواده يقال له بلوطس .

وفي ثلاثمائة ألف بين راكب وراجل ، واتبعه بقائد آخر في مثلها ووجه في البحر ثلاثمائة سفينة وجعل في كل سفينة كاهنا يعمل أعجوبة .

وسار هو في أثرهما فيمن بقي من الجيوش ، فلقوا جيوش السودان وكانوا زهاء الف الف فهزموهم وقتل اكثرهم ، فأسر منهم كثيرا ، وتبعهم الجيوش حتى وصلوا إلى أرض الفيلة من أرض الزنج فأخذوا منها عدة كثيرة ، وأخذ معها كثيرا من التمور والوحش وسيقت الى مصر .

ونصب على حدوده منارات وزبروا عليها مسيره وظهوره والوقت الذي غزا فيه السودان ، وذكر كل ما عمل في أيامه .

(١) هكذا في الأصول .

ولما انصرف الى مصر واستقر بها، اعتل ورأى رؤيا تدل على موته ،
فعمل لنفسه ناووساً ونقل اليه من أصنام الكواكب كثيراً ، ومن الذهب
والجوهر الملون والتأثيل الغريبة الصنعة والآلات والذخائر ما لا يعلم جودته
وكثرته ، فلما هلك دفن فيه وزبر على بابه في الحجارة اسمه وتاريخ الوقت
الذي مات فيه ، جعلت عليه طلاس تمنع منه .

وكان قد عهد إلى ابنه بعده بمالك الملك ، وكان أديباً عاقلاً كريماً حسن
الوجه مجرباً مخالفاً لأبيه في عبادة الكواكب والبقر ، ويقال إنه موحد على
دين قبطيم ومصرام ، فكانت القبط تدمه بذلك

وكان سببه فيما ذكر، أنه رأى رؤيا فيها يراه النائم ، كأنه أتاها رجلان لهما
أجنحة فاخطفاه واحتملاه إلى الفلك ، وأوقفاه حذاء شيخ أسود أبيض
الرأس والاحية ، فقال له هل تعرفني؟ فدخلته منه روعة لحدثه ، وكان سنه
نيفاً وثلاثين سنة ، فقال له : ما أعرفك ، فقال له أنا بشر ، يعني رجلاً ،
فقال قد عرفتك ، قال أنت إلهي ، فقال إنك وإن كنت تدعوني إلهاً فإني
مربوب ملك، وإلهي وإلهك الذي خلق السموات والأرض وخلقني وخلقك ،
قال : فأين هو ؟ قال : في الملو الأعلى ، [تعالى] لا تلحقه الظنون ولا تراه
العيون ، ولا يشبهه شيء ، وهو الذي جعلنا سبباً لاقامة العالم الأسفل
وتدبيره ، قال : كيف نعمل إذا ؟ قال : تضمّر في نفسك ربوبيته وتخلص
وحدانيته وتعتزف بأزليته ، ثم أمر الرجلين فانزلاه إلى موضعه ، فاستيقظ
مذعوراً وهو على فراشه .

فدعا رأس الكهنة فقص عليه رؤياه ، فقال له : عاهدتك أن لا تتخذ
الأصنام آلهة فانها لا تضر ولا تنفع ، قال فمن أعبد ؟ قال : الله الذي خلق
السموات والأرض وخلق جميع ما فيها من أموال وغيرها .

قال وكيف أقدر على رد نفوس العالم عما هم عليه ؟ قال اعتقد على ذلك نيتك ، وأخلص ضميرك وصف به قلبك ، وإذا غبت عن عيون الناس وانفردت فاعمل ما أمكنك ، ودم للناس في الظاهر على ما كان عليه جدودك ، فقبل الملك ذلك القول منه واعتقده وعمل به .

فكان يحضر للهيكل ويسجد للصنم ، منحرفاً عنه بقلبه مبغضاً له كافرأ به ، وهو يضمّر أن سجوده لله عز وجل .

واستعمل كثرة الغزوات وموالاته الأسفار والجولان في البلاد ، وكل ذلك لتطول غيبته عن مصر ويبعد عن الهيكل .

وقال بعض أهل مصر إن الله أيده بملك من الملائكة يعضده ويرشده ، وربما أتاه في نومه فأمره ونهاه ، وأخبره بما يريد معرفته ، فأمر الناس عند ذلك باتخاذ كل سجادة من الخيل وكل جيد وجميل من السلاح ، وأعد الزاد ، واتخذ في بحر المغرب مائتي سفينة .

وخرج في جيش عظيم في البر وفي البحر ، فلقبه جموع البربر فهمزهم وقتل أكثرهم .

وبلغ أفريقية ، واستأصل أكثرها ، وخرج منها ، وكان لا يمر بأمة إلا أبادها إلى أن غزا من ناحية الأندلس يريد الأفرنجية .

وكان بها ملك عظيم يقال له افريوس ، فحشد اليه من كل النواحي ، فأقام يحاربه شهرأ ثم طلب صليحه ، وأهدى اليه هدايا كثيرة ، فقبل ذلك منه وسار عنه ودعا الأمم المتصلة بالبحر الأخضر فأطاعوه ، ومر بأمة لها حوافر ولهم قرون صغار ، ولهم شعور كشعور الذئبة ، ولهم أنياب دلف بارزة من أفواههم ، فقاتلهم قتلاً شديداً حتى انتخنهم ، فنفروا عنه إلى غيران لهم مظلة ، فلم يمكن لهم دخولها عليهم .

والقبط تزعم أنه رأى سبعين أعجوبة سنذكر منها بعد هذا ، وعمل على البحر أعلاماً وزبر عليها اسمه ، وخرب مدن البربر حيث كانت ، وألجأهم إلى قرون الجبال ، ورجع فتلقاته أهل مصر بصنوف اللهو والطيب والرياحين ، وفرشوا له الطرق ، ودخل قصره موفوراً ظاهراً ، وأخرج إليه ابنه ، وكان ولد له من بعده فسر به وابتهج وكل فرحه ، واتصل خبره بالملك فهاووه ، وحملوا اليه الهدايا من كل جهة .

وبلغه ن قوماً من البربر والسحرة لهم تماثيل وبخورات عجيبة يضلون بها ، وتخاييل وهم في مدينة لهم يقال لها قرمودة في المغرب من أرض مصر ، وقد ملكوا عليهم امرأة منهم ساحرة يقال لها سطا .

واتصل به كثرة أذاهم للناس ، فغزاهم حتى إذا قرب منهم ساءوا عنهم مدينتهم وسحروه ، فلم يرها وطمسوا مياهم ، فلم يعرفها ، فهلك كثير من أصحابه عطشاً ، فلم يجد لهم حيلة في الوصول اليهم ، فزال عنهم ثم صعد إلى ناحية الجنوب .

ثم رجع اليهم على غير الطريق الذي سار اليهم عليها أولاً ، فمر بهم هيكلاً كانوا يحضرونه في بعض أعيادهم ، فأمر بهدمه فهدم بعضه ، وسقط منه موضع على جماعة من أصحابه من تولى هدمه فأهلكهم ، فلما رأى ذلك تركهم وانصرف عنهم ، وخرجوا إلى هيكلم فبنوه وأصلحوا ما فسد منه وحرسوه بطلمات محكمة ، ونصبوا في قبة صنماً من نحاس مذهب .

وكان إذا قصدهم أحد صاح الصنم صياحاً عظيماً منكرأ يربع منه كل ذي روح ويبعث ، فيخرجون اليه فيصطلونوه

وكانت ملكتهم أحذق منهم بالسحر فقالوا لها نعمل الخيالة في افساد

مصر وإيذاء أهلها ؟ فقالت لهم نعم ، فقالوا أنت أقدر منا ، فاعلمي فيها ما رأيته .

فعملت لهم أدوية سحرت فيها النيل ودفعتها إلى بعضهم ، وأمرتهم أن يمشوا بها إلى مصر ، والزرع في حقله على أن تؤخذ فيطرحون منها في النيل في أعلى مصر ، ويفرق بعضهم على أقطار مصر ، وحيث زرعهم الكثيرة ، فيفترقونها في كل جهة ، قليل غبار في كل جهة .

فما فعلوا ذلك فاض النيل في غير وقته وزاد على المهود ، وأقام المساء طوبلا على مزارعهم ، وأفسد زرعهم وغلاتهم ، وكثر فيه التماسيح والضفادع وكثرت العلل في الناس وانبثت فيهم الثعابين والعقارب .

فأحضر الملك الكهنة والحكماء ، وقال لهم أخبروني عن هذه الحوادث التي حدثت في بلادنا ، ولم تذكره في الطالع الذي وضعتوه لهذه السنة ، فكنا نتأهب لها . فاجتمعوا في دار الكهنة ، ونظروا وبحثوا حتى علموا أنهم أوتوا من قبل ناحية المغرب ، وأن امرأة عملته وألقته في النيل ، وفرقته على الجهات .

فعلم الملك أنه من قبل تلك الساحرة ، فقال لهم أجهدوا أنفسكم في هلاكها فقد بلغت فيكم من أذاها .

فاجتمعوا إلى الهيكل الذي فيه صور الكواكب وسألوه أن يحضر معهم فلم يمكنه الخلاف ، فلما أمسى لبس مسحاً ، وفرش رماداً ، واستقبل مصلاه ، وأقبل على الدعاء والابتهاال والتضرع إلى الله تعالى ، وقال : يا رب أنت إله الآلهة وملك الملوك ، وخالق الكل ، ولا يكون شيء مما دق وجل إلا بأمرك وحولك ، أسألك بجميع فضائلك وآياتك وأسمائلك أن تكفيننا أمر هؤلاء القوم .

فلم يزل كذلك حتى غلبته سنة من النوم ، فنام مكانه فرأى كأب
آتياً أتاه ، فقال له قد رحم الله تضرعك ، وعلم ضميرك وأجاب دعوتك ،
وهو مهلك هؤلاء القوم ومدمرهم ، وصارف عنك الماء المفسد والدواب
المضرة ، والأمراض المهلكة

فلما أصبح الكهنة غدوا عليه وسألوه حضور هيكلمهم على ما وجههم به .
فقال لهم قد كفيت أمر عدوكم ، وأزيل الماء المفسد والدواب المضرة عنكم ،
ولن تروا بعدها شيئاً تكرهونه ، فسكتوا ونظر بعضهم إلى بعض كالمتكررين
لما سمعوه ، ثم قالوا له قد سررنا بما ذكره الملك دام عمره ، وهم يضررون
التكذيب والاستهزاء .

وخرجوا عنه فقال بعضهم لبعض الرأي أن لا تقولوا شيئاً في هذا ، فان
كان حقاً ظهر سريعاً ، وإن كان باطلاً اتسع لكم اللفظ في ذمه ، وسيتبين
أسره .

فلما كان بعد يومين انكشف ذلك الماء المفسد ، وجففته الشمس ، وهلكت
تلك الدواب المضرة ، فعلم القوم صدق ما أخبرهم به .

وأمر الملك قائداً من قواده ورجلاً من الكهنة أن يمضوا يجيش حتى يعلموا
علم تلك المدينة ، فخرجوا إليها فأتوها ، فلم يروا مكروهاً ولا وجدوا
مانعاً .

فلما وصلوا إليها وجدوا حصنها قد سقط ، وأهلها عن آخرهم موتى ،
واحترق بعضهم ، واسودت وجوههم ، ووجدوا بعض الأصنام ساقطة على
وجوها ، وأموالهم ظاهرة بين أيديهم .

فطافوا المدينة وفتشوها فلم يجدوا فيها غير رجل واحد حياً ، كان مخالفاً

لدينهم بسبب رؤيا رآها ، ووجدوا من الأموال والجواهر وأصناف الذهب والتأثيل ما لا يحصى كثرة ؛ ولا يعرف له قيمة .

ووجدوا صورة كاهن لهم كانوا يتعبدونها ، وهي من زبرجد أخضر على قائمة من حجر البسد ، ووجدوا صورة روحاني من ذهب ورأسه من جوهر أحمر وله جناحان من در ، وفي يديه مصحف فيه كثير من علوم مصر في دفتين من ذهب مرصعتين بذهب ملون .

ورجدوا مطهرة من ياقوت أزرق على قاعدة من زجاج أخضر مسبوك ، وفيها فضلة من الماء الدافع للأسقام
ورجدوا فرساً من فضة من عزم عليه بعزائه ودخنه بدخنه وركبه طار به فيما زعموا .

ورجدوا غير ذلك من العجائب والآلات التي يستعملها السحرة والأصنام التي يتخذونها ، فجمعوا من ذلك ما خف حمله وثقل ثننه ، وأوقروا به دوابهم من جميع العجائب والتأثيل وغرائب ما كان فيها من الأشكال ، وحملوا جميعه إلى الملك ، وحمل الرجل الذي وجد حياً ، ووصلوا بذلك كله إلى الملك ، فابتهج بذلك وحمد الله تعالى على ما أولاه ، وسر الناس .

وبهت منه كهنة مصر ، ولم يعرفوا أصله ، فوجه الملك دواباً وعسكرأ ونهض معهم من شاء من العامة بأشمون ومصر ، فنقلوا جميع ما كان تبقى في المدينة من شيء له خطر ، فصار بأيدي الناس منه شيء كثير ، واستغنى فيها كثير من مساكين العامة وسوقتهم وسبق منه إلى الملك شيء كثير جداً .

وصار الموضع بعد ذلك زماناً طويلاً مطلباً لمن أمكنه المسير اليه ، وقل من مشى اليه ورجع خائباً .

واستحضر الملك ذلك الرجل الذي وجد سبياً فاستخبره عن أحاديثهم ،
فحدثه بأشياء ممجبة ، ثم قال :

وأعجب ما رأيت منهم أنه قصد المدينة منذ دهر ملك من ملوك البربر
جبار من أهل بيت تجبر ، فجاء يجمع كثيرة وجيوش كثيفة وتخايل
هائلة فأغلق أهل مدينتنا حصنهم ، ورتبوا المراهقين على أسوارهما
ولجأوا إلى أصنامهم وشيوخهم وكهنتهم يخضعون لها ويتضرعون إليها . وكان
لهم كاهن عظيم الشأن لا يكاد أن يخرج من منزله ، فسار إليه رؤساؤهم ،
وشكوا إليه ما دهاهم من عدوهم ، فخرج معهم إلى بركة لهم عظيمة بعيدة القعر ،
كانوا يشربون منها الماء ، فجلس على حافتها ، وأحاط الكهنة بها ، وأقبل
يزمزم على ماء البركة ، فلم يزل كذلك حتى فاض الماء وفار ، وخرج من وسطه
نار تتأجج وخرج من وسطها وجه كدائرة الشمس وعلى ضوئها فخرت الجماعة
سجوداً لذلك الوجه وجللهم نوره ، وجعل يعزم حتى ملأ البركة وارتفع حتى
صعد على أعلى القبة ثم ارفع إلى السماء فسمعوه يقول قد كفيناكم أمر عدوكم ،
فاخرجوا فخذوا أموالهم . فخرجنا بأجمعنا متخوفين حتى وصلنا مضربهم ،
فوجدناهم أموالنا لم يبق منهم حي ، فأخذنا جميع ما تركوه من مال وثياب
ودواب ، وآلة وانصرف أهل المدينة إلى مدينتهم فرحين ، وكانوا يأكلون
ويشربون ، فقلت لبعض الكهنة لقد رأيت عجباً من ذلك الوجه فما هو ؟
قال ملك الشمس تبدت فماتوا عن آخرهم كما رأيت ، فقال له الملك فما الذي
أهلكهم الآن ؟ قال لا أدري ، غير أنني أفقت من نومي في الليل فسمعت هدة
عظيمة إذ تهدم الحصن فأردت الخروج ولا علم لي بذلك فاذا بأصوات انكرتها
وضوء نار وروائح حريق ، وكنت ساكناً في موضع كالخان فيه خلق كثير ،
فصحت بكثير منهم فلم يستجب لي أحد ، فسرت أفترق باب المنزل فوجدته

مطلقاً فدخلت بيتي وأوقدت سراجاً بنار كانت عندي ، ثم مشيت على جميع من في الدار رجالاً ونساء صفاراً وكباراً ، فلم أجد أحداً منهم حياً فأقمت في نهاية من الرعب ابتهل إلى الله عز وجل وأدعو ، فلما أصبحت أقمت حتى طلعت الشمس و [بدا] النهار ، فلم أسمع صوتاً ولا حركة ، فخرجت فوجدت المدينة على ما وجدها أصحاب الملك .

وكان هذا الرجل عاقلاً مجرباً فاتخذهُ الملك صاحباً ووزيراً وأنيباً ، ولم يزل ممالك الملك على التوحيد لله تعالى والايان به ، وهو يسايس أهل بلاده ويدارهم عما في نفسه خوفاً من اضطراب ملكه عليه .

وأمر فبني له ناووس ، وأمر أن يدفن فيه إذا مات وحده ولا يدفن معه أحد من أهله ، وأمر أن لا يدفن معه ذهب ولا فضة ولا ثمنال ، وكتب بخطه صحيفة « هذا ناووس ممالك الملك ، ملك مصر وأعمالها ، مات وهو يؤمن بالله لا يعبد معه غيره ، ومتبري من الأصنام وعبادتها ، ومؤمن بالبعث والحساب والمجازاة على الأعمال عاش بكذا وكذا ، فمن أحب النجاة من عباد الله ، فليدن بما دان به » ، وقد كان دفن بموضع آخر كنوزاً كثيرة وزير عليها انه لا يخرجها إلا أمة النبي المبعوث في آخر الزمان يعني محمداً [عليه الصلاة والسلام] ودفع الصحيفة التي كتبها إلى الأمر بعده وأمره بسترها والاحتفاظ بها فإذا هو مات زبر ما فيها على ناووسه .

وكان طول حياته يقصد ناووسه يتعبد فيه مستتراً عن جميع العالم ولما أيقن بالموت دعا ابنه فأمر إليه التوحيد وأعلمه انه دينه ، ولم ير منه إلا الخير وأمره أن يدين به ونهاه عن عبادة الأصنام ، فدان بذلك مدة حياة أبيه ، ومات فدفنه ابنه في ناووسه وزبر عليه ما في الصحيفة .

فلما فرغ من أمره جلس على سرير الملك ابنه اخريتا الملك ، وتقلد الأمر

وكان ليناً سهلاً حسن الخلق فلما مات أبوه رجع عما كان عليه من التوحيد وصار على دينهم .

وكان سبب رجوعه إلى عبادة الأصنام أن أمه كانت بنت كبير من الكهان ففتلته بعد موت أبيه إلى دينها وغلته على رأيها ، فأمرت بتجديد الهياكل وشددت في عبادة الأصنام .

وتزوج الملك امرأة من بني عمه ، فأحبها حباً شديداً فهم بها فأفسدته على جميع نسائه ، فاشتد ذلك على أمه .

وكانت له قهرمانة من أهل أسبوط ساحرة لا تطاق ، وكانت تميل إلى هذه المرأة لأنها كانت تعشق أخاها ، فزادت في سحرها لتلك المرأة وأوحشت ما بين الملك وأمّه حتى رفضها واستخف بها ، وزادت في القصة حتى حلف أنه لا يجاورها ، وإن يغزو ويتصرف ولا يرجع إلى مصر حتى يتصل به [خبر] موتها ، ففعل ذلك وغزا بلاد الهند وارض السودان .

وكان سبب خروجه إلى أرض الهند [أن] ملكاً من ملوكها يقال له ميسور خرج في عدد كثير في البر وسائره مراكبه في البحر ففتح بلدانا وجزائر ، وأكثر القتل والسبي ، وذكرت له مصر فقصدتها ثم اعتل فرجع من طريقه . فأمر اخريتا الملك فعمل مائة سفينة في صور المصريات ، واستعد وخرج في ثلاثمائة سفينة وحمل المرأة معه ، وحمل وجوه أصحابه .

واستخلف على مصر ابنه كليكن وكان صبياً ، وحمل معه وزيراً له يقال له لاون ، وكاهناً يقال له وسموس ، وخرج فمر على ساحل البحر وعانت مراكبه فيها ، فكان لا يدخل بلداً إلا أقام فيها صنماً وزبر عليه اسمه وسيرته ووقته . وبلغ سرنديب فأوقع بأهلها ، وغنم منها أموالاً وجواهر كثيرة وحمل منها حكماً لهم بارعاً ، وبلغ جزيرة بين الهند والصين ووجد فيها قوماً طولاً سمراً يجرون شعورهم ، ورأى عندهم اللعاب والطيور التي لا تعرف وشجرة

الطيب والنارجيل والفواكه التي لا تكون إلا عندهم ، فأذعنوا اليه بالطاعة وحملوا اليه أموالا وهدايا فقبلها وسار عنهم .

وجعل يتنقل في تلك الجزائر عدة سنين ، يقال إنه غاب عن مصر في سفره سبع عشرة سنة .

ورجع إلى مصر غائما موقورا فوجد أمه قد هلكت ، وكان أهل مصر قد أيسوا منه ، فورد على الناس من رجوعه أمر عظيم من الفرح ، وكان معهم على حالهم من السلامة والوقور والظهور .

ووجد ابنه كلكن على ماتركه من الملك فسر بذلك وهابته الملوك ، وعظم قدره في أعين الناس ، ثم بنى عدة هياكل وزينها وحلاها ، وأقام فيها أصناما للكواكب ، لأنه زعم أنها هي التي أيدته في سفره حتى ظفر وغنم ونجا ، وقد كان حمل معه من الهند طبيبا وحكيا ، وحللا مع أنفسهم كتبها وعزائمها ، فأظهرا بمصر عجائب مشهورة .

وحمل معه من بلاد الهند صنما من ذهب مقرطا بالجواهر ، ونصبه في بعض الهياكل التي أقامها .

وكان حكيم الهند هو الذي يقوم عليه ويخدمه ويقرب له ، فكان يخبرهم بكل ما يريدونه .

وأن أخريتا الملك أقام بعد منصرفه من الهند مدة ، ثم غزا نواحي الشام فأدى إليه أهلها الطاعة ، ثم رجع إلى مصر وغزا نواحي النوبة والسودان فصالحوه على هياكلهم بأنارة أدوها اليه فتركهم ورجع إلى مصر .

وملكهم خسا وسبعين سنة ، وعمل لنفسه في صحراء الغرب ناووسا ، وأمر أن يدفن فيه إذا مات ، ثم سار إلى رفودة وعمل فيها مصانع وعجائب ، وأقام بها إلى ان مات ، وابنه على المملكة بمنف .

ولما مات ضمد جسمه بالمومياء والكافور والمر وجعل في تابوت من ذهب وحمل إلى ناووسه ودفن فيه ودفن معه مال كثير وجوهر نفيس وتماثيل كثيرة وسلاح عجيبة وعقاقير وكتب خطية .

وصورت في جوانب الناورس صورته وزبر عليها ذكر السنين التي غزا فيها والبلدان التي فتحها ، والمرأة التي غلبها ، وسدوا باب الناورس ، وزبروا اسمه ومدته عليه وتاريخ موته .

وكان جميلاً سمح الاخلاق ، وقتل جماعة من نسائه أنفسهم عليه واغتم عليه الكهنة لا تباعه دينهم .

وملك بعده ابنه كلنكلن الملك فعمد تاج الملك بعدموت أبيه بالاسكندرية وأقام بها شهرين ، ورجع إلى منف ، وكان على دين أبيه فاستبشر به أهل مصر لانه كان يحب الكهنة وإظهار المعائب ويقرب أهلها ويكثر جوائزهم . ولم يزل يعمل طول عمره فحزن أموالاً عظيمة ، ودفن منها بصحراء الغرب ما لا يوصف كثرة .

وهو أول من أظهر صنع الكيمياء بمصر ، وكانت مكتومة [وكان يطرح المثقال الواحد على القناطير من النحاس الكثيرة ، فيصنعها باذن الله تعالى ذهباً] ^(١) .

وكان الملوك قبله رأوا كتم عملها لئلا يجتمع عليها ملوك الامم ، فترك كلنكلن ذلك الرأي وعمل الكيمياء وملاً دور الحكمة منها حتى لم يكن الذهب قط أكثر منه في أيامه ، ولا الخراج لانه بلغ وقته فيها حكاك بعض القبط مائة ألف ألف وسبعة عشر ألف ألف ، واستغنوا في وقته عن إثارة المعادن لقلة حاجتهم إليها ، وعمل أيضاً من الحجارة المسبوكة الصنم الملون الذي ينشف شيئاً كثيراً [وعمل ايضاً حجارة شفافة ملونة من الفيروزج واليشم والزبرجد وغيرها] ^(١) .

وتحكي القبط أنه اخترع أشياء تخرج عن العقل حتى سمته [الحكماء] ^(١) حكيم الملوك ، وغلب جميع الكهنة في علمهم وكان يخبرهم بما يفيب عنهم فخافوه واحتاجوا إلى علمه

وكان نمرود إبراهيم في زمانه ، ويقال أنه لما اتصل بالنمرود وحكمته وسحره استزاره ، وكان النمرود جباراً مشوه الخلق سكن سواد العراق ، وكان الله آتاه قوة وبطشاً ، فغلب على كثير من الأمم ، فتقول القبط لما يريدون من تعظيم ملوكهم أن كلكن لما استزاره النمرود وجه إليه أن يلقاه منفرداً من أهله وحشمه لموضع كذا .

فأقبل كلكن للوعد وهو على أربعة افراس ، ذوات أجنحة تحمله ، وقد أحاط به نور كالنار وحوله صنوف^(١) هائلة من الثايل [فدخل بها]^(٢) وهو متوشح بئنين متحزم ببعضه قد فغرفاه ويده قضيب [من آس]^(٣) أخضر فكلم رفع التين رأسه ضربه بالقضيب فأماله .

فلما رآه النمرود هاله امره فخاطبه معظماً له معترفاً بجليل حكمه ، وسأله أن يكون له صاحباً وظهيراً ، فأسعف رغبة النمرود في ذلك ثم افترقا .

وتقول القبط أن كلكن كان يرتفع ويجلس على رأس الهرم ، ويقولون أيضاً إنه أقام على رأس الهرم مدة [في قبة تلوح على رأسه]^(٤) حتى طمعت الملوك الذين حوله في ملكه .

فقصده ملك من ملوك الغرب يقال له سادوم في جيش عظيم وأقبل من نحو وادي هيت ليكبس أرض مصر .

فأقبل كلكن حتى بلغهم ثم جللهم بشيء من سحره يشبه الغمام شديد الحرارة ، فأقاموا تحته أياماً لا يدرون أين يتوجهون من الحيرة .

وسار هو إلى مصر فتيامن الناس به ، فعرفهم بما جرى وأمرهم بالخروج إليهم ليعرفوا خبرهم ، فخرجوا فوجدوهم قد ماتوا عن آخرهم ، فنقلوا جميع ما خلفوه وكان كثيراً جداً .

فعجب الناس من ذلك وهابته الملوك هيبة لم يهابوها لأحد قبله ، وصوروا صورته في جميع الهياكل ، وملكهم زماناً .

(١) في ق : صور . (٢) زيادة عن ق .

وبنى في آخر عمره هيكلًا لرجل من صوان أسود في ناحية الغرب ، وجعل له عيداً ، وبنى في وسطه ناووساً وحمل اليه ما أراد من ذهب وجوهر وحكم وعقاقير ، وعرفهم أنه ميت .

[وأوصى بالملك] ^(١) إلى أخيه مالبا الملك وكان شريباً كثير الأكل والشرب منفرداً بالرفاهية غير ناظر في شيء من أمر الحكمة ، وجعل أمر البلد إلى وزير له . فكانت أيامه صالحة لهيبة أخيه كلكن ، وتقدمهم أنه لم يمت ، وأنه ذكر لهم موته لينتظر ما تجري عليه أحوالهم .

وكان مالبا معجباً بالملك [محبا للنساء ومعاشرتهن] ^(١) فكان له ثمانون امرأة ، ثم اتخذ امرأة من بعض ملوك منف ، وكانت عاقلة سديدة الرأي فحمت النساء وكان بها معجباً ولها محبا ، وكان له بنون وبنات من سائر نسائه ، وكان أكبر بنيه يقال له طوطيس ، فكان يستجمل أباه ويستذل سيرته ، فأعمل الحيلة في قتله ، وحلته على ذلك أمه وجماعة من نسائه وبعض وزرائه ، فهجم عليه في رواقه سكران والمرأة معه فقتله وقتل المرأة .

وتولى الأمر بعد أبيه طوطيس وجلس على سرير الملك ، وكان جباراً جريئاً ، شديد البأس مهيباً فدخل عليه الأشراف فهناؤه ودعوا له ، فأمرهم بالاقبال على مصالحهم ، وترك ما لا يعينهم ووعدهم بالاحسان .

والقبط تزعم أنه أول الفراعنة بمصر ، وأنه فرعون إبراهيم عليه السلام ، وإن الفراعنة سبعة هو أولهم .

وتذاكر الناس ما عمل بأبيه وانكروه ، واستقبحوا صلبه للمرأة ، وشعر بذلك فأنزلها ودفنها ، واستخف بأمر الهياكل والكهان .

وكان من خبر إبراهيم عليه السلام معه أن إبراهيم لما هرب من قومه ومن النمرود وأشفق من المقام بالشام لئلا يلحقه قومه فيردونه إلى النمرود ، لأنه كان فرها من سواد العراق .

فخرج إلى مصر ومعه سارة امرأته، وخلف ابن أخيه لوطا بالشام ، وسار إلى مصر وكانت سارة أجمل نساء العالم في وقتها ، ويقال ان يوسف ورث حواء من حسننها لأنها جدته .

فلما دخلوا مصر ورأى الحرس المقيمون على باب المدينة حسن سارة ، عجبوا منها ورفعوا أمرها إلى الملك طوطيس .

وقالوا له دخل رجل من أهل المشرق ، ومعه امرأة لم ير الناس أجمل منها وجها ولا اكمل حسنا .

فأرسل الملك وزيره فأحضر إبراهيم وسأله عن خبره وبلده فأخبره، فقال له ما هذه المرأة منك؟ فقال له اختي، فعرف الوزير الملك ذلك فقال له أحب أن اراها ، فعرف الوزير إبراهيم بذلك ، فاستصعب ذلك، ولم يمكنه مخالفته وعلم ان الله تعالى لا يسوءه في أهله .

فقال لسارة سيري إلى الملك فقد طلبك ليراك ، وهو امرؤ لا يعصى ، فقالت وما يصنع بي الملك وهو ما رأيته قبل وإني لفازعة منه؟ قال أرجو أن تكوني بخير .

فقامت معه حتى دخلا على الملك في قصره ، فلما رآها الملك نظر منها إلى منظر راعه وأقنته ، فأمر باخراج إبراهيم عليه السلام ، فخرج وندم على قوله إنها أخته ، وهو إنما أراد أخته في الدين . ووقع في قلب إبراهيم عليه السلام ما يقع في قلب الرجل إذا غلب على أهله ، وتمنى أنه لم يدخل مصر ، وقال : اللهم لا تفضح إبراهيم في أهله .

فكشف الله له ما وراء الحيطان حتى صار ذلك كله كالزجاج الرقيق الصافي ، فرأى الملك ورآها .

فراودها الملك عن نفسها فامتنعت عليه فذهب ليمد يده إليها ، فقالت له إنك إن وضعت يدك علي أهلكك نفسك لأن لي رباً يمنعني منك ، فلم يلتفت إلى قولها ومد يده إليها فجفت يده دونها ، وبقي حائراً .

فقال لها زولي عني ما أصابني ، فقالت له لا أقدر على ذلك إلا أن يشاء ربي ، فان ضمنت أن لا تعاود دعوته فمسي أن يزيل ما نزل بك .
فقال لها لست أعود إلى ما فعلت ، فدعت الله تعالى فأذهب ما كان به .
فلما وثق بالصحة راودها ومنها ، فامتنعت عليه ، وقالت له قد عرفت ما جرى لك .

ثم مد يده إليها فبجفت واضطربت عليه أعضاؤه ، فاستغاث بها وأقسم بالله أنه إن أزالته عنه ما به لا يعاودها . فدعت الله تعالى ، فزال ذلك عنه فرجع إلى حاله ، وقال لها إن لك رباً عظيماً ، وليس مضيعك وأعظم قدرها ، وسألها عن إبراهيم عليه السلام ، فقالت هو زوجي وقربي .
قال فانه ذكر أنك أخته ، قالت صدق أنا اخته في الدين ، وكل من على ديننا فهو أخ لنا ، فقال نعم الدين دينكم .

فوجهها إلى ابنته حوريا ، وكانت من العقل والكمال بمكان كبير ، فألقى الله حبة سارة في قلبها فاكرمتها وعظمتها ، وأضافتها فأحسن ضيافتها ، ووهبت لها مالا وجواهر ، فأنت به إبراهيم عليه السلام فقال رديه فلا حاجة لنا به فردته فذكرت ذلك حوريا لأبيها ، فعجب منها ، وقال إن هؤلاء لقوم كرام وبنية طاهرة .

فتحيلت في برها بكل حيلة ، فلم تقبل منها شيئا ، فوهبت لها جارية قبطية من أحسن الجوارى ، وعزمت عليها في قبولها فقبلتها ، وهي هاجر أم إسماعيل عليه السلام ، فلما أراد إبراهيم عليه السلام السفر من مصر عملت ابنة الملك حلوى كثيرة وأشياء من السكر والخبز ، وأشياء كثيرة من الطعام ، وملأت منها سلاكا ودكت تحت الحلوى في كل سلة جوهرأ نفيسا كثيرا ، وحليا مصوغا عجيبا ، فلما جاءتها سارة مودعة لها دفعت إليها تلك السلال .
وقالت يكون هذا معك تتزودين به . قالت حتى أشاور صاحبي فشاورته . فقال إذا كان مأكولا فخذيه ، فقبلت ذلك منها وودعتها وانصرفت إلى إبراهيم عليه السلام .

فخرج هو وسارة وهاجر معه ، فلما أمعنوا في السير أخرجت سارة بعض تلك السلال ليأكلوا منها ، فلما أدخلت يدها وجدت الجواهر ، فلما فلتت سائر السلال وجدت كذلك ، فأخرجت جميعه وعرفت إبراهيم عليه السلام بذلك ، وعرضت عليه فباع بعضه وحفر من ثمنه البثر التي جعلها للسبيل ، وفرق بعضه في وجوه الخير والبر ، وكان يضيف به كل من مر به ، وادخرت منه سارة .

وعاش طوطيس إلى أن وجهت إليه هاجر من مكة أنها بمكان جذب وتستقيته ^(١) فأمر بحفر نهر في شرقي مصر ثم بسفح الجبل حتى ينتهي إلى مرفأ السفن على البحر المالح ، فكان يحمل إليها الخنطة وأصناف الفلال ، فتصل إلى جدة وتحمل من هناك على المطايا إلى مكة ، فأحيى بذلك الحجاز مدة .

ويقال إنها وجهت اليه بالحجاز تذكر ولادتها فسر بذلك ، ووجه إليها ذهباً وجوهرات تتخذ منه زينة لولدها فحلت الكعبة ببعضه .
وقيل إن كل ما حليت به الكعبة في ذلك العصر إنما أهداه الملك مالك مصر اليها .

وقيل إنه لكثرة ما كان حمله طوطيس إلى الحجاز سمته هاجر والعرب الصادق ، وكذلك يسميه كثير من أهل الأثر .

وقيل إن طوطيس سأل إبراهيم عليه السلام أن يبارك له في ولده فدعا له بالبركة في مصر ، وعرفه إبراهيم أن ولده سيملكونها ويصير أمرها اليهم قرناً بعد قرن إلى آخر الزمان .

وطوطيس هذا أول فرعون كان بمصر ، وذكر أنه أكثر القتل حتى في قرابته وأهل بيته وبني عمه وخدمه ونسائه وفي كثير من الكهنة والحكام . وكان حريصاً على سفك الدماء ، حريصاً على الولد ، فلم يرزق غير ابنته

(١) في ب : وتستقيته .

حوريا ، وكانت عاقلة حكيمة تأخذ على يديه كثيراً وتمنعه من سفك الدماء فلم يمتنه ، وخافه كل أحد على نفسه فأبغضته ابنته وأبغضه الخاص والعام . وخافت حوريا زوال ملكهم بسببه فسمته فهلك ، وملك سبعين سنة ، واختلفوا بعد موته في التعليل عليهم ، وقالوا لن يملك علينا أحد من أهل بيته ، وأرادوا تغليك بعض ولد ابريت ، فقال بعض الوزراء قد علمتم فضل ابنته حوريا وحكمتها وما كانت تنكر على ابسها في أفعاله ، وما صنعت به حتى اراحت الناس منه فأين تذهبون عنها ؟ وتبعه على ذلك أكثر القواد الكبار فتم لها الملك .

وملكت حوريا الملكة ، وجلست على سرير الملك ، ودخل عليها الناس فهنأوها ودعوا لها ، فأكرمتهم ووعدتهم بالاحسان ، واخذت في جمع الاموال وفي حفظها .

فلم تلبث إلا يسيراً حتى اجتمع عندهما من الأموال والحلى والجواهر والثياب ما لم يجتمع للملك قبلها وقدمت الحكماء والكهنة ورؤساء السحرة ، ورفعت أفذارهم .

وأمرت بتجديد الهياكل وإعظامها ، وصار من لم يرضها ولا يرضى بفعلها يشيع خبرها الى ابريت ، فلكوا عليهم رجلاً من ولد ابريت يقال له انداحس ، فعقد على رأسه تاجاً وصار اليه جماعة من بني عمه وأهل بيته ، فانفذت اليه جيشاً تحاربه ، فلما رأى أنه لا طاقة له بها دعاها الى الصلح وخطبها الى نفسه وذكر لها ان الملك لا يقوم إلا بالرجال ، وخوفها ان يزول ملكهم بسببها ومكانها من الملك .

فعملت صنيعاً وأمرت ان يحضر الناس على منازلهم فحضروا واكلوا وشربوا وبذلت لهم الأموال ، وعرفتهم مساجري اليه ذلك الرجل من خطبتها فبعضهم صوب الرأي وبعضهم امتنع ، وقال لا نولي علينا غيرها لمعرفتنا بعقلها وفضلها وحكمتها ، وهي وارثة الملك .

ووثبوا على نفر من خالفهم فقتلوه ، ثم خرجوا في جيش كثير ، فلقوا

جيش الخارج عليها ابريت فهزموم ، وقتلوا كثيراً منهم ، وهرب هو الى ارض الشام ، وبها الكنعانيون من ولد عملاق ، فاستجار بملكهم ، وأخبره خبره ، ورغبه في مصر وعظم له أمرها وكنوزها ، وقرب له أخذها ، وضمنها له .

فجهزه ملك الشام بجيش عظيم الى مصر ، وأرسل معه على الجيش رجلاً عظيماً من أصحابه واجتمع الناس كلهم بمصر وجهاتها على حوريا ففتحت خزائن أبيها وفرقت اكثرها على الناس فأحبوها ، وأذعنوا لها بالطاعة وقوت السحرة بالمال ووعدهم بالاحسان .

فلما قرب انداحس بجيوش الشام أمرت السحرة أن يعملوا عملاً لتلك الجيوش ، وكان المقدم على الجيوش قائداً جليلاً من عظماء قواد ملكهم ، يقال له جيرون .

فلما نزل أرض مصر بعثت حوريا ظئراً من عقلاء النساء الى ذلك القائد جيرون سرّاً من انداحس تعرفه أنها راغبة في تزويجها إياه ، لأنها لا تختار أحداً من أهل بيتها ، وأنه ان قتل انداحس كيفما أمكنه تزويجته ، وسلمت اليه ملك مصر ومنعت منه صاحبه .

فرغب جيرون في ذلك ، وفرح به ، وأرسل الى انداحس في مضربه ، على حسب عادته من اكرامه طعاماً فيه سم فأكله فمات ، فأرسل اليها يستنجزها ما وعدته فأرسلت اليه انه لا يجوز لي أن أتزوجك ، حتى تظهر في بلدي قوتك وحكمتك وتبني لي مدينة عجيبة ، وكان افتخارهم حينئذ بالبنيان وإقامة الأعلام والأصنام وعمل العجائب ، وقالت له : انتقل من موضعك ذلك الى غربي بلدنا فثم لنا آثار كثيرة فاقتف تلك الآثار من الاعلام وغيرها .

فانتقل الى حيث أمره وبنى مدينة بصحراء الغرب [قدعى] أندومه ، وأجرى اليها من النيل نهراً ، وغرس فيها غروساً كثيرة ، وأقام بها مناراً

عالياً ، وعمل فوقه مجلساً وصفحه بالذهب والفضة والصفرة والرخام المنون والزجاج المسبوك .

وأبدع في عمله لأنها امدته بالصناع وبالأموال ، وكانت تكتائب صاحبه عنه بما تراه وتهاديه عنه وهو لا يعلم .

فلما فرغ من بنيان المدينة أعلمها بذلك ، فأرسلت اليه ان لنا مدينة حصينة كانت لأوائلنا وقد خربت وخرب حصنها ، فانتقل اليها ، وانظر في بنيانها وإصلاحها وإصلاح حصنها واتقن امورها ، وانتقل انا خلال ذلك الى المدينة التي بنيتها وأنقل اليها جميع ما احتاج اليه ، فاذا فرغت من اصلاح تلك المدينة أنفذ إلي حينئذ فأسير اليك لأبعد عن مدينتي وأهل بلدي ، فاني أكره أن ادخل اليك بالقرب منهم .

فمضى حيث امرته وجدّ في اصلاح الاسكندرية الثانية وإليها أمرته أن يمضي وأهل التاريخ لا يعرفون خبر انداحس ، ويذكرون ان الذي قصد مصر هو الوليد بن دموع^(١) العملاقي ، وهو ثاني الفراعنة .

وأن سبب قصده لها انه اعتل علة طالبت به فوجه ثقافته الى كل جهة وإلى كل مكان ليحمل اليه مياهها حتى يعلم الماء الذي يلائم جسمه منها . فأتى غلام له مملكة مصر فرأى سعتها وفوائدها وألطاها ، فعاد اليه فأعلمه بجأها وجلى له امرها ، وحمل اليه من ماؤها وغرائبها .

فقصدها في جيش كثيف حتى حط عليها ، وكاتب الملكة وخطبها الى نفسه فوجهت اليه من اشرف على حاله فرأى قوماً عظاماً لا تقوم بحربهم ؛ فاجابته الى التزويج وشرطت عليه أن يبني لها مدينة عظيمة يظهر فيها قوته ، ويجعلها انزالها ، فاجابها ودخل مصر وشقها الى ناحية الغرب لبني المدينة بناحية الاسكندرية فأمرت بأن يلقي بالراحين وأصناف الفواكه فمضى الى ناحية الاسكندرية ، وقد خربت بعد خروج العادية عنها ، فنقل ما وجد

(١) تقدم اسمه فيما مضى : دمع .

فيها من حجاريتها ومعالمها ، ووضع أساس مدينة عظيمة ، وبعثت هي اليه مائة الف من الفعلة والخدم فأقام في بليانها مدة طويلة حتى انفق فيها جميع ما كان معه من المال ، وكلما وضع طول يومه من الحجارة في الاساس خرجت في الليل دواب من البحر فقلعته وأخربته وغيرته فكان في ذلك دهرأ فاعتم لذلك غماً شديداً وشغله الفكر فيها .

وكانت حوريا أنفذت اليه الف لبون من المعز ليشرب لبنها ويستعمله في مطبخه فدفعها الى راع يثق به ، وكان ذلك الراعي يطوف بها ويرعاها فيما هنالك ، وكان اذا رجع عند المساء خرجت اليه من البحر جارية حسناء فتتوق نفسه اليها فاذا كلمها شرطت عليه أن يصارعها ، فان صارعها كانت له وإن صرعه أخذت من ذلك المعز اثنين ، ثم يعود يوماً آخر فيحمله حبه لها على الطمع في غلبتها فتصرعه وتأخذ اثنين ، فبطول المدة نقصت المعز نحو نصفها ، وتغيرت الباقيات منها لشغله بحب تلك الجارية عن الاهتمام برعيها ، وتغير الراعي أيضاً في جسمه ولونه ، فمر به صاحبه في بعض الايام ، فوقف عليه . فلما رأى الراعي متغيراً والمعز عجافاً فسأله عن ذلك ورأى قلتها ، فسأله عن نقصانها ، فوصف له الراعي الأمر على وجهه خوف سطوته ، فقال له أي وقت تخرج ؟ قال قرب المساء ، فلبس هو ثياب الراعي ، وتولى هو بنفسه رعاية المعز يومه إلى المساء .

وخرجت الجارية فمارضها ، فشرطت عليه شرطها فأجابها ، فلما تصارعا صرعها وقبض عليها وشد وثاقها ، فقالت له إن كان ولا بد من أخذي فلسفي إلى صاحبي الأول ، فانه ألطف بي وقد عذبتني زماناً طويلاً فردها عليه ، وقال له إذا خلوت بها فلسها عن هذا البنيان الذي بنيته فيزال من ليلته من يفعل ذلك ؟ فان كان عندها علم منه فلسها إن كان في دفع ذلك حيلة ومضى وتركه معها .

فلما سألها عن ذلك قالت إن في البحر دواب تخرج كل ليلة فتززع بنيانكم ، قال لها فهل في دفع ذلك من حيلة ؟ قالت نعم ، فقال وما هي ؟

قالت أعلمك كلاماً تكتبه في قراطيس ، وتربطه في حجارة صغار ، فيدخل الرجال المصورون في مراكب صغار ، ومعهم القراطيس والأنقاس في وسط النهار إلى موضع كذا من البحر ، ثم يقفون ويرمون القراطيس المكتوبة في الماء يميناً وشمالاً ، ثم يمكثون ساعة فلا تبقى دابة إلا أتت ذلك الموضع ودارت وظهرت فوق الماء ، فيصور المصورون مثلها في تلك القراطيس ، ويتحرون التشبيه ما قدروا ، ويكثر من تلك التصاوير ما أمكن ، ثم يخرجون ويقتل أمثال تلك الصور من الصفر والنحاس والحجارة وتنصب أمام البنيان بيّنه وبين البحر .

فان تلك الدواب إذا خرجت ورأت تلك الأشكال هربت ، فلم تعد إلى ذلك الموضع وعلمته الكلام حتى حفظه .

فسار الراعي أول الصباح إلى صاحبه فعرفه الخبر ، وكتب الكلام ، ففعل الملك ذلك فانقطعت تلك الدواب ، وتم البنيان ، فبنى المدينة وأتمها وأكملها .

وقال قوم من أصحاب التاريخ إن صاحب البناء والمز هو جيرون المؤتفكي كان قصدهم قبل الوليد ، وأن الوليد أتهم بعد حوريا فقهرهم وملك مصر .

وذكروا أن الأموال التي كانت مع جيرون نفدت كلها في تلك المدينة ولم يتم البنيان ، فأمر الراعي أن يسأل تلك الجارية عمن كنوز قريبة منهم . فسألها فقالت ان في موضع كذا من المدينة التي خربت ملعباً مستديراً ، حوله سبعة أعمدة على رأس كل عمود تمثال صفر قائم ، فقرب لكل تمثال منها ثوراً سميناً وألطح العمود الذي تحته بدم الثور وبخره بشمرة من ذنبه وشيء من نخاعه قرنه وأظلافه ، وتقول هذا قربانك فأطلق لي ما عندك ، فإذا أنت فعلت ذلك فقس من كل عمود إلى الجهة التي يتوجه إليها وجه التمثال الذي فوقه مائة ذراع واحفر ، وليكن ذلك في امتلاء القمر واستقامة زحل ، فانك تنتهي إذا نزلت خمسين ذراعاً إلى بلاطة عظيمة فالطحها بمرارة الثور واقلعها

فانك تجد تحتها باباً تنزل منه إلى سرداب طوله خمسون ذراعاً في آخره باب مقفل ومفتاح القفل تحت عتبة الباب ، فخذ الطخ والقفل ببقية مرارة الشور ودمه وبخره بشعره وبنحاته أظلافه وقرنه ، وافتح الباب وادخله بعد أن [توثق رتاجه] فاذا دخلته فانك ترى مستقبلك صنماً من حجر في عنقه لوح صغير معلق من صفر مكتوب فيه جميع ما في الخزائن من مال وجوهر وتمثال وذخيرة ودواء وأعجوبة ، فخذ منه ما شئت .

وكذلك فافعل بكل عمود وتمثال فانك تجد مثل تلك الخزائن سواء ، وهذه نواويس الملوك وكنوزهم ، فوصف الراعي لصاحبه جميع ما قالته الجارية ، فلما سمع ذلك سر به سروراً عجباً وعمله أسرع ما أمكنه ، فوجد ما لا يدرك وصفه ، ووجد من العجائب شيئاً كثيراً فأتم بناء المدينة واتصل ذلك بحوريا فأساءها ، وإنما كانت أرادت إتيابه وإشغاله وإذهاب ماله .

ويقال إنه وجد فيها من العجايب درج ذهب مختوم فيه مكحلة زبرجد فيها ذرور أخضر ومعه عرق جوهر أخمر ، فن اكتحل من ذلك الذرور وهو أشيب عاد شاباً واسود شعره ولحيته وأضاء بصره حتى يدرك النظر إلى الروحانيين

ووجد تمثال غراب من حجر إذا سئل عن شيء صوت فأجاب عنه ، ويقال إنه كان في كل خزانة عشرون أعجوبة .

فلما فرغ من بنيان المدينة وجه إليها يعلمها بذلك ويحشها على القدوم اليه ، ويتشكى من طول الأمد وكثرة الشقاء له ولأصحابه ، فوجهت اليه فرشا فاخرا وقالت افرشه في المجلس الذي تجلس فيه ، واقسم جيشك أن لا تأخذ إلى ثلثه فأنا ماشية عند وصوله عندي اليك ، فاذا وصلت مسافة كذا موضعاً عيّنته له فأنفذ إلى الثلث الثاني فاذا بلغت ثلثي الطريق ، فأنفذ إلى الثلث الثالث ليكون جلسته من ورائي لثلاث يراي أحد منهم إذا دخلت عليك ، ولا يبقى هناك إلا صبية يخدمونك ممن تثق بهم ، فأني أوافيك في جوار تكفك من خدمنا لا أحلثم منهم ففعل ما قالت ، وجعلت تحمل إليه الجهاز والاموال على

كل صنف وفي كل يوم حق علم مسيرها ، فوجه اليها ثلث جيئ ، فعملت لهم من الأظعمة والاشربة المسمومة فوق الحاجة .

فلما وصل الجيش اليها اشغلهم الجوارى والولدات بالاطعمة والاشربة والطيب [والرياحين] فلم يصبح منهم أحد حياً ومن أصبح منهم حياً قتل . وقد كانت وكلت بهم من جيوشها من يفعل ذلك ، ووجهت الى كل جهة من يضبط الطرق ويحرسها حتى لا يصل اليه خبر من ذلك واخذت جميع ما خلفوه ونقلته إلى مصر .

وسارت فلقبها الثلث الآخر ففعلت به مثل ذلك وكتبت اليه تعرفه أنها وجهت ما وصل اليها من جيشه إلى مصر ومملكته في تلك الجهات ليحفظوها خلال كونها عنده .

ثم وصل اليها الثلث الثالث من جنده فجرى أمره مجرى الثلثين الأولين إلى أن وصلت اليه ومعها عسكر مجرد من ثقات رجالها وأعيان جيشها وفرسانها ، فلم يشعر إلا وهم قد أحاطوا به في القصر الذي كان بناه بالاسكندرية ، فدخلت عليه هي وظئرها وجواريا معها فنفضت ظئرها في وجهه نفخة ذهب بها لبه ورشت عليه ما كان معها فارتعبت مفاصله وخذلت قوته ، وقالت من ظن أنه يغلب النساء فقد كذبتة نفسه ، وغلبته النساء .

ثم قصدت بعض عروقه وشربت من دمه وقالت دماء الملوك شفاء وقتلته ، وأخذت رأسه فوجهت به إلى قصرها ونصبت عليه .

وحملت تلك الأموال إلى منف ، وبنت منار الاسكندرية وزبرت عليها اسمها واسمه ، وما فعلته به والتاريخ على المنار .

واتصل خبرها بالملوك الذين يتزاحون على بلادها فهابوها ، وخافوا من حيلها واذعنوا لها وهاذوها وتصنعوا لها .

وعملت بمصر عجائب كثيرة ، وأمرت أن يبنى على حدود مصر من ناحية النوبة حصن وقنطرة يجري النيل من تحتها ، فعملت ذلك .

واعملت حوريا فاجتمع إليها أهل بلدها وسألوها أن تقلد الملك أحداً

ترضاه ليكون ملكهم ، ولم يكن في ذلك الوقت أحد من ولد أبيها ، ولا من أهل بيته يصلح للملك .

فقلدت الأمر إلى ابنة عمها ، وملكته عليهم وهي دليفة^(١) ماموم ، وكانت جارية عذراء من عقلاء النساء وكبرائهن ، فأخذت لها المواثيق من أهل مصر وسائر بلادها ، أن لا يسلموها لعدو وأن يمنعوا من يتعرض لها ، وسلمت إليها مفاتيح خزائنها وأطلقتهما على كنوزها وكنوز آباءها ، وأمرت إذا ماتت أن يضمدا جسدها بالكافور ، وتحمل إلى المدينة التي بنيت لها في صحراء الغرب ، وقد كانت بنت بها ناووساً عجيباً ونقلت إليه أصناماً للكواكب وزينته بأحسن الزينة وجعلت له خدمة وسدنة ، واسكنت تلك المدينة جماعة من الكهنة واصحاب العلوم ، واسكنت بها جيشاً يحميها فعمرت تلك المدينة ، ولم تزل على حالها من العماراة إلى أن أخربها بخت نصر وحمل بهض كنوزها .

وجلس دليفة على سرير الملك ، واجتمع الناس إليها وتآلفت كلمتهم عليها وأحسنست إلى الناس ووضعت عنهم كثيراً من الخراج لتلك السنة .

وقام عليها أيمن صاحب الأندلس يطالب ثار خاله انداحس ، واستنصر عليها بملك المالقة فنصره لمكان انداحس منه .

ووجه معه قائداً يجيش كثيف ، وبلغ الأمر دليفة ، فأخرجت إليه بعض قوادها فالتقوا بموضع يعرف بالعريش ، وجعلت سحرة الفريقين يظهررون المعجائب العظيمة ، ويسمعون الأصوات التي تفرزع الأسماع ، وتؤلم القلوب ، وأقاموا مدة يتواقفون للحرب ثم يتراجعون ، فهلك منهم عالم من الناس ثم انهزم أصحاب دليفة إلى منف وأيمن في أثرهم .

ومضت دليفة في جمع من جيشها إلى ناحية الصعيد ، فنزلت بأشمون ، وأنفذت من قدرت عليه من الجيوش إليهم ، فوقع الحرب معهم بجبهات الفيوم .

(١) في ق : زليفا .

وضعف أصحاب دليفة عنهم لكثرتهم وشدة صبرهم ، فاستنصرت بأهل مدائن الصعيد فحاربوا أصحاب أيمن ، فأزالوهم عن منف ، وقد كانوا ظفروا بها وعاثوا فيها فهزموهم حتى ركبوا المراكب ، وعدوا الى ناحية الشمال ، وكان معهم ساحر من أهل قفط ، فأظهر سحره ناراً أحالت بينهم وبين أصحاب دليفة فأنحازوا عنهم واستعدوا ، وعادوا لما كانوا فيه من الجدل والطلب

وفزع أهل مصر لطول المدة وعجز الجيوش عن مقاتلتهم ، وأشفقوا من خروج مصر من أيديهم ، فوجهوا سفراء بينهم على أن يجعلوا البلد قسماً بينهم فأجاب كل واحد منهم الى الصلح وأن دليفة بعد إجابتها الى الصلح غدرت وخالفت ، وأخرجت الأموال والجواهر ففرقتها في الناس ، وقد كان بعضهم لامها في الصلح ، فرجعت الى الحرب ، واشتد الأمر بين الفريقين ثلاثة أشهر ، ثم ظهر أيمن عليها وهزمها . ولجأت الى ناحية قوص وسار خلفها وتمكن من المملكة ، فلما رأت حقيقة الأمر ونكول جندها وعجز كهنتها وسحرتها وأنها لا بد لها أن تغلب سمت نفسها فهلكت .

وملك بعدها أيمن الملك صاحب الاندلس ملك مصر ، فتجبر وعتا وقتل خلقاً ممن كان مع دليفة .

وكان الوليد بن دوعم العملاقي قد خرج في جيش عظيم يتنقل^(١) في البلدان ، ويغلب ملوكها ليسكن ما يوافق غرضه منها ، ويعتدل [حال]^(٢) جسمه فيها على ما تقدم من ذكر علته .

فلما انتهى الى الشام ، انتهى اليه خبر مصر وجلالة قدرها ، وأن أمرها قد صار الى النساء وباد ملوكها ، فوجه اليها غلاماً له يسمى عوناً بجيش عظيم ، فوصل الى مصر وأيمن ودليفة يقتتلان ، ففتحها وحوى أموالها وكثوزها ،

(١) في ب : نبهل والتصحيح عن ق . (٢) في ب : صلاح .

وغاب خبره عن الوليد ، فلم يشك في هلاكه وهلاك الجيش الذي كان معه ، لما كان يعلمه من طلاس مصر ومكر كهنتها .

ثم اتصل به ان عبده قد ملكها ، فسار الى مصر وتلقاه العبد وعرفه أنه كان يسير اليه ، وإنما أخره ما أراد من تعديل الملك وإصلاحه فقبل قوله .

ودخل مصر الوليد بن دومع العماليقي وملكها فاستباح أهلها وأخذ أموالها ، وتلبع ما أمكنه الوصول اليه من كنوزها، وهبط اليه أين بالطاعة من الصعيد ومدنها سامعاً له إذ كان عسكره من قبله ، ومن أعانه بملكه وجيشه حتى أخذ بثأر خاله انداحس وتم الأمر للوليد على أعظم أمر .

ثم سرح له ان يشي حتى يقف على مخرج النيل ، ويفزو من بناحيته من الامم فأقام ثلاث سنين يستعد لذلك ، حتى اصالح جميع ما احتاج اليه .

واستخلف عبده عوناً على البلد وخرج في جيش كثيف ، وعدد عظيمة ، فلم ير بأمة إلا أبادها .

فيقال انه اقام في سفره سنين كثيرة وأنه مر على امم السودان وجاوزهم ومر على ارض الذهب ، فوجد فيها مواضع فيها قضبان ثابتة وهي بلاد عانة .

ولم يزل الوليد يسير حتى بلغ البطيحة التي ينصب ماء النيل إليها من الانهار التي تخرج من جبل القمر ، وجبل القمر جبل شامخ عريض طويل ، وإنما سمي جبل القمر لأن القمر لا يطلع عليه لأنه خرج كثيراً عن خط الاستواء ، ونظر اليه كيف يخرج النيل من تحته فيمر في طرائق كثيرة كالانهار الرقاق ، فيصير بعضها إلى حظيرة عظيمة يجتمع فيها ، ويصير بعضها إلى حظيرة عظيمة ، ثم يخرج من كل حظيرة نهر عظيم ينصب إلى حظيرة عظيمة يجتمع النهران فيها وهي البطيحة الكبيرة ، وهي بعد خط الاستواء ، وقبل الاقليم الاول ، ويخرج من تلك البطيحة نهر واحد ، ويجوز خط الاستواء ويجري إلى مصر ويمده نهر آخر من ناحية مكران يصب فيه عند اول جبل معظم في ثلث الاقليم الأول .

ويذكر أن هذين النهرين يزيدان وينقصان ، فيهما التماسيح وسمك كأمثال سمك النيل ، ويخرج منه نهر عظيم على مقربة من آخر شرقي جبل القمر وحكي عن الوليد أنه وجد القصر الذي فيه قماقم النحاس الذي عملها هرمس الاول في وقت البودشير الاول بن قفطويم بن مصرايم بن حام بن نوح عليه السلام ، وهي خمس وثمانون صورة جعلها جامعة لمن يخرج من الماء من الجبل ، وبمعاقد وبمصايب مدبرة ، يجري منها الى تلك الصور ، ويخرج من حلوقها على قياس معلوم وأذرع معدودة معلومة .

ثم ينصب في أفواه الصور في انهار كثيرة ويتصل بالبطينتين ، ويخرج منها كما قلنا الى البطيخة الجامعة للماء الذي يخرج من جبل القمر ، وقد هندس في تلك ورتب مقداراً من الماء في كل صورة [ما] معه صلاح البلدان التي يمر بها ، وينفع أهلها دون الفساد ، وسطح قبل انتهاء المسطح ثمانية عشر ذراعاً بالذراع التي ذرعها مقدار اثنين وثلاثين أصبعا ، فما فضل عن ذلك عدل به عن عين تلك الصور ويسارها الى مسارب تخرج عن عين القصر ويساره ، تنصب إلى غياض ورمال لا عمارة فيها .

وقد ذكر قوم من أهل الأثر أن الانهار الاربعة تخرج من أصل واحد من قبة في ارض الذهب التي من وراء البحر المظلم وهي سيحان وجيحان والنيل والفرات .

وذكر بعضهم أنها من الجنة وأن تلك القبة من زبرجد ، وأن جميع هذه الانهار قبل أن يسلك الى البحر المظلم أحلى من العسل وأطيب من رائحة المسك .

ومن جاء بهذا وذكره أبو صالح كاتب الليث وغيره من المحدثين ذكروا أن رجلاً من ولد العيص بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام يقال له حديد وصل إلى القبة ، وله خبر يطول ذكره .

[١١] هذا الخبر الذي قال المسعودي إنه يطول ذكره أثبتته هنا، وإن لم يكن

(١) هذا الكلام وجد بالأصول وهو فيما يظهر زيادة وتعليق من الناسخ أو الراوي ، وقد وضمناه لذلك بين قوسين .

هو ذكره لانه بموضعه وشر من كتاب العظمة رواه ببغداد الفقيه أبو الحسن عباد بن سرحان وهو يحدث به إلى الآن عن شيوخه ببغداد بأسانيد ذكرها عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول إن النيل يخرج من الجنة ولو التمستم فيه حين يميج لوجدتم من ورقها .

حدثني أبو الطيب أحمد بن روح ، قال حدثني علي بن داود ، قال حدثنا عبد الله بن صالح ، قال حدثني الليث بن سعد قال زعموا والله أعلم أنه كان رجل من بني العيص ، يقال له حايذ بن أبي سالوم من العيص بن إسحق بن إبراهيم عليها السلام أنه خرج هارباً من ملك من ملوكهم حتى دخل أرض مصر فأقام بها سنين . فلما رأى عجائب نيلها وما يأتي به جعل لله تعالى أن لا يفارق ساحله حتى يبلغ منتهاه من حيث يخرج أو يموت قبل ذلك ، فسار عليه - قال بعضهم ثلاثين سنة في عبر الماء ، وقال بعضهم خمس عشرة سنة كذا وخمس عشرة سنة كذا - حتى انتهى إلى بحرفنظر إلى النيل مقبلاً فصعد على ساحل البحر ، وإذا هو برجل قائم يصلي تحت شجرة تفاح ، فلما رآه استأنس به وسلم عليه ، فسأله الرجل صاحب الشجرة وقال له من أنت ؟ فقال أنا حايذ بن أبي سالوم بن العيص بن إسحاق بن إبراهيم ، ومن أنت أصلحك الله ؟ قال له أنا عمران ، فما الذي جاء بك هاهنا يا حايذ حتى انتهيت إلى هذا الموضع ، فان الله تعالى أوحى إلي أن أقف في هذا الموضع حتى يأتي أمره ؟ فقال له حايذ أخبرني يا عمران ما انتهى إليك من خبر هذا النيل ، وهل بلغك أن أحداً من بني آدم يبلغه ؟ فقال عمران قد بلغني أن رجلاً من ولد العيص يبلغه ، ولا أظنه غيرك يا حايذ ، فقال حايذ يا عمران كيف الطريق إليه ؟ فقال له عمران لست أخبرك إلا أن تجعل لي ما سألتك قال وما ذلك يا عمران ؟ قال إذا رجعت إلي وأنا حي أقمت عندي ، حتى يوحى إلي بأمرك أو يتوفاني الله تعالى فتدفنني ، قال له لك ذلك علي ، قال سر كما أنت على هذا البحر ، فإنك تصل إلى موضع فيه دابة ترى أولها ولا ترى آخرها فلا يهولنك أمرها ، فاركبها فإنها دابة معادية للشمس ، إذا طلعت أهوت إليها لتلتقمها ، حتى

يحول بيتها حجبتهما، فإذا غربت أهوت اليها لتلتقهما، فإذا ركبتهما فسر راجعا عليها حتى تنتهي إلى النيل فانزل عنها ، فإذك ستزل وتبلغ أرضا من حديد جبالها وأشجارها وسهلها من نحاس ، فان جزتها وقعت في أرض من فضة ، جبالها وأشجارها وسهلها من فضة ، فان جزتها وقعت في أرض من ذهب ، جبالها وسهلها من ذهب ، فيها ينتهي إليك علم النيل .

فسار حتى انتهى إلى أرض الحديد ، ثم منها إلى أرض النحاس ، ثم منها إلى أرض الفضة ، ثم منها إلى أرض الذهب ، فسار فيها حتى انتهى إلى سور من ذهب وشرفه من ذهب ، فيه قبة من ذهب لها أربعة أبواب، ونظر إلى الماء ينحدر من ذلك السور ، حتى يستقر في القبة ، ثم يفرق فيخرج على الأنهار الأربعة .

وأما ما يخرج من الثلاثة فيفيض في الأرض، وواحد يشق على وجه الأرض وهو النيل ، فشرب منه واستراح وأهوى إلى السور ليصعد ، فأناه ملك ، فقال له يا حديد مكانك فقد انتهى إليك علم هذا النيل ، وهذه الجنة والماء ينزل من الجنة .

فقال إني أريد أن أنظر إلى ما في الجنة ، قال إنك لن تستطيع دخولها اليوم يا حديد، فقال أي شيء هذا الذي أراه؟ قال هذا الفلك الذي تدور فيه الشمس والقمر وهو شبه الرحى ، قال إني أريد أن أركبه وأدور فيه ، فقال بعضهم إنه ركبه في دار الدنيا ، وقال بعضهم إنه لم يركبه ، فقال له الملك يا حديد إنه سيأتيك رزقك من الجنة فلا تؤثر عليه شيئاً من الدنيا ، فإنه لا يلغى شيء من الجنة أن يؤثر عليه شيء، فإنه يبقى ما بقيت .

قال فبينما هو كذلك إذ نزل عليه عنقود من عنب فيه ثلاثة ألوان لون كالزبرجد الأخضر ، ولون كاللؤلؤ الأبيض ، ولون كالياقوت الأحمر ، ثم قال يا حديد قد انتهى إليك علم هذا النيل .

فقال ما هذه الثلاثة التي تفيض في الأرض ؟ قال أحدها المرات ، والثاني سيحان والثالث جيحان .

فرجع حايد حتى انتهى إلى الدابة فركبها ، فلما أهوت الشمس للغروب قذفت به في الموضع الذي ركبها فيه ، فأقبل حتى انتهى إلى عمران فوجده قد مات . فأقام على قبره ثلاثاً ، فأقبل شيخ متشبه بالناس أغر من السجود ، فبكى على عمران ثم أقبل إلى حايد فسلم عليه ، ثم قال له يا حايد ما الذي انتهى إليك من علم النيل ؟ فأخبره ، فقال له الرجل هكذا نجده في الكتب . وكان التفاح قد ظهر في تلك الشجرة من أحسن شيء ، فأغراه الشيخ وقال لحايد ألا تأكل منه شيئاً ؟ قال معي رزقي قد أعطيته من الجنة ونهيت أن لا يؤثر عليه شيئاً من الدنيا ، قال صدقت يا حايد لا ينبغي لشيء من الجنة أن يؤثر عليه شيء من الدنيا ، وهل رأيت في الدنيا مثل هذا التفاح ؟ وإنما هذه الشجرة أخرجها الله من الجنة لعمران ليعيش منها فانبتها له في هذه الأرض ، وليست من الدنيا وما تركها إلا لك ، ولو وليت لرفعت ، فلم يزل به حتى أخذ منها تفاحة فبعضه عليها عض الملك على يديه ، وقال له أتعرفه ؟ هو الذي أخرج أباك من الجنة ، أما انه لو سلمت بهذا العنقود الذي معك لأكل منه أهل الدنيا فلم ينفد فهو الآن مجهودك ان يبلغك ، فكان بمجهوده أن بلغه . فأقبل حايد حتى بلغ مصر فأخبرهم بهذا الخبر ، ومات رحمه الله ، وتم الخبر الذي أنبته وليس من الأم ، ورجع الكلام إلى حيث انقطع [(١)] .

وقال آخرون تنقسم هذه الأنهار إلى اثنين وسبعين قسماً ، حذاء اثنين وسبعين لساناً للأمم المذكورة .

وقال آخرون إنما هذه الأنهار من ثلوج تنزل في أيامها ، وتتكاثر هناك فتحملها حرارة الشمس مرة بلطف ومرة بقوة ، فتسيل إلى هذه الأنهار ، فتسقي لما أراد الله جل وتعالى من تدبير خلقه .

ونرجع إلى ذكر الوليد لما بلغ جبل القمر رأى جبلاً عظيماً ، فاعمل الحيلة إلى أن صعد عليه ليرى ما خلفه فأشرف منه على البحر الأسود الزفتي النتن ، ونظر إلى النيل يجري عليه كالأنهار الرقاق ، فأنته من ذلك البحر

(١) إلى هنا ينتهي الكلام الذي رآه التاسع في النسخة الأصلية .

روائح منتنة ، هلك بها كثير من أصحابه فأسرع بالنزول بعد ان كاد يهلك .

وذكر قوم أنه لم يرَ هناك شمساً ولا قمرأً إلا نورأً أحمر كنور الشمس عند غروبها وقالوا إنه أقام في غيبته مدة عشرين سنة .

وان عونا علامة تجبر بمصر بعد سبع سنين من مسيره ، وادعى انه الملك ، وادعى انه لم يكن عبد الوليد ، وانه أخوه وله الملك من بعده وريب على الناس ، واستعان بالسحرة عليهم وأسنى جوائز السحرة والكهنة ، ولم يمنهم محابهم ، فقال إليه الناس ووثقوا بأمره ولم يترك امرأة من بنات ملوك مصر إلا نكحها ، ولا مالا إلا أخذه وقتل صاحبه .

وكان مع ذلك يكرم الهياكل والكهنة ، فكان الناس يسكون عنه اشفاقاً منهم من السحرة الذين أطافوا به الى ان رأى في منامه الوليد ، وكان يقول له من أمرك أن تتسمى باسم الملك ؟

وقد علمت أنه من فعل استحقيق القتل ، ونكحت إلى ذلك بنات الملوك ، وأخذت الأموال بغير واجب ، وكأنه أمر بقدر فملئت زفتاً ثم غليت على النار وأحميت ، وكأنه يغمسه فيها فلما غليت أمر بنزع ثيابه ، فأتى طائر في صورة عقاب فاخطفه من أيديهم وعلق به في الجو ، فجعله في هوة على رأس جبل ، وكأنه سقط من رأس الجبل إلى واد فيه حمة منتنة .

فانتبه مذعوراً طائر القلب ، وكان في طول فعمله ذلك في تملكه إذا خطرت بقلبه من ذكر الوليد خطرة يكاد عقله أن يزول فرقأ منه ، لما يعلمه من فظاظته وبطشه وقوته .

وكاد مرة يوقن بهلاكه لطول غيبته وانقطاع خبره ، وكان مرة يخاف أنه حي .

فلما رأى الرؤيا لم يشك في حياة الوليد ، فأضمر في نفسه الهرب من مصر في الأموال ، فأطلع بعض السحرة ممن كان يثق به على أموره .

وقال له إني خائف من الوليد ، وقد عزمتم على الهرب من مصر ، فما عندكم ؟

قالوا له نحن نحميك على أن ثقيل منا ، قال قولوا ، قالوا له نعمل عقاباً وتعبد به ، فإن الذي خلصك منه في نومك هو بعض الروحانيين ، وهو يريد منك أن تعمل صورته فتعبد به .

قال عون أشهد لقد قال لي وأنا أسمع : اعرف لي هذا المقام ولا تنسه . قالوا لقد بينا نحن لك ذلك .

فسمع منهم وعمل عقاباً من ذهب ، وجعل عليه من جواهرتين موشحتين بأنصاف العمل الغريب

وعمل له هيكلًا لطيفاً وجعله في صدره ، وأرخصى عليه ستور الحرير ، فأقبل عليه السحرة على خدمته بالبخور والقربان ، إلى أن نطق لهم ، فأقام عون على عادته ودعى الناس إلى ذلك فأجابوه ، فلما مضت لذلك مدة أمر العقاب ببناء مدينة يحوله إليها فتكون حرزاً له ومعقلاً من كل أحد ، فأمر عون كل فاعل بمصر أن يجتمعوا له ، وأمر أصحابه أن يخرجوا إلى صحاري الغرب ويطلبوا إليه أرضاً حسنة الاستواء ، ويكون المدخل فيها بين فجوج صعبة وجبال وعرة ، ويتوخى أن تكون تلك الأرض قريبة من مفاض المياه ، فكان مفيض الماء هو اليوم الفيوم وكان مفيضاً لمياه النيل ، حتى أصلحه يوسف عليه السلام ، وإنما أراد عون قرب مكان المدينة من مفيض المياه ليجري إليها الماء منها ، فخرج أصحابه يطوفون في الأرض ، فأقاموا في ذلك شهراً حتى وجدوا له بغيته ، فلم يبق بمصر فاعل ولا مهندس ممن كان يفتت الصخور ويقطعها ويعمل شيئاً مما يصلح للبناء إلا وجهه ، وأنفذ معهم ألف فارس في طاعتهم ، وأنفذ معهم جميع الآلات ، وأقام في توجيه الزاد اليهم شهراً على العجل ، وطرق العجل اليوم ظاهرة واضحة في صحراء الغرب من خلف الأهرام ، وهي التي يقصدها أصحاب المطالب وهي بنية مشهورة .

فلما تكامل لهم ما يريدونه من قطع الحجارة ونحتها أعدوا من العدد ، وخطوا موضع المدينة وجعلوه فرسخين في مثلها ، وحفروا في وسطها بشراً ، وجعلوا في تلك البئر تمثالاً من نحاس صورة خنزير ونحاسة بأخلاق ، وجعلوا وجهه إلى الشرق .

وكان ذلك بطالع زحل واستقامته وسلامته من المتضادين له وهو في شرفه .

وأخذوا خنزيراً فذبحوه له ولطخوا وجهه بدمه وبخروه بشعره ، وأخذوا شيئاً من شعره وعظامه ولحمه ودمه ومرارته ، فجعلوا ذلك في جوف خنزير من النحاس ونقشوا عليه آيات زحل .

ثم شقوا في البئر أخذوداً من أربعة أوجه المدينة ، وجعلوا فيها شوارع يتصل كل شارع فيها بباب من أبواب المدينة ، ووصلوا ما بينها بالنازل الحسنة والطرق ، وجعلوا حول القبة تماثيل من نحاس بأيديهم حراب ، ووجوهها مقابلة لتلك الأبواب .

وجعلوا أساس المدينة من حجر أسود ، وفوقه حجر أحمر ، وفوقه حجر أخضر ، وفوقه حجر أصفر ، وفوق الكل أبيض شفاف ، مثقبة كلها بالرصاص المصبوب بينها ، وفي قلوبها أعمدة الحديد على صفة بناء الأهرام . وجعل طول حصنها ستين ذراعاً ونصف ذراع ، وعلى كل باب من أبوابها على أعلى الحصن تمثال عقاب كبير من صفر وأخلاق ، أجوف فاشر الجناحين ، وعلى كل من أركان المدينة صورة فارس بيده حرب ووجهه إلى خارج المدينة ، وساق الماء إلى ناحية الباب الشرقي ينحدر في صبيب إلى الباب البحري ، ويخرج إلى بطائح هناك ، وكذلك من الباب الجنوبي إلى الشمالي .

وقرب لتلك العقبان عقباناً ذكرًا ولطخها بدمها ، واجتلب الرياح إلى أبواب التماثيل فكانت الرياح إذا دخلتها يسمع لها أصوات شديدة ، لا يسمعا أحد إلا هالته ، وضمداه بعقارب مطلسة تمنع الناس من دخولها إلا أن يكون مع الغريب الداخل إليها أحد من أهلها ، ونصب العقاب الذي يتعبد

له تحت القبة التي في وسط المدينة على قاعدة لها أربعة أركان في كل ركن منها شيطان مشوه ، وجعلها على عمود زبرجد ، فكان العقاب يدور على كل جهة من الجهات الأربع ، ويقيم كذلك ربع السنة يقرب اليه من جهته .

فلما فرغ من ذلك كله حل إليها جميع الأموال والجواهر المخزونة بمصر ، وما وجد في خزائن الملوك من التماثيل والحكم ، وعراب الصنعة والعقائير والسلاح وغير ذلك .

وحول إليها كبار السعرة والكهنة وأصحاب الصنائع والمهن ، وقسم المساكن التي بناها بينهم ، لا يختلط بعضهم ببعض ، وبنى حول سورها ربضا يحيط بها ، وبنى فيه مساكن لأصحاب مهن الحرث والزرع وغير ذلك ، وما يتعلق بالعمارة .

وعقد على ما أجراه من الأنهار قناطر يحوز عليها الخسارج من المدينة والداخل إليها ، وجعل الماء يدور حول الربض ، ونصب عليه أعلاماً ثم غرس ما وراء ذلك كله بأجناس الأشجار وغرائبها ، فأقام بها من الجنات كل غريبة حسنة كثيرة الفوائد ، ثم جعل ما وراء ذلك مزارع لكل نوع من الحبوب ، فاستغل بذلك كله أعظم الفلات .

وكان يرتفع اليه منها في السنة ما يكفيه عشر سنين ، وبين هذه المدينة وبين منف ثلاثة أيام ، فكان يخرج إليها فيقيم بها عشرة أيام ، ثم يعود إلى منف .

وكان لتلك المدينة أربعة أعياد في السنة في كل وقت يتحول فيه العقاب إلى الجهات الأربع ، فلما تم لعون ذلك اطمأن قلبه وسكنت نفسه . إلى أن وافاه كتاب الوليد من ناحية النوبة ، يأمره ان ينفذ اليه الأزودة ، وينصب له الأسواق ، فوجه عون ذلك كله من أحسن شيء وأتمه في المراكب وعلى الظهر .

وحول جميع عياله ومن اصطفاه من بنات الملوك من مصر وكبرائها إلى

المدينة المبنية ، فلما قرب دخول الوليد مصر تحول هو الى مدينته فتحصن بها وخلف للوليد خليفة يكون بين يديه .

فدخل الوليد مصر فتلغاه الناس ، فشكوا إليه عوناً ، وما حل بهم منه ، فقال : وأين عون ؟ قالوا : قر عنك وتحصن دونك .

فاغتاض وأمر ان ينفذ إليه جيش كثيف ، فعرفوه كيف بنى مدينته وأسكن فيها معه من السحرة ، وأن أمره صعب فما يكون إلا بعد نظر شاف واستعداد كاف ، فكتب إليه يأمره بالقدوم عليه ، ويجذره التخلف عنه ، ويقسم عليه إن لم يفعل وظفر به يبضع لحه بعد المبالغة في عذابه .

فرد عليه عون جواباً يقول فيه : ما على الملك مني في هذا الموضع ؟ ولا أتعرض لبلده ، ولا أعبت في شيء منه لأني عبده ، وأنا في هذه الجهة حام له من كل عدو يقصده من ناحية من نواحي الغرب ، ولا أقدر على المسير اليه لخوفي منه على نفسي ، فليقرني الملك على حالي كأحد عماله ، وأوجه اليه في كل وقت ما يلزمي من خراجة ومن هداياه ، ووجه مع الجواب أموالاً جزيلة جليلة وجوهرأ نفيساً ، فلما رأى الملك ذلك قنع به ، وكف عنه .

فأقام الوليد بمصر فاستعبد أهلها واستباح حريمهم وأموالهم مائة سنة وعشرين سنة ، فأبفضوه وشتموه .

وأنه ركب في بعض الايام متصيداً ، فالتقاء فرسه في هوة من الأرض فقتله ، وأراح الله الناس منه .

وكان ابنه الريان ينكر فعله ولا يرضاه منه ، فلما هلك عمل له ناووساً قرب الاهرام ، وقيل انه دفن في أحد الأهرام .

ثم ملك بعده ابنه الريان الملك ، وهو فرعون يوسف عليه السلام ، والقبط تسميه نهراوس ، فجلس على سرير الملك ، وكان عظيم الخلق جميل الوجه ، عاقلاً متمكناً من العلم ، فدخل عليه الناس وهنأوه ودعوا له ، فتكلم يحميل ، ومنى الناس ووعدهم بالاحسان ، وأسقط عنهم الخراج ثلاث سنين ، فدعوا له وأثنوا عليه وشكروه .

فأمر بفتح الخزائن وفرق ما فيها على الخاص والعام ممن حضر مجلسه ، فخرجوا عنه شاكرين له محبين فيه ، فملك وأحسن .

وتمكن منه أريحية الصبا ، فملك على البلد رجلاً من أهل بيته يقال له المين^(١) وهو الذي يسميه أهل الأثر العزيز ، وكان من أولاد الوزراء عاقلاً متمكناً من عقله حصيف الرأي ، كثير نزاهة النفس ، مستعملاً للمسند والصلاح ، وأمر أن ينصب له في قصر الملك سرير من الفضة يجلس عليه .

وكان يغدو ويروح إلى باب الملك ، ويخرج العمال وجميع الوزراء والكتاب بين يديه عند مسيره وعند رجوعه .

فقام بالملك ، وكفى الملك مهمه ، وأصلح جميع الأمور ، ووطأ البلاد ، وأمن الناس ، وأقام سوق العدل .

والملك نهراوس منغمس في لذاته ، معتكف على لهوه ، لا ينظر في عمل ولا يفكر في أمر ولا يخاطبه أحد ، فأقاموا لذلك حيناً من الدهر ، والبلد عامر ، والخراج مدر .

يقال انه بلغ في وقته تسعة وتسعون ألف ألف مثقال^(٢) فجعلها أقساماً فما كان له وللسائه ولمائدته حل اليه ، وما كان في أرزاق الجيوش والكهنة والفلاسفة وأصحاب الصنائع ومصانع البلد وإصلاح العقار والحراث والغرس وأصحاب المهن حمل اليهم ، وما فضل عن ذلك كله حمل الى خزائن الملك في قصره .

ونهرأوس مع ذلك غير ناظر في شيء من ذلك ولا سائل عنه ، وقد عملت له عدة متنزحات على عدة أيام السنة ، فكان في كل يوم في موضع منها ، فإذا كان من الغد انتقل الى موضع آخر في كل يوم في موضع من الفرش والآنية ما ليس في غيره .

فلما اتصل ذلك بملوك النواحي طمعوا فيه واستضعفوه ، فقصده رجل من

(١) في ق : يقال له قطفير . (٢) في ق : سبعة وستين ألف ألف مثقال من الذهب .

العمالة يقال له عابد بن سجوم ، ويكنى بأبي قابوس ، فسار قاصداً الى مصر حتى نزل على حد من حدودها .

فأنفذ اليه العزيز جيشاً وجعل عليه قائداً يقال له دوناس ، فقتله ذلك الملك وهزم عسكره ، ودخل حدود مصر فهدم أعلاماً ومصانع كثيرة ، واشتد طمعه في مصر وجهاتها .

واتصل خبره بأهل مصر فأعظموا ذلك وأكبروه واجتمعوا إلى العزيز ، فأمرهم أن يسيروا إلى قصر الملك ، فأتوا إلى قصر الملك وجعلوا يصيحون ويستغيثون ، فسمعهم نهراوس ، فسأل عن حالهم ، فأخبر خبر العماليقي وأنه قد دخل حدود مصر وعاث فيها ، وأفسد مزارعها وغير مصانعها ، وهدم أعلامها وأنه مقبل بجيوشه يريد قصر الملك ، فارتاع لذلك وأنف منه ، وانتبه من غفلته .

وتذكر القبط أنه سمع نباح الجن على أبيه ، فارتاع لذلك فعرض جيشه وأصلح أمره ، وخرج إلى العماليقي واتبعه إلى حدود الشام . وقتل أكثر أصحابه ، وأفسد الزرع وقطع الأشجار ، وأحرق الديار ، وصلب من أسره من الجيوش ، ونصب أعلاماً على الموضع الذي بلغه أي لمن جاوز هذا المكان .

وقيل إنه بلغ الموصل ، وضرب على أهل الشام خراجاً ، وبنى عند العريش مدينة عظيمة وشحنها بالرجال وملأ تلك النواحي بالجنود ، وانصرف إلى مصر ، فلما فعل ذلك هابت الملوك ، وفزعوا منه وأعظموه وهادوه وصالحوه .

ولما استقر بمصر حشد جنوده من جميع الأعمال ، واستعد لغزو ملوك الغرب ، فخرج في تسعمائة ألف [مقاتل] واتصل بالملوك خبره ، فمنهم من تمنى عن طريقه ، ومنهم من دخل في طاعته ، ومنهم من بذل الأموال والذخائر وصالح بلده ، ومنهم من قهره واستباحه .

ومر بأرض البربر فأخذ كثيراً منها ، ووجه قائداً يقال له مريطس ،
فركب في سفن كثيرة ، وأخذ سواحل البحر فقتل بعض البربر ، ودخل
أرضهم وصالحه بعضهم ، وحملوا اليه الأموال .
ومضى الملك إلى إفريقية وقرطاجنة ، فصالحوه على الطاف وأموال
كثيرة حملوها اليه .

ومر حتى بلغ مصب البحر الأخضر إلى بحر الروم ، وعمل هناك صنماً
من نحاس وهو الموضع الذي فيه الأصنام القديمة ، وأقام تحته علماً عظيماً زبر
عليه اسمه وتاريخ الوقت ، وصفة الأمر الذي خرج اليه ، وضرب على أهل
تلك النواحي خراجاً .

وعبر إلى الأرض الكبيرة وسار إلى الافرنجة وسار إلى الأندلس ،
وصاحبها عند ذلك اللاذريق ، فحاربه أياماً ، وقتل من أصحابه خلقاً
كثيراً .

وصالحوه بعد ذلك على ذهب كثير في كل سنة يحمل اليه ، وعلى أن لا
يفزو أحداً في البحر ولا في البر شيئاً من حدوده ، من جميع من في تلك
النواحي ، وعلى أن يمنع من رام شيئاً منهم من ذلك ويغالبهم عنه .

وانصرف راجعاً عنه ، فسار على عبر البحر مشرقاً على بلاد البربر . فلم
ير بموضع إلا خرج اليه أهله وأهدوه ودخلوا في طاعته ، ومشوا بين يديه .
وأخذ إلى ناحية الجنوب ، فمر بناحية الكوفاس^(١) وهي أمة عظيمة
فحاربوه فقتل منهم خلقاً كثيراً .

وبعث قائداً له إلى مدينة على ساحل البحر المظلم ، فخرج اليه ملك المدينة
وأهلها يسألونه ما هو وما قصده ؟ فعرفهم القائد بحال الملك الريان وإذعان
الملوك له ومصالحتهم إيّاه . فقالوا له أما نحن فما بلغنا أحد قط ولا رأينا
ولا ضربنا أحد ولا ضاررناه . وأخرجوا اليه مالا وجوهرات . وصالحوه على

(١) في ق : الكوشانيين على معبر البحر الأسود .

مدينتهم . فقبل ذلك منهم . وسألهم هل ركب هذا البحر أحد قط ؟ فقالوا جميعهم إنه ما يستطيع أحد أن يركبه ، وأخبروه أنه ربما أظله الغمام فلا يرونه أياماً .

ثم أتاهم الملك الريان فتلقوه بهدايا وفاكهة أكثرها التوت وحجارة سود . فإذا جعلت في الماء صارت بيضاء .

وسار على أمم السودان حتى بلغ إلى مملكة الزوم^(١) الذين يأكلون الناس ، فخرجوا اليه عراة بأيديهم حراب الحديد ، وخرج ملكهم على دابة عظيمة الخلق لها قرون ، وكان جسيماً أحمر العينين فصبر للحرب صبراً عظيماً ثم ظفر به الريان ، فانهزموا في أوحال وأدغال وغيران وجبال وعرة ، فلم يتبأ له أتباعهم فيها .

فجاوزهم إلى قوم على خلق القروود لهم أجنحة خفاف يلتفون بها من غير ريش ، ومر على البحر المظلم ، فلما أمعن في السير فيه غشيهم منه غمام فرجع متيامناً ، حتى انتهى إلى جبل نبارس ، فرأى فوقه تمثلاً من حجر أحمر يوميء بيده ، أن ارجعوا وعلى صدره مزبوراً « ما ورائي أحد » .

وانتهى إلى مدينة النحاس فلم يصل إليها ، ثم مضى في الوادي المظلم ، فكانوا يسمعون منه جلبة عظيمة ، ولا يرون شيئاً منه لشدة ظلمته .

ثم سار حتى انتهى إلى وادي الرمل فرأى على عين أصناماً عليها أسماء الملوك قبله ، فأقام صنماً وزبر عليه اسمه ، فلما عدا وادي الرمل جاز إلى الخراب المتصل بالبحر الأسود المظلم ، فسمع جلبة وصياحاً هائلاً ، فخرج في شجعتان من أصحابه يتبعون ذلك الصياح حتى أشرف على سباع عظيمة غريبة الخلق غزمة الأنوف وبعضها يغير على بعض فيأكل بعضها بعضاً ، فعلم أنه لا مذهب له من ورائها فرجع وعدى وادي الرمل ، فربأرض المقارب فأهلكته بعض أصحابه فرجعوها عن أنفسهم بالنار وبالرفا والمعزائم التي كانوا قد عرفوها حتى جاوزها .

(١) في ق : الدمدم .

وسار حتى انتهى إلى أرض سلوكة^(١) وكانت بها حية تخرج عن الحد والمقدار ، فأروها ممتدة فظنوها ميتة ، فهمموا عليها فوجدوها حية . فرجعوا عنها هاربين وتعمدوا منها بالرقا .

وتزعم القبط أنه سحرها ، ومنعها من الحركة ، وتركها على حالها ، فلم تتحرك حتى هلكت ويقال إن طول هذه الحية ميل وإنها كانت تبتلع الفيلة . وسار إلى مدينة الكند وهي مدينة الحكماء ، فهربوا إلى جبل وعركان لهم صعدوا اليه من داخل مدينتهم من مواضع لا يقدر هو ولا أصحابه على الصعود فيها ، فأقام على تلك الطريق يحرسها حتى عدم الماء ؛ ولم يجد منه شيئاً وضاع أصحابه ، وكادوا أن يهلكوا عطشاً .

فنزّل اليه رجل منهم يقال له ميدوش وكان من أفاضل الحكماء وقد غطى شمره جسده ، فقال له أيها الملك المغرور أين تريد ، وقد مد لك في الأجل ، ورزقت فوق الكفاية ؟ ففهم تتعب نفسك وجيشك ، هلا قممت بما تملكه ، واتكلت على خالقك الذي وهبك الغنى ، وأعانك بهذا الخلق !

فعجب نراوس من قوله وسأله عن الماء فدله عليه . وسأله عن موضعهم إذ لم يكن أصاب في جيشهم أثراً لسكناهم . قال نحن في موضع لا يصل إليه أحد .

قال فما معاشكم ؟ قال من أصول نبات لنا نعمتص به ونقنع فبقيننا ويكفيينا اليسير منه .

قال فمن أين تشربون ؟ قال من غدران لنا في الأرض يجتمع إليها الماء من الأمطار والثلوج .

قال فلم هربتم عنا ؟ قال رغبة عن جواركم ، وزهادة في خلطتكم وكراهة لقربكم ، وإلا فليس لنا ما نخافكم عليه .

قال فأين تكونون إذا حيت الشمس ؟ قال في غيران لنا تحب هذا الجبل . قال فهل تحتاجون إلى مال أخلفه لكم ؟ قال إنما يحتاج إلى هذا المال أهل

(١) في ق : صلوكة . وهي حية عظيمة كأنها جبل .

البذخ . ونحن لا نستعمل شيئاً عنه فاستغفينا عنه بما قد اكتفينا به . ومع ذلك فانا قد رزقنا منه ما لو رأيت له لحققت ما عندك . قال فأرنيه ! قال فسر معي ، قال فانطلق الملك ونفر من أصحابه معه إلى أرض في سفح جبل يتصل بهم فرأوا فيه قضبان الذهب نابتاً ، وأروه وادياً لهم على حافته حجارة الزبرجد والفيروزج .

فأمر نهرأوس أصحابه أن يتخبروا من جبابرة تلك الحجارة ، ويحملوا منها ما يقدروا عليه ففعلوا ، ورجع بهم إلى مصر فرأوا قوماً من أهل البحر يحملون صنماً لهم ويعظمون أمره ، فجزع من ذلك ، وسأل [الرجل] الملك أن يقيم بأرضهم ، ونهاه عن عبادة الأصنام وخوفهم منها .

فسأله نهرأوس أن يدلّه على الطريق ، ففعل وودعه وسار على السميت الذي وصفه له ، فلم يمر على أمة إلا أثر فيها أثراً إلى أن بلغ إلى أرض الذوبة ، فصالح أهله على ما يحملونه إليه ثم أتى إلى دنقلة فأقام بها عاماً وزبر اسمه عليه ومسيره وجميع ما عمله في سفرته تلك .

ثم سار منها يريد منف فلم يبق أحد إلا خرج إليه مع العزيز ، وتلقوه بأصناف الطيب والرياحين والبخورات والملاهي وغرائب الألعاب .

وكان العزيز قد بنى له مجلساً من الزجاج الغريب الأبيض الصنعة الملوّن ، وجعل فيه صهريجاً من زجاج سماوي ، وجعل في أرضه سمكاً من الزجاج الغريب

فلما دخل منف أنزله العزيز في ذلك المجلس ، وأقام الناس أياماً في هو وسرور يأكلون ويشربون .

وأمر بعرض جيشه ففقد سبعين ألفاً ، وقد كانوا خرجوا في ألف ألف ، وكانت غيبته أحد عشر عاماً .

ولما سمع الملوك بذكر ما عمل في سفره ، وما غلب من الأمم ، وما فتح من البلاد ، وقتل وأسر من الخلق هابوه وخافوه ، لشدة بأسه وعظيم سلطانه .

وتجبر نهراوس فبنى في الجانب الغربي قصورا من رخام ، ونصب عليها
أعلاما فكان يفسها أبدأ ، ويقم فيها اياما كثيرة ، وكان الخراج في وقته تسعة
وتسعين ألف ألف ، فأمر بالزيادة في طلب العمارات ، وطلب وجوه الزيادة
فيها من احسن الطرقات لا من رديتها .

وأمر باصلاح الجسور في الجهات ، والتحمل في أن يزيد الماء في انبساطه
في الأرض ، ففعل ذلك كله حق وافى الخراج مراده وزاد عليه .

وقالت القبط : إن في مدته دخل البلد غلام من الشام له أخوة يحسدونه ،
فاحتالوا عليه حتى بيع من تجار يقصدون مصر ، وكانت قوافل الشام تمرس
بصر بناحية الموقف اليوم ، فأوقف الغلام للبيع ونودي عليه ، وهو يوسف
الصديق عليه السلام ، فبلغ وزنه ذهباً ووزنه فضة ، فاشتراه العزيز ليهديه
للملك ، فلما أتى به إلى منزله رآته زليخا امرأته ، وكانت ابنة عمه فقالت له
اتركه عندنا نربيه ففعل ، وكان من أمره معها وعشقها له ما قصه الله تعالى في
كتابه ، وكانت تكتم حبها عنه ، حتى غلبها الأمر ، فتزينت له وجماءته فعرفته
عشقها له ، وأنها مطاوعة له في كل ما يريد منها ، وأنها لا بد لها منه ، وحبته
بالم عظيم ، فامتنع عليها ، ولم يحد عنها مهريا ، فرامت تقبيله فأبى عليها ،
فهمجت عليه ولم تزل تعاركه وهو يمتنع إلى أن دخل زوجها فوجده هاربا
عنها وكان عنيها لا يأتي النساء ، فقال لها ما هذا فجعل يوسف عليه السلام
يعتذر اليه ، وقالت هي كنت نائمة فأتاني يراودني عن نفسي ، ففطن أن الأمر
كان منها .

فقال ليوسف عليه السلام أعرض عن هذا أي عن اعتذارك ، وقال
لزليخا استغفري لذنبك ، فأنك قد أخطأت .

واتصل خبر الغلام وجماله بالملك ، وأن العزيز ابتاعه له ، فلما لم يره سأل
عنه انكر المعلن أمره وغير له خبره ، وغلظ فيه عليه ، وثقف الغلام عنده
في القصر ومنعه الخروج ففسي خبره .

وكان نهر اوس قد عاود الانعكاف على اللذات ، والاحتجاب عن الناس لما كان العزيز كفاه من أمر الملك والرعية .

واقتل خبر زليخا مع يوسف عليه السلام بنساء من نساء أصحاب الملك فميرنها بذلك .

فأحضرت منهن جماعة وعملت لهن طعاماً فلما أكلنه أحضرت لهن شراباً ، وأجلستهن مجلسين مجلساً حذاء مجلس ، مذهبين جميعاً ، وفرشتها بالديباج الأصفر المذهب ، وأرخت عليهما ستور الحرير والديباج .

وجلسن فيها للشراب وقدمت بين أيديهن فاكهة كثيرة ، وسكاكين أنصبتها من الجواهر ، وقالت لهن اقطن من هذه الفاكهة بهذه السكاكين ، ويقال إن الذي كان ينزل بين أيديهن أترج وهو المتكأ ، فأمرت المواشط بتزيين يوسف عليه السلام . وإخراجه إلى المجلس الذي كانت تجلس هي فيه والنسوة للشراب . وكانت الشمس ذلك الوقت محاذية لذلك المجلس . فأخذته المواشط ونظمن شعره بأصناف الجواهر . وألبسنه ثوب ديباج أصفر منسوج بدوائر مذهبة .

وفيهما صور خضر صفار . وعدلن شعره على جبينه إلى قرب حاجبيه . ووصلن جبهته ، وعقرن على خديه صدغيه ، ورددن ذؤابته على صدره . ودفعن اليه بمذبة ذهب شعرها أخضر .

فلما فرغ النسوة من أكلهن وجلسن للشراب ، وأحضرت الفواكه وسقطن أقداحاً دفعت اليهن السكاكين ، وقالت لهن قد بلغني ما أخذتن فيه من أمري مع عبدي . فقلن لها إن الأمر على ما بلفك إلا أنك أعلى عندنا قدراً من هذا . ومثلك يرتفع عن اولاد الملوك لحسنك وشرfk وعقلك ، فكيف كنت ترضين بعبدك ؟ قالت لم يبلفكن الصدق عني . ولم ارض لنفسي بذلك ، فلو رضيته لكان هو اهلاً لذلك ، وأشارت إلى المواشط بإخراجه ، فرفعت ستور المجلس الذي يحاذي مجلسها

واقبل يوسف عليه السلام والمذبة بيده ، وهن يرمقنه ، محاذيا للشمس .
فأشرق المجلس وما فيه بوجه يوسف عليه السلام وارسل مع نور الشمس
شعاعا فكاد يخطف ابصارهن .

واقبل يوسف عليه السلام والمذبة بيده وهن يرمقنه حتى وقف على رأسها
يذب عنها ، وهن لا يعقلن ، وقد وضعن تلك السكاكين على أيديهن وأصابعن ،
فقطعنها مكان الفاكهة ولا يشعرن بذلك ولا يجدن الماء وهي تحن طبعهن فلا يفهمن
خطابها للذي أدهشن من النظر إلى وجه يوسف عليه السلام .

دقالت لمن زليخا ما لكن قد اشتغلتن عن فهم خطابي بالنظر إلى عبدي ؟
فقلن معاذ الله أن يكون هذا عبدك أو يكون هذا بشر إن هذا إلا ملك
كريم ، ولم تبق منهن واحدة الا أنزلت وحاضت من محبته .

فقالت لمن زليخا عند ذلك فهذا الذي لمتني فيه ، فقلن لها ما يذبغي
لأحد أن يلومك بعد هذا ، ومن لامك فقد ظلمك فدوئك ، وقالت قد فعلت
فأبى علي فخاطبته إن قدرتن واعدنه الخير مني وحذرته عقوبيتي على رده لي ،
فكانت كل واحدة منهن تدعوه إلى نفسها سرا ، وتبذل له ما قدرت عليه
وهو يمتنع ، فاذا قطعت رجاءها منه لنفسها حينئذ خاطبته عن زليخا ،
وقالت له مولاتك تحبك وأنت تكرهها ، وما يذبغي أن تخالفها وهي تبغلك
إلى افضل المنازل ، وتمطيك من الأموال والجواهر فوق ما يرضيك ، فيقول ما لي
بذلك من حاجة ، فلما رأين ذلك منه أجمعن على أخذه غصباً .

فقالت زليخا ما يجوز ذلك ولا يمكن ، ولكنه ان لم يفعل لأمنعنه اللدات ،
ولأنزعن عنه جميع ما أعطيته ولأسجننه .

فقال يوسف عليه السلام رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه ، فأقسمت
بأهلها ، وكان صنا من زبرجد أخضر باسم عطارده أنه إن لم ينجها إلى ما تريده
لتعجلن له ذلك وكشفت عن الصنم واستعانت به على أمره ، ثم أمرت بنزع ثيابها
وألبسته الصوف . وسألت زوجها أن يحبسها ليزول عنها ذكرها به فحال إلى
قولها لئلا يظن الناس بأهل القبيح ، وعسى [أن] ينفي عنها القالة بذلك .

فأمر بحبسه فحبس . فأقام في السجن بضع سنين . ورأى الملك في منامه
كان آتيا أتاه فقال له إن فلانا [وفلانا]^(١) قد عزمنا على قتلك، وكان صاحبي
طعامه وشرابه . وفي غد تقف على أمرها .

فلما أصبح قررهما فاعترفا وقيل اعترف احدهما ، وأنكر الآخر فأمر
بحبسهما وكان اسم صاحب الشراب مرطيس .

وكان يوسف عليه السلام برأء وفا بأهل السجن ، يصبرهم ويمظهم ويعدم
بالفرج ، ويفسر احلامهم . إلى ان اخبره صاحب طعام الملك وصاحب شرابه
برؤياهما كما جاء به القرآن ، فأخرجهما من السجن . وكان كما أخبرهما ان قتل
أحدهما وهو الذي أقر ونجا الآخر الذي لم يقر . وهو صاحب الشراب .

ولما رأى الملك في نومه البقرات والسنابل وأراد أن يعبر رؤياه عرفه
الساقى خبر يوسف عليه السلام . فأرسل إليه إلى السجن ففسرها له
وقيل إن الملك قال للرسول سلمه عن الرؤيا قبل أن تقصها عليه ففعل .
فقال الملك عند ذلك فجئتني به . فرجع الرسول إليه ليخرجه ويحمله إلى الملك .
فقال له يوسف عليه السلام لست أخرج حتى يكشف الملك عن امر النسوة
اللاتي قطعن ايديهن وحبست من اجلهن .

فأمر الملك في الوقت ، فأحضرت زليخا والنسوة وكشف عن حقيقة الأمر
فوقف عليه ، وأقرت زليخا والنسوة بما كان منها .

فوجه الملك إليه وأخرج من السجن وغسل من درنه ونظف وألبس من
الشباب ما يليق به مثله على الملك .

فلما دخل على الملك ورآه امتلأ قلبه من حبه . فأنزله وأكرمه وسأله عن
الرؤيا ففسرها له كما قال الله عز وجل في كتابه .

فقال الملك ومن يقوم بذلك؟ فقال له يوسف عليه السلام أنا فلاني به عليم .
فخلع عليه خلع الملك وألبسه تاجا . وأمر أن يطاف به ، ويركب الجيوش

(١) في ب : ان فلانا .

معه . ويرد إلى قصر الملك ، ويجلس على سرير العزيز ، فكان ذلك واستخلفه الملك مكانه وسماه العزيز .

وقال قوم كان العزيز قد هلك ، فتزوج يوسف عليه السلام امرأته ، فلما خلا بها قال لها هذا أفضل مما كنت أردت ؟ فقالت له إن زوجي كان عنيذا ولم ترك امرأة في حسنك وهيبتك إلا صبا قلبها إليك .

فأقام يوسف عليه السلام يدبر ملك مصر كيف شاء ، وجاءت سني الحصب فأخذ يوسف غلاتها فخزن أكثرها في سنابلها ، واشترى الغلات الجسيمة ، وأكثر غلات الناس ، وخزن من ذلك ما لا يحصر قدره .

ثم جاءت سني الجذب وبدأ النيل في النقصان ، فكان ينقص في كل سنة أكثر من نقصانه في السنة التي قبلها ، ففلا السعر حتى بيع المأكول بالجوهر والمال والثياب والآنية والعقار .

وكاد أهل مصر أن يرحلوا عنها لولا تدبير يوسف عليه السلام ، وقحط أهل الشام ، فكان من قصة إخوة يوسف ما قصه الله تعالى في كتابه .

ووجه يوسف إلى أبيه فحملة إلى مصر وجميع أهله ، وخرج في وجوه أهل مصر ، فتلقاه وأدخله على الملك ، فأحبه الملك وعظمه .

فقال له يا شيخ كم سنك ، وما صناعتك ، وما الذي تعبد به ؟ فقال له أما سني فمئثرون ومائة سنة ، وأما صناعتي فلنا غم نرعاها فنحن نلتفصع بها ونعيش منها ، وأما الذي أعبد به فرب العالمين ، وعو رب آبائي وآبائك وإلهي وإلهك وإله كل مخلوق وخالق كل شيء .

وكان في مجلس الملك كاهن عظيم القدر عندهم ، يقال له فيناس ، فلما سمع قول يعقوب عليه السلام ضاق به ذرعا ، وقال لنهرأوس بلفتهم إنه يجري خراب مصر على يد ولد هذا فقال له نهرأوس ، فبين لنا خبره .

قال فيناس ليعقوب عليه السلام إن كل إله لا تراه العميون فليس بشيء ، ففضب يعقوب عليه السلام ، وقال كذبت أي عدو الله ، وطغيت في هذه الدنيا ، إن الله تعالى شيء وليس كالأشياء ، وهو خالق كل شيء لا إله غيره .

قال فصفه لنا ، قال إنما يوصف المخلوق لا الخالق عز وجل ، لأنه ارتفع عن الصفات ، فهو واحد قديم أول أزلي قاض بكل شيء مدبر لكل شيء بلا كيف هو ، حاضر في كل مكان لم يعزب عن علمه مثقال ذرة في ظلمات البحر ، ولا اعماق الأرض ، ولا في اطباق السموات وهو يرى ولا تراه العيون ولا يحيط به فكر ولا يحويه مكان ، وكان قبيل المكان والزمان ، وخلق المكان والزمان .

ثم قام يعقوب عليه السلام مغضبا ليخرج ، فأجابه الملك وامر فيناس ان يكف عنه ، يأخذ في غير ذلك ، قال كم عدة من دخل معك من الرجال ؟ قال ستون رجلا .

قال فيناس للملك كذلك لجد في كتبنا أن خراب مصر يجري على يد قوم يدخلون مصر في هذا العدد من الشام من صنف هؤلاء . قال الملك أ يكون ذلك في أيامنا ؟ قال لا ولكن إلى أمد بعيد ، ولكن الصواب أن يقتله الملك ولا يستبقي من ذريته أحدا . قال الملك نهر اوس إن كان الأمر كما تقول فلا يمكننا دفعه ولا علينا منه ضرورة إذا لم نخف أن يجري ذلك في مدتنا أن نقتل هؤلاء القوم ، وهم يذكرون أمر إله عظيم .

وغيرنا ممن يخاف أن يدور ذلك عليه أحق بالنظر فيه ، وقد قبسل قلبي قول هذا الرجل ، وأعجبني أمره ، وهو شيخ جليل القدر ، وليس إلى إذايته سبيل ، فخطبته بالين كلام وناظره إن شاء مناظرتك . فجرت بين يعقوب عليه السلام وبين فيناس بعد ذلك مخاطبات لين له فيها القول ، وظهر فيها يعقوب عليه السلام [عليه] .

وأحب يعقوب أن يعرف خبر مصر ومدائنهم وعجائبها وسحرها وطلسماتها ، فسأل عن قليل ذلك وكثيره فيناس عند خلوته به . واستحلفه بحق فرعون أن لا يكتمه شيئا منه ، فوصف له ذلك كله وبينه وشرح غرائبه ، حتى لم يخف عن يعقوب عليه السلام شيئا منها .

فأقام يعقوب بمصر ونهر اوس يحمله ويعظمه إلى أن حضرته الوفاة ، فأوصى أن يحمل إلى مكانه من الشام ، فجعل في تابوت ، وخرج معه يوسف عليه السلام ووجوه أهل مصر حتى بلغوه إلى موضعه ، ودفن فيه عليه السلام ، وقيل إن عيصو منعه من دفنه هناك لأن إسحق عليه السلام وهبه الموضع ، فاشتراه يوسف عليه السلام منه بحكمه ، ودفنه فيه وأقام يوسف بمصر وولد له فيها ، ويقال إن نهر اوس آمن بيوسف عليه السلام ، وكنتم إيمانه خوفا من فساد ملكه .

وملك نهر اوس مائة وعشرين سنة ، وفي وقته عمل يوسف عليه السلام الفيوم لابنة الملك ، وكان أهل مصر قد تنقصوا الملك ، وقالوا قد كبر وذهب عقله ، فاخبره يوسف عليه السلام ، فقال نهر اوس ما أبالي ولكني قد وهبت لابنتي ناحية كذا وكذا ، وهي مغايض مياه ومروج ، وأحب أن أدفع عنها صبيب المياه وأخرج عنها ما حصل فيها حتى ترجع أرضا عامرة مغلة ، فاعمل في ذلك واحكم ما يمكن .

فخرج يوسف عليه السلام فدبرها وأخرج المياه منها ، وقطع مادتها منها ، وبني جسورها وقلع أدغالها وردھا أرضاً عظيمة العمارة جسيمة الغلة ، وهي أرض الفيوم ، وفرغ من ذلك كله في مسدة قريبة ، فعجب الناس من فطنة الملك وحكمة يوسف عليه السلام .

ويقال إن نهر اوس أول من بنى بمصر^(١) وبني اللاهون ، وجعل المساء فيه مقسوماً موزوناً ، ثم مات نهر اوس .

واستخلف ابنه درميوس ، ويسميه أهمل الأثر داروم^(٢) بن الريان وهو الفرعون الرابع عندهم .

ولما ملك خالف سنة أبيه ، وكان يوسف خليفته ، لأن أباه أمره بذلك وأكد عليه فيه ، فكان يوسف عليه السلام يسدده فربما قبل منه وربما خالفه .

(١) هكذا بالأصول ، ولعل الصواب من بنى الجسور بمصر ، أو بنى خزاناً بمصر .

(٢) في ن : دارم .

وظهر في وقته معدن فضة على ثلاثة أميال من النيل ، فأثار منه شيئاً عظيماً ، وعمل منه صنماً على اسم القمر ، لأن طالعه كان على السرطان ، ونصبه على قصر الرخام الذي كان أبوه بناه في شرقي النيل .
ونصب حوله أصناماً كلها من فضة وألبسها الحرير الأحمر ، وعمل للصنم عيداً في كل شهر ، وهو إذا دخل القمر بالسرطان .

وكان ينتقل إلى . واضمح شق يتنزه ، وكلما أراد أن يضر الناس منعه يوسف عليه السلام من ذلك ودفعه عن رأيه بأي وجه أمكنه ، إلى أن مات يوسف عليه السلام وله مائة وثلاث وعشرون سنة ، فأمر به داروم فكفن في ثياب الملوك ، وجعل في تابوت رخام ، ودفن في الجانب الغربي من النيل وخصب ، ونقص الجانب الشرقي .

فاخرج تابوته من الجانب الغربي ونقل إلى الجانب الشرقي فدفن فيه ونقص الجانب الغربي .

فاتفق رأيهم أن يعملوه في الجانب الغربي سنة وفي الشرقي سنة ، ثم حدث لهم من الرأي أن شدوا حول التابوت حلقة من نحاس وثاقاً ثم ربطوه بحبال وشدوه شداً وثيقاً محكمًا ولووه لويًا وثيقاً ثم دلوه في وسط النيل ، وتركوه هناك فأخصب الجانبان جميعاً .

وقيل إن داروم استوزره بعد بلطس^(١) الكاهن ، فكان بلطس يطلق له ما كان يوسف عليه السلام منعه عنه ، وعمله على أذى الناس وأخذ أموالهم ، فبلغ بهم من ذلك مبلغاً كبيراً .

فكان لا يسمع بأمرأة حسناء إلا وجهه إليها فحملت إليه . وفشا ذلك في المملكة واضطرب الناس من فعله .

فخاف بلطس أن يفسد أمن المملكة ، ويتلف الملك من فعله ، فدخل إليه وأشار عليه أن يتودد إلى الناس ، ويعتذر منهم ويرد نساءهم ، فأمره

(١) الصواب : استوزر بعده بلطس .

الملك أن ينادي في الحضور ثم لبس افخر ثيابه ، ودخل الناس اليه فشكروا اليه ما حل بهم ، فاعتذر اليهم وأسقط عنهم خراج ثلاث سنين .

ثم أمر بعمل قصر من خشب فيه عجائب كثيرة ، وكان يركب فيه هو ونساؤه وحشمه ، ورجع إلى ما كان عليه من ابتزاز النساء ، ونهب الأموال ، واستخدام الأشراف والوجوه ، من القبط من بني إسرائيل .

إلى أن ركب في ذلك القصر يوماً . فلما كان في بعض الليالي وقد أهدق النيل بالبلد ، وكان الماء من الجبل إلى الجبل ، وامتد القمر على الماء وهو في قصره الخشب ، فأراد أن يعدي من العدو إلى العدو الأخرى ، فلم يتهبأ له سوق القصر بسرعة لعظمه ، فركب مركباً لطيفاً مع ثلاثة نفر من خدمه وامرأة أبيه الساحرة .

فلما توسط البحر هاجت ريح عاصفة ، فانقلب المركب وغرق هو ومن معه ، وأصبح الناس شاكين في أمره إلى أن وجدت جثته بشطنوف فعرف بخاتمته ، ويجوهر كان يتقلد به ، فحمل إلى منف .

وقدم الوزير ابنه معازيوس^(١) وأجلسه على سرير الملك ، وكان صبياً فبايع له الجيش وأسقط عن الناس الخراج الذي كان أبوه أسقطه وزادهم سنة وضمن لهم الاحسان فأطاعوه ورد نساءهم ، وهو خامس الفراعنة ، وكان في زمنه طوفان آخر بيمض البلد .

وكان وزير أبيه قد هلك ، فاستوزر كاهناً يقال له أملادة ، فلما رأى من الاسرائيليين ما فعلوه أنكره ، وأشار أن يفرد لهم من البلد [مكاناً لثلاً] بهم يختلط غيرهم ، فأقطعوا موضعاً من قبلي منف ، وعملوا لأنفسهم متعبداً كانوا يتلون فيه صحف ابراهيم عليه السلام .

وان رجلاً من أهل بيت الملكة عشق امرأة من الاسرائيليين ، وأراد أن يتزوج ، فأبوا عن ذلك .

وتغلب احد ملوك الكنعانيين على الشام وامتنع أهله ان يجمعوا الضريبة إلى ملك مصر ، وأقبل على ملازمة الهياكل والتعبد فيها ، فأعظم الناس أمره فتجبر في نفسه ، وأمر الناس أن يسموه رباً ، وترفع ان ينظر في شيء من أمر المملكة ، فجمع الناس وقال لهم قد رأيت أن أجعل امر الملك إلى ابني اقسامس وأكون من ورائه إلى أن يغيب شخصي عنكم كما وعدت ، فرضوا ذلك ، وقالوا الأمر أمر الملك ونحن عبيده ، ومن رضىته الآلهة فحكم الخلق أن يرضوه ولا يخالفوه .

فأقام ابنه أقسامس^(١) الملك ، وجلس أقسامس على سرير الملك ، وتوج بتاج أبيه وأقام الناظرون^(٢) بين يديه ورتب الناس مراتبهم ، وقسم الكور والاعمال ، وأمر بأبساط العمارات ، وأوسع على الناس في أرزاقهم ، وعلا أمره وطال ملكه ، وعمل مدناً كثيرة أسفل الأرض وعجائب كثيرة . يطول ذكرها ، ويقال إن بخت نصر لما ظفر بمصر أخذ من عمله عجائب كثيرة ، فأقام أول ولايته سبع سنين بأجل أمر وأصلح حال . ومات وزير أبيه فاستخلف رجل من أهل بيت المملكة ، يقال له طلما^(٣)

(١) في ق : كاشيم .

(٢) لعل الصواب وأقام القاطرون . وقد تقدم معنى ذلك في صدر الكتاب .

(٣) في ق : ظلما ، وقد جاء فيه زيادة لا بأس من إيرادها هنا وهي «وكان يقال له ظلما ، وكان شجاعاً كاهناً حكماً متصرفاً في كل فن ، وكانت نفسه تنازعها الملك ، قيل هو من ولد اشمون وقيل من ولد صار ، وقيل من العاقلة . وكان يقوم بأمر البلد كما كان العزيز مع الوليد . وقيل سبب استخلافه الملك أنه كان عطشاً بأصهبان فأفلس وركبه الدين فخرج هارباً من الدين رأت الشام فلم يستقم حاله ، فجاء إلى مصر فرأى على باب المدينة حل بطيخ فسأل عن سعره فقيل بدرهم ، فدخل المدينة فسأل عن سعره فقيل كل بطيخة بدرهم ، فقال : من هنا أقضي ديني فاشتري حلاً بدرهم وأرى المدينة فنهى البوابون فما بقي منه الا بطيخة واحدة فباعها بدرهم ، فقال ما هذا؟ ما هنا أحد ينظر في مصالح الناس ؟ فقالوا : ملكنا مشغول بلذات نفسه وفوضى الأمر إلى الوزير ، ولا ينظر في شيء فخرج فرعون إلى القنابر ، فجعل لا يمكن أحداً من الدفن الا بخمسة دراهم فأقام على ذلك مدة لم يتعرض له أحد فماتت بنت الملك ، فقال : ها توأ خمسة دراهم ، فقالوا ويحك هذه بنت الملك ، فقال : ها توأ عشرة دراهم ، فلم يزل يضاعفها إلى أن وصلت إلى مائة دراهم ، فأخبروا الملك بحديثه . قال : ومن هذا؟ قالوا : عامل الأموات فأرسله

ابن قومنس ، وكان شجاعاً ساحراً كامناً كاتباً حكيماً ذهنياً متصرفاً في كل فن .

فصلح أمر المملكة بكانه وأحبه الناس ، فعمل معالم كثيرة وعمر الخراب ، وبنى مدناً ، ورأى في نجومه أنه سيكون جذب وشدة ، فاستعمل ما استعمله نيراوس الملك وقد تقدم ذكره .

وبنى الهياكل ، وقيل إن منارة الاسكندرية بنيت في زمانه ، وفي زمانه هاج البحر المالح ففرق كثير من القرى والأخبية والمصانع .

وحكي أن أقسامس تغيب عن الناس مدة ، وقيل مات وكنتموا موته ، وكان ملكه إلى أن غاب عنهم إحدى وثلاثين سنة ، وأقاموا إحدى عشرة سنة يدبر ملكهم طالما الكاهن .

ولما افتقد الناس الملك اضطربوا وتغيروا على طالما ، واتصل بهم أنه سمع وقتله ، فقالوا لا بد لنا من النظر إلى الملك ؛ فعرفهم أنه قد تخلى عن الملك وولى ابنه لاطس ، فما قبلوا منه ، وأمر الجيش فركبوا في السلاح .

وكان لاطس الملك جلس على سرير الملك ولبس التاج وكان جريئاً معجباً خلقاً ، فوعده الناس جيلاً وقال أنا مستقيم لكم ما استقمتم ، وإن ملتم عن الواجب ملتم عنكم ، وألزم الناس أعمالهم ، وحط جماعة من الوجوه عن مراتبهم ، وصرف طالما بن قومنس عما كان عليه من خلافته .

الى الوزير فسأله عنه ، فأنكر حاله فأحضره الملك وقال : من أنت ؟ فآخبره بخبر البطيخ ، وقال ما عملت عامل الموتى الا حتى يصل خبري اليك وتحضرنى لأنصحك لتستيقظ من نومك ، وتحفظ ملكك والا ذهب عنك ، فاستوزره فسار في الناس سيرة حسنة ، وفي زمانه شكى القبط اليه حال الاسرائيليين ، فقال : هم عبيدكم فافعلوا بهم ما بدا لكم . فكان القبطي يضرب الاسرائيلي فلا يقدر ان يغير عليه احد ، وان ضرب الاسرائيلي القبطي قتل .

وبنى في زمانه مدناً كثيرة ، وأعلاماً ومصانع وطلسمات ، ومن أعجب ما عمل التنوير الذي يشرى فيه بغير نار ، والسكين تنصب فاذا رآها شيء من البهائم أقبل عليها حتى يذبح نفسه بها ، والماء الذي يستحيل هواء وأشياء من النيرنج .

واستخلف رجلاً يقال له لاهوق من ولد صا الأكبر بن تدارس ، ودفع إليه خاقه ، وكان كاهناً وأنفذ طالما عاملاً على الصعيد ، وأنفذ معه جماعة من الاسرائيليين ، وجدد بناء الاعلام وأصلح الهياكل ، وبنى قرى كثيرة ، وأثرت في وقته معادن كثيرة وكنوز .

وكان محباً [للخلق] ^(١) ثم تجبر وعلا ، وأمر أن لا يجلس أحد في قصر الملك لا كاهن ولا غيره ، بل يقومون على أرجلهم إلى أن ينصرفوا ، وزاد في أذى الناس والعنف بهم ، ثم جمع أموالهم وكنزها ، وطلب النساء فابتن منهن خلقاً كثيراً ، وقصد الناس بسطوته وفضاظته .

واستعبد بني اسرائيل ، وقتل جماعة من الكهنة فبغضه الخاص والعام ، ثم حشد عليه طالما الذي صرفه وولاه الصعيد فجاءه بجيش كثيف ، وخرج إليه بلاتس ^(٢) الملك ، فحاربه طالما فظفر ببلاتس وقتله ، وسار حتى دخل منف فعاث فيها .

ونزل قصر المملكة طالما بن قومن ، فجلس على سرير الملك وحاز جميع ما كان في خزائهم ، فهذا الذي تذكر القبط أنه فرعون موسى صلى الله عليه وعلى نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

وأما أهل الأثر فيزعمون أنه الوليد بن مصعب ، وأنه من العماقة وذكروا أن الفراعنة سبعة .

وكان طالما فيما يحكى عنه قصيراً طويلاً للحية ، أشهل العينين صغير العين اليسرى ، في جبينه شامة ، وأنه كان أعرج .

وزعم قوم أنه كان لقيطاً ، والدليل على ذلك ميله إليهم ونسكاحه فيهم ، ولما جلس في الملك اضطرب الناس عليه ، فبذل الأموال ورغب من أطاعه ، وقتل من خالفه فاعتدل أمره .

وكان أول ما عمله أن رتب المراتب وشيد الأعلام وبنى المدن ، وخذلق

(٢) في ق : لاطيس .

(١) في ب : للحكم .

الخنادق ، وعمل بناحية العريش حصناً ، وكذلك على حدود مصر ، واستخلف هامان وكان يقرب منه في نفسه .

وأثار بعض الكنوز وصرفها في بناء المسدان والعمارات ، وحفر خليجاً كثيرة ، ويقال أنه الذي حفر خليج سودوس ، فكان كلما عرجه إلى قرية من قرى الحوف حمل اليه أهلها مالا ، فاجتمع من ذلك شيء كثير ، فأمر برده على أهله .

وبلغ الخراج في وقته سبعمائة ألف ألف ، وكانت ينزل الناس على منازلهم وهو أول من عرف العرفاء على الناس .

وكان ممن صحبه من الاسرائيليين رجل يقال له إمرى وهو عمران أبو موسى عليه السلام ، فجعله حرساً لقصره يتولى حفظه وإغلاقه بالليل .

وكان قد رأى في كهنته أنه يجري هلاكه على يد مولود من الاسرائيليين فمنعهم المناكحة ثلاث سنين لأنه رأى أن ذلك المولود يكون فيها ، وأن امرأة إمرى يعني عمران أتته بعض الليالي بشيء أصلحته له فواقعها فحملت بهارون ، ثم واقعها في السنة الثالثة فحملت بموسى عليهما السلام ، فرأى في كهنته أنه قد حل بذلك المولود ، فأمر بذبح المولودين الذكور من بني إسرائيل ، ولم يتعرض لإمرى لقربه منه ، ولحراسه قصره .

الا ابن موسى كان من أمره ما قصه الله عز وجل في كتابه من أمر التابوت وقذف أمه في النيل إلى أن صار إلى تحت قصره ، وأخذ امرأته له واسترضاعها لأمه .

وامتنع فرعون من قتله إلى أن كبر وعظم شأنه ، ورد فرعون كثيراً من أمره وجعله من قواده ، وكانت له سطوة ، ثم وجهه لغزو الكوشانيين ، وكانوا قد عاثوا في أطراف مصر ، فخرج في جيش كثيف ورزقه الله الظفر ، فقتل منهم خلقاً وأسراً خلقاً وانصرف غانماً سالمًا ، فسر به فرعون وامرأته .

فاستولى وهو غلام على كثير من أمر فرعون ، وأراد أن يستخلفه حتى قتل رجلاً من أشرف القبط ، وكان يقرب من فرعون فهرب منه .

وخرج الى ناحية مدين ، وتزوج ابنة ثيرون ، وهو شعيب عليها السلام ، على ان يرعى غنمه وأنسأه بأجلين ففضى أمهما وأرسله الله الى فرعون .

وولدت امرأته فذهب يقتبس لها ناراً ، فكلمه الله تعالى في جبل الطور ، وقال له : امض الى فرعون ، وأيده بأخيه فترك امرأته محلها ومضى لرسالة ربه .

وولدت امرأته فأرسل الله تعالى جبريل بما يصلحها من آلة الولادة وسخن ابنها ، وكانت الغنم تغدو من عندها وترجع اليها بغير راع .

وحمل جبريل عليه السلام الغلام حتى أراه موسى وهو سائر الى مصر فقبله ، وتقل في فيه ورده الى امه ، ومر بها رجل من آل شعيب فردها الى مدين ، وصار موسى إلى مصر ولقي اخاه هارون ولم يثبت له طول غيبته ، وكان يفتسل على شاطئ النيل ، فاستضافه فأضافه وأطعمه جلبانا مطبوخا قد برد فيه ثريد ، وتعارفا وسر بعضهما ببعض وعرفه ان الله عز وجل أرسله ونبأه هو وأخوه ، وجعله له عضداً .

وغدوا الى فرعون وأقاما اياماً ، وعلى كل واحد منهما جبة صوف ، ومعه عصاه التي أخذها من شعيب عليها السلام ومنها كانت احدي آياته ، فسكنا يأتیان في كل يوم ويجلسان ببابه فلا يصلان الى فرعون لشدة حجابيه ، الى ان دخل اليه مضحك كان له فعرفه حالهما ، وقال بالبواب رجلان يطلبان الاذن عليك ، ويزعمان أن إلههما أرسلهما اليك ، فأمر بادخالهما وخاطبه موسى وأراه آية العصا ، وآيته في بياض اليد ، وهما آيتان من تسع ، وكان من خطابه إياه ما قصه الله في كتابه .

فغاض فرعون أمره وهم بقتله ، فمنعه الله تعالى منه وشغله عنه ، ورأى طاماً فرعون كأن على صورة غمامة قد اقبلت ، فمسحت على عيونهم فعموا .

ثم أمر قوماً آخرين بقتله ، فرأى كأن ناراً قد أتت فاحرقتهم ، فازداد عليه غيظاً ، وقال له من أين لك هذه النواميس العظام ؟ أسحرة بلدي علموك هذا ، أم تعلمته بعد خروجك من عندنا ؟ قال هذا من ناموس السماء ، وليس من نواميس الأرض . قال ومن صاحبه ؟ قال صاحب البنية المليسا ، قال بل علمتها من بلدي ؟ وأمر يجمع السحرة والكهنة واصحاب النواميس فقال أخرجوا عليّ أرفع أعمالكم ، فإني أرى نواميس هذا الساحر رفيعة جداً ، فعرضوا عليه أعمالهم فسرّه ذلك ، وأحضره وقال له فقت على سحرك وعندني من يوفي عليك ، فواعدهم يوم الزينة ، وهو يوم عيد كان لهم ، على ان من غلب منها اتبعه الآخر ، وكان جماعة من أهل البلد اتبعوا موسى عليه السلام ، وكانت السحرة مائة الف وأربعين ألفاً ، فعملوا من الاعمال ما يرى الوجوه ملونة ومشوهة ، ومنها الطويل ومنها العريض ، ومنها المقلوب جبهته إلى اسفل ولحيته إلى فوق ، ومنها ما له قرون ومنها ما هو عظيم على قدر الترس ومنها ما له آذان عظام ، ومنها ما يشبه وجوه القرود .

وفي كل فن وفي كل صورة ، وأجساماً عظاماً ما تبلغ السحاب ، وحيات عظيمة بأجنحة تطير إلى الهواء ، ويرجع بعضها على بعض .

وحيات يخرج من أفواهها نار يخيل للعالم انها تسكاد تحرقه ، وحيات برءوس وشعور ، وأذنان فيها رءوس ، وتماثيل في طرق الشياطين .

ثم عملوا دخاناً يغمى أبصار الناس ، فلا يرى بعضهم بعضاً ، ودخاناً يظهر صوراً مثل الثيران في الجو ، على دواب مثل ذلك يصدم بعضها بعضاً ، وتسمع لها قعاقع وضجة ، وصوراً أخرى على دواب خضر ، وصوراً سوداً على دواب سود .

فلما رأى فرعون ذلك سر هو وجماعته ممن حضر معه ، واغتم موسى

عليه السلام ، ومن كان آمن به وكفر [بفرعون] ^(١) خروفا على فتنة الناس بذلك وضلالهم .

وكان للسحرة ثلاث رموس ، فلما رأى موسى صلوات الله عليه ذلك وضاق به ذرعا أتاه جبريل عليه السلام ، وقال له لا تخف إنك انت الأعلى وألقى ما في يمينك ، فسر بذلك موسى عليه السلام ، وطمع في إيمان الناس وسكن خوفه فأمر إلى عظماء السحرة وقال قد رأيت ما صنعتُم ، فانت قهرتكم أثؤمنون بالله ؟ قالوا نشهد لنفعلن ، فرآه فرعون ، وقد أسر اليهم ففاظله وهم بمعالجة ^(٢) الجميع ، ثم توقف ليعلم آخر القضية ، والناس يهزؤون منه ومن أخيه وعليها دراعتان من صوف ، وقد استهما بالأيف ، ونسج موسى عليه السلام عصا .

فسمى موسى عليه السلام بسم الله الرحمن الرحيم ثم خلق العصا ورفعها في الجو ورفعها جبريل عليه السلام حتى غابت عن عيونهم ، ثم أقبلت في صورة شعبان عظيم له عينان كالترس تتوقدان نارا ، وتخرج من فيه ومن منخره ، وهو يزيد غضبا لله تعالى ، فلا يقع من زبده شيء على أحد إلا ابرصه ، وبرصت من ذلك ابنة فرعون والشعبان فانح فاه .

وذكر أن امه كانت حاضرة قريبا منهم ، فابتلع الشعبان جميع ما عملته السحرة ومائتي مركب كانت ملوأة عصيا وحبالا ، وجميع من كان فيها من الملاحين .

وكان في النهر الذي يتصل بدار فرعون عمد كبيرة وسجارة ، وكانت قد حملت إلى هناك ليبني بها ، وأقبل الشعبان إلى قصر فرعون ليلبسه ، وكان في قبة له على جانب القصر يشرف على عمل السحرة ، فوضع الشعبان نابه تحت

(٢) في ب : بمعالجة .

(١) في ب : وكفر إيمانه .

القصر ، ورفع بابه الآخر إلى اعلى القبة ولهيب النار يخرج من فيه ، وقد احرق مواضع من القصر ، فصاح فرعون عند ذلك ، واستغاث بموسى عليه السلام فزجره فعمطف على الناس ليبتلهم ، وبلع بعضهم فسقط بعضهم على وجوه بعض .

وذهب ليبتلهم فأمسكه موسى عليه السلام ، وعاد في يده عصا كما كانت ولم يروا لتلك المراكب أثرا ، وكان فيها من الجبال والعصي والناس والأعمدة والحجارة وما شربه من ماء النهر حتى بانت أرضه ترابا .

فلما رأى السحرة ذلك ، ولم يروا لتلك الأعيان اثرا قالوا ما هذا عمل الآدميين ! وانما نصنع مخايل لا تقيب عن الأعيان ، فقال لهم موسى أو فوا بوعدكم وإلا سلطته عليكم فيبتلعكم كما ابتلع غيركم .

فعندها آمن السحرة بموسى عليه السلام ، وجأهروا فرعون ، وقالوا هذا من فعل إله السموات وليس من فعل إله الأرض .^(١)

فقال فرعون قد علمت أنكم واطأتموه علي وعلى ملكي حسدا منكم لي ، وأمر مثل ذلك ، وجأهروه فقطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف .

وكانوا يرون مساكنهم من الجنة قبل أن يموتوا ، وجأهروا امرأته ففعل بها المؤمن ففعل به مثل ذلك .

وكان الروحاني قد قال له إني رب السماء وأنت رب الأرض قد استخلفتك فيها ، فأنت رب كل من سكنها من الخلق ، فتجبر وادعى الربوبية وشق الانهار وغرس الأشجار .

فلما كان من امر موسى عليه السلام ما كان ، فسد ذلك الروحاني وسقطت الطلسمات ، وبعض الهياكل والمنارات وخرت الأصنام على وجهها ، وعلمت

(١) هكذا في الأصل ، والصواب : وليس من السحر أو ما يشبه ذلك .

آيات موسى ، وبطل ما كان من الطوفان والجراد والقمل والضفادع ، فتعمرل
 ماؤهم دما ، فكانت الاسرائيلية تسقي القبطية من فمها ماء فيعود في فم القبطية دما
 عبيطا ، وتمعض على الرغيف لتأكل منه فتعض على الضفدع ، وأتلف الجراد
 والقمل جميع زروعهم ، وهدم الماء ابنيهم ، وبعض منازلهم وتبين للباس
 أنه لا ينفعهم .

وضاق صدر فرعون من ذلك ، فرجع إلى مداراة موسى عليه السلام ،
 ووعده أن يستخلفه على ملكه ، وأشار عليه هامان والكهان أن لا يفعل .
 ثم أمر الرعية أن يقتلوا موسى ، فخرج جماعة [إلى] ^(١) الموضع الذي
 فيه لذلك ، فأتت نار فأحرقتهم .

ورأى فرعون كأنه أخذ برجليه ، ونكس على رأسه في حظيرة نار ،
 وكأنه يستغيث ، ويقول إني لأؤمن بموسى وربه فخلوا عنه ، فدعا هامان
 وعرفه ذلك ، وقال له لم يبق بعد هذا شيء ، وأريد أن أؤمن بموسى ،
 فقال له هو الذي عمل لك الرؤيا ليهولك ، فتريد أن تكون عبداً بعد أن
 كنت رباً ! وتستخف بك رعيتك ، وتسلب ملكك !

قال فتلطّف به وبعد ذلك منعه منه ، وكان يبعث اليه سرا ويستنظره ،
 فلما تم الأجل ولم يفعل فرعون شيئاً كثر البلاء عليهم ، وتهدمت منازلهم
 وفسدت زروعهم وكثرت الآيات في منازلهم .

وكان الناس قد خافوا موسى وهابوه ، وكانوا يؤمنون به سرا ، فمن آمن
 به زال عنه الأذى

فلما زاد الأمر على فرعون أحضر موسى وقال له إن أجبتك مالي عندك؟
 قال أردد شبابك ، وأضعف عرك ، وآمنك من جميع العلل ، ومن زوال

(١) في ب : فخرج جماعة من الموضع .

ملكك ، وأعلي يدك على من تاوأك من الملوك ، وأكثر فيك نشاطك ، وأأكلك وشربك .

قال له فرعون إن فعلت ذلك فقد أنصفت فأنظرنني إلى غد ، ثم شاور هامان فمنعه ، وقال له نموت غدا أصلح لنا ، قال فلما يش منه قال فأطلق لي بني إسرائيل قال إنما تريد اخراجهم من بلدي لتكون عليهم أميراً ملكاً ، وأنا أنتفع بخدمتهم ، وهذا حسد منك لي .

قال له موسى عليه السلام فأنقل على ان لا تدعي الربوبية ، قال اذا انقص من أعين الناس ، قال فان الله سيهلكك ويهلك قومك ، وتصير ارواحكم إلى نار حامية ، قال فلاني أفعل ذلك معك سرا ولا افعله جهراً ، وأقرب للآلهة ^(١) القرايين العظام .

قال موسى عليه السلام إن إلهي لا يرضيه إلا أن يؤمن به الناس أجمعون ، فأما أن تؤمن به وحدك سرا دون الناس ، فلا يرضيه ذلك ولا يقبله منك سرا حتى تظهره .

قال وإن لم تفعل ذلك فان الله مهلكك واهلك ، وعلامة هلاكك أن لا يبقى لك هيكل إلا تهدم ولا صنم إلا خر ، وقد خالفت ما دعوتك اليه مراراً كثيرة ، وأنا أحذرك الخلاف ، وإن الله سيعجل لك العقوبة ولا ينظرك . ثم إن فرعون طول مطل موسى عليه السلام بما وعده في امر بني إسرائيل ، ولم ينجزه ، ورأى موسى عليه السلام أنه لا يرجع إلى خير ولا ينفع فيه وعظ ، وخاف أن يفجأ بني إسرائيل بإبذاء كثير ، فعزم على الخروج عنه ببني إسرائيل .

وحضر لبني إسرائيل عيد كانوا يجتمعون فيه ، فأمر موسى عليه السلام نساء بني إسرائيل أن يستعرن حلي نساء القبط ، ويأخذن منه ما يقدرن عليه من ثيابهن ، ويتزين به في عيدهن ، ففعلن ذلك ، ثم دعوهن في عيدهن فأكلن معهن وشربن .

(١) في ب : وأقرب للأهل .

وكان موسى عليه السلام أبعدهم قليلا إلى المشرق ، وأمر أن يبعدوا هنالك ، فلما أكلوا وشربوا ألقى الله تعالى على القبطيين رجالا ونساء السبات حتى منهم من كل شيء .

ثم سار موسى عليه السلام بجميع بني إسرائيل من أول الليل ، وكان عددهم ستائة ألف وأربعين ألفا ونيفا .

وأخرجوا تابوت يوسف عليه السلام من النيل وحملوه معهم ، دلتهم على موضعه عجوز مؤمنة من القبط ، ومضت معهم .

فسار ببني إسرائيل إلى ناحية بحر القلزم ليخفي آثارهم ، فلما كان من آخر الليل عرف فرعون بخروجهم ، وما فعلوه بنساء القبط من إغارة حليهن إلى الاسرائيليات ودعائهن به ، فجلس لوقته وفادى في الناس ، فلما اجتمعوا أمرهم أن يتأهبوا للركوب في آثارهم وأجلهم ثلاثة أيام .

وخاطب كل من قرب منهم وبعد من جيوشه وحشوده أن لا يتأخروا عن لحاقه طرفة عين ، فلما أصبح في اليوم الرابع ركب الناس ، وركب معهم يتقدمهم واتبعوا آثار بني إسرائيل ، ولم يبق أحد من اولاد الملوك ولا من أتباعهم ولا من فيه فضل إلا سار معه ، فيقال إنه كمل عددهم ، وزاد على موسى عليه السلام ستة آلاف ألف .

فلم ير موسى عليه السلام بعلم من أعلامهم إلا سقط ، ولا بصنم إلا سقط لوجهه ، وساروا مقربين حتى لحقوهم على ساحل البحر .

فلما أحس موسى عليه السلام بهم ، قال لأخيه هارون تقدم إلى البحر وكنه بأبي العباس ، ومره أن يكف عنا موجه ، ويسكن عنا حركته ، حتى أصل أنا ومن معي .

ففضى هارون لذلك ، وركب موسى عليه السلام ، فلما وقف موسى على البحر ضربه بمصاه ، فانشق لوجهه ، وظهرت فيه اثنتي عشرة طريقة ، فدخل كل سبط على طريق ، وجعل بينهم طاقات رقيقة من الماء ليرى بعضهم بعضا ، فدخل القوم ، ودخل موسى عليه السلام في آخرهم .

فلما رأهم في البحر هم بتركهم خوفاً من البحر ، فأقبل جبريل عليه السلام بفرس بلقاء ، فدخل في أثرهم ، فلما رآها فرس فرعون اقتحم به في أثرها ، فلم يقدر فرعون على إمساكه ، لأنه كان حصاناً ، وقد كان طال عمره .
فلما دخل فرعون اتبعه قومه عن آخرهم ، فلم يبق في البر أحد منهم فتوسطوا البحر ، وقد خرج موسى عليه السلام ومن معه من الناس ، فأمر الله تعالى جل جلاله جبريل عليه السلام أن يطبق البحر على فرعون وقومه ففعل .
فلما رأى ذلك فرعون قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين ، ولم يقلها صحيح النية .

فلما سمعه جبريل عليه السلام رجه بكف من الحماة ضرب بها وجهه ، وسد بها فاه ، خوفاً أن يرحمه الله تعالى بذلك القول .
ففرق الجميع ولم يزلت منهم أحد ، وحملت أرواحهم إلى النار ، ولما هلكوا طرح الله تعالى [جملة منهم] على عبر البحر ، منهم فرعون في موضع مرتفع من الأرض ، حتى رأوه وعرفوه وبين الله ذلك في كتابه الكريم الذي أنزله على رسوله محمد ﷺ .

تم وكمل كتاب أخبار الزمان وما أباده الحداث وعجائب البلدان ، والغامر بالماء وال عمران ، بمعونة الله وقوته ، فله الحمد والشكر على ما أولى من النعم الجسام والبر والأنعام .

على يد أضعف عباد الله وأحوجهم إلى الرحمة والمغفرة والرضوان عبس الرحمن بن محمد بن محمد البصري سأل الله وغفر له ولوالديه ، ولمن كان السبب في كتابته ولمن قرأ فيه وجميع المسلمين والمسلمات ، والمؤمنين والمؤمنات ، الأحياء منهم والأموات .

ووافق الفراغ في نسخته يوم الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى أحد شهور سنة اثنين وثمانين وثمانمائة أحسن الله علي بها .

والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله آمين آمين وصحبه وسلم ، وحسيننا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم استغفر الله الكريم .

فهرست

صفحة		صفحة	
٩٦	ذكر الأفرنج	٥	كلمة الناشر
٩٦	مملكة الأندلس	٧	مقدمة الطبعة الأولى
٩٧	ذكر مملكة البرجان	٢٠	من هو المسعودي
٩٨	ذكر مملكة الترك	٢٣	فاتحة الكتاب
٩٩	ذكر مملكة الروم	٣١	ذكر عمر الدنيا
١٠٠	ذكر مملكة الفرس	٣٢	ذكر الأمم المخلوقات قبل آدم
١٠١	ذكر مملكة خراسان	٣٣	ذكر الجن وأجناسهم وقبائلهم
١٠٢	ذكر سام بن نوح	٤٠	ذكر الأرض وما فيها
١٠٣	ذكر إبراهيم عليه السلام		ذكر البحر المحيط وما فيه من
١٠٣	ذكر إسماعيل عليه السلام	٤١	المعائب
١٠٤	حدث البلبلة	٤٨	خبر تنيس
١٠٤	ذكر عاد	٧١	ذكر آدم عليه السلام
١١٦	ذكر عناق بنت آدم عليه السلام	٧٦	ذكر شيء من أخبار ولده
١١٧	ذكر أخبار الكهان من العرب	٨٦	حام بن نوح عليه السلام
١٢٤	خبر اليمامة الزرقاء	٨٧	ذكر كنعان بن حام
١٢٩	قونية الكاهنة	٩١	ذكر يافث بن نوح
١٣١	خبر الكهان بعد الطوفان	٩١	ذكر يأجوج ومأجوج
١٣٤	أول من بنى الأهرام	٩٢	ذكر الصقالبة
١٣٥	ذكر ملوك مصر قبل الطوفان	٩٣	ذكر اليونانيين
١٣٧	ذكر دخولهم البلدة . . وحروبهم . .	٩٤	ذكر الصين
١٨٠	ذكر ملوك مصر بعد الطوفان	٩٦	ذكر الأهمدة

كان الفراغ من طبع هذا الكتاب في الثاني
من شهر ذي القعدة سنة ١٣٨٥ هـ . الموافق الحادي
والعشرين من شهر شباط (فبراير) سنة ١٩٦٦ م على
مطابع دار الأندلس - بيروت .